الجزء الثالث

في ما ابداه مؤرخ الاصلاح الموهوم من القدح والطعن بيعة الله المقدسة وعقائدها الجليلة واحبارها الكرام

الفصل الاول

في الغاية المقصودة لهذا الجزء الثالث

قد بينا في الجزء الاول حقيقة مذهب الاصلاح الموهوم مستندين الى الادلة الصادقة والاثار الجلية والانتقاد الصائب اذ كان مورخ الاصلاح المذكور قدم عنه تاريخًا رذلته الادلة الصحيحة والاثار الحقيقية فكان تاريخًا كاذبًا وعاريًا عن الصحة وضربًا من الخرافات

وبينا في الجزء الثاني فساد ازعام زعمها المؤرخ المذكور واوهام نشرها وقد قصد تبيان عظمة مذهب الاصلاح الموهوم وفوائده بيد انه قد عرى عن رائحة المجد والفخر وتنزه عن كل ما به الفائدة فعليه قد وزنا الامور بميزان العدل فبانت قيمتها للعيان

واننا نبين في هذا الجزء الثالث تفاصيل تعلقت بتعليم الكنيسة المقدسة وعقائدها التي مسها المؤرخ المذكور في تاريخه وفي هذا البيان فائدتان احداهما ارشاد المؤمن وتعليمه الحقائق الدينية وفقًا لتعليم الكنيسة الكاثوليكية ثانيتهما ثلم سهام اوهام زعم المؤرخ ان يرشق بها تلك الحقائق ولم يعلم ان نبله المتثلمة لا تؤثر بابراج الحق ولا تثلم حصون الصدق

وقد حملنا على خوض هذا الميدان ليس فقط طعن مؤرخ الاوهام بل مساعي المتلاعبين بحقائق الدين الذين لقد طالما نشروا بهتانهم واذاعوا فساد تعليمهم بكر برسيات خجلوا ان يضعوها او ينشروها علنًا بل اودعوها يدًا خفية تطرحها ليلاً على اسكفة الابواب وتلقيها في الازقة والشوارع وتطرحها في حانوت فيلتقطها الانسان ولا علم له بمن اتحفه بها فكان قومًا اعتمدوا على ذلك راموا القيام بموجب شروط ماموريتهم ولما لم يستطيعوا على ذلك جهارًا اخترعوا الطريقة المذكورة واشاروا الى من قلدهم تلك المأمورية وعين لهم عليها العلائف قائلين بلسان حالهم ها اننا قد اتممنا ما علينا افلا يحل لنا التمتع بمرتبنا

لعمري لقد كان الاولى ان ندع تلك الاوراق تدوسها اقدام المارين اذ انها اهلاً لذلك غير انه لسوء الحظ رأينا كثيرين قد تلوها بانشغاف ولم يكتفوا بالوقوف على ما فيها بل قد اهدوها لاخرين فامست طريقة لافساد اليقين في قلوب المؤمنين الصادقين ولما لم نستطع بل لم يكن داعيًا لنرد على افرادها كلما نشرت انتهزنا فرصة نشر تاريخ الاوهام الطاعن بحقائق الايمان ودحضنا مفصلاً تلك الاضاليل تصحيحًا ليقين المؤمنين وبهذه الطريقة توصلنا الى الغاية المطلوبة وهي ارشاد ابناء الايمان ودحض اضاليل اهل الفساد ثم وتسهيلاً للمؤمنين للتسلح باسلحة الدين جمعنا في آخر الكتاب فهرسًا ذكرنا فيه كل حقيقة دينية وتعاليم كنائسية رشقها معلموا الضلال بسهامهم الطايشة حتى اذا ما عثر المؤمن باوريقاتهم وراي حقيقة دينية طعنوها بحرابهم راجع الفهرست ورأى تلك الحقيقة الدينية فطالعها في بابها فاطلع اولاً على حقيقة تعليم بيعة الله المقدسة بشأنها ثم

على حل اعتراضات المعترضين عليها وفساد اراء الضالين بخصوصها
فيهتدي للصواب متمسكًا بعرى الحق المبين وراذلًا اراء المفسدين

الفصل الثاني

في ما ارتكبهُ مؤرخ الاصلاح الموهوم من فظيع الخطاء بتخطئتهِ تعاليم الكنيسة الكاثوليكية المقدسة

قد انتقل صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم من التاريخ الى التعليم فقد بيّنا للناس مهارته في فن التاريخ واننا نبين لهم الآن مزيد فضله في التعليم فيعلو منزلة في هذا على ما علا في ذاك وما التاليف الاَّ محك القرائح

قد اطلعنا يا هذا على تعليمك في عقائد الكنيسة الكاثوليكية المقدسة فغطانا الخجل لا لكوننا ابناء هذه الكنيسة المشرفة اولادها ولا لحقائق تعلمها اذ انها تعاليم الحكمة الازلية ولا لدعوى هذه الكنيسة اذ ان دعواها هي دعوى الاله الحق فاذا ما مسست يد التلاعب تعاليمها معاذ الله من ان تنثلم هذه الحقائق بل انها كالالماس الذي كلما سطعته يد سطع بهاء ولمع ضياء فلم نخجل لكوننا ابناء الكنيسة بل قد خجلنا عن الجنس البشري اذ قد رأينا اناسًا انتحوا بملابس الدعوى الفارغة قد زعموا مع ذلك ان ينزلوا مضمار الحق ويخوضوا بحور العلم ويقيموا انفسهم معلمين بحقايق الدين وهم لا يدركون ما هذه الحقائق ولا يعلمون ما هذه التعاليم حتى اذا ما نزلوا هذا الميدان وتكلموا بهذا الشان لم يبدوا للعيان

سوى جهلهم الفظيع وقولهم الهذر والهذيان ومن كان على ريب في ذلك فدونه والوقوف على اوريقات تاريخ الاصلاح خصوصاً في كلامه عن تعاليم الكنيسة فانه قد تكلم عن تعاليمها في بحر الاجيال الماضية ولا علم لاجيال الكنيسة بالتعاليم الذي تكلم عنها وتاكيداً لذلك كفانا ان نذكر ما صدّر به كلامه عن تعليم الكنيسة المقدسة الكاثوليكية قال : مبدأ الديانة المسيحية هو ان الخلاص انما هو من الله .... وفي الاعصار التي نحن في تاريخها (يعني الاعصار قبل الاصلاح) غلب التعليم بان الخلاص من الانسان ..... تميزت الديانة المسيحية عن سائر الاديان بهذا المبدا اي ان الخلاص انما هو من نعمة الله اما الكنيسة فنسي فيها هذا المبدا وشاع فيها المبدا الاخر اي ان الخلاص بواسطة الانسان .....

.... والتعليم الاخر الذي ساعد في نقض تعليم النعمة هو تعليم بيلاجيوس ... وخطر هذا التعليم ظهر على الخصوص في هذا الامر وهو انه بوضعه الصلاح خارج القلب لاداخله جعل قيمة عظيمة لاعمال الخارجية الخ (نشرة اسبوعية سنة ١٨٧٣ عدد ١١)

هذه اشارة عن تلك الدرر المصونة والكنوز المكنونة المودوعة في تاريخه وقد انبانا عن حقيقة فضله

قل لنا ياصاح هل ادركت ما به تكلمت بل هل يدرك العاقل ما من فيك قد قذفت . من له اذنان سامعتان فليسمع ومن كان ذا باصرة فليتبصر اما نحن فانا نشرع اولاً في البحث عن حقيقة واحدة تاريخية لا علمية قد انكرتها ياهذا بصفة كونك تدعي علم التاريخ بيد ان التاريخ قد انكر كلامك واثبت خلافاً لمقالك فلنستفرأنّ تاريخ الاجيال

هل تجد لما تسند اليه انكارك اثرًا فقد انكرت على بيعة الله المقدسة كونها تعلم ان الخلاص بيسوع المسيح وهذا صريح مقالك المذكور انفًا. هات الآن نرى تعليم الكنيسة الكاثوليكية المقدسة بهذا الشان فان هذه الكنيسة عمود الحق ومعلمة الحق ومستودعة تعليم الاله الحق والحارس الامين على وديعة الدين الحق قد علمت مذ اول يوم ظهرت فيه بلسان حبرها الاول بطرس الصفاء اذ قام بطرس في هيكل اورشليم يومًا حل فيه روح الله على الحواريين وفاه وقد اذهل عقول الحاضرين وهم من كل ملة ولسان في الارض قائلًا: ليس بوجد اسم اخر تحت السماء أعطوا الناس الذي ينبغي ان نخلص به (اعمال ٤: ١٢)

فاذا كان ذلك قلنا هذا تعليم كنيسة الله مذ دقيقة ظهورها على الارض بلسان حبرها الاول بطرس الصفا فقل لنا ايها اللاهوتي الابر وتستاني الجديد وعلامة الدين المجيد ها قد مضى مذ انشاء الكنيسة حتى الآن نحو تسعة عشر جيلًا وخلفاء بطرس يديرون سفينة الخلاص هل من احدهم لم يعلّم هذا التعليم الذي علمه بطرس بل هل من مجمع مقدس عقدته الكنيسة بعناية احبارها الكرام ولم يعلم هذه الحقيقة الاساسية الم تنادِ الكنيسة بهذه الحقيقة دائمًا على روس الملاء وتجنها في عقول مؤمنيها وتكررها على سماع سامعيها ومع هذا نراك والجهل قد اعماك تنادي في هذه الاقطار السورية مهد الكنيسة الرسولية قائلًا ان الكنيسة قد نسيت هذه الحقيقة الاساسية وما هذه الحقيقة الا صدر كل من تعاليمها الجليلة واس افعالها الجليلة ومدار اعمالها الكريمة حتى ان كل ما تجربه هذه البيعة المقدسة يوميًا وتمارسه على مر الدقائق والساعات قد بني على هذا التعليم الحق

فقد حصرت هذه البيعة المقدسة ايمانها بهذه الحقيقة الجليلة بلفظة واحدة افتتحت بها قانون ايمانها الذي ترضعه لابنائها مع الحليب قائلة اؤمن بالله الخ . هل ادركت ياهذا ما معنى لفظة اومن بالله فلما كنت لا تدرك ذلك ترتب عليك ان تصغ سمعاً لاباء الكنيسة الافاضل وتمن النظر بعظات القديس كيرلوس الاورشليمي في شرحه قانون الايمان وتبصر بما قاله العلامة اغسطينوس في تفسير القانون المذكور على سكان افريقية وتراجع مقالته التاسعة والعشرين في تفسير انجيل يوحنا البشير فانك لا تجد سبيلاً لان تنكر على بيعة الله هذا التعليم الذي هو اس تعاليمها الخلاصية فان قولها اني اؤمن بالله ليس معناه فقط اننا نؤمن بوجود الله تعالى وانه تعالى هو اس ايماننا ومبداه بل اننا نرجوه تعالى ونتوكل عليه ونتوقع الخلاص منه وبه

وهذا ما علمته الكنيسة مدى الاجيال افما تسمعها يا هذا تدعو الله الهها وتبتهل اليه وتلتمس نعمه وتطلب مراحمه وتنهي كلامها قائلة بربنا يسوع المسيح فان تشفعت باصفياء الله اوامرت ابناءها ان يعملوا الاعمال الصالحة الضرورية للخلاص فانها تعلمهم ان استحقاق الاعمال الصالحة واستحقاق قديسي الله الذين عملوا الاعمال الصالحة انما هو بربنا يسوع المسيح مبدا خلاصنا اذ ليس بوجد اسم اخر تحت السماء اعطي للناس لاجل ان نخلص به

وقد شاقني ذكرك بيلاجيوس وزعمك ان تعليمه قد سرى في الكنيسة فنسي فيها مبدا الخلاص

من كان يخلق ما يقو ل سهلتي فيه قليلة

ذكرت يا هذا بيلاجيوس وافتريت على بيعة الله المقدسة انها

نسيت ان مبداء الخلاص هو بالله وانها استسارت بتعليم بيلاجيوس الملحد بيد انك لا تعلم ما عليه بيلاجيوس ولا ما علمته الكنيسة ضد تعاليمه هل قد غشك بيلاجيوس كما قد غش اهل عصره ام قد اعماك الجهل فلم تهتدِ الى ما نقول . فما نهض بيلاجيوس منادياً ببدعته الاَّ وقد نهض عليه وعلى اتباعه جميعاً سواء تمسكوا ببدعته كل التمسك او بعضه وحاربه فرسان بيعة الله فقام عليه ايرونيموس في سورية واغسطينوس في افريقية وانشنسيوس في ايطاليا وبروسبيروس في غاليا المعروفة الان بفرنسا ودحضوا اقاويله ورذلوا ورذلت الكنيسة بتعاليمها وتعاليمها بدعته الوخيمة ومع هذا تزعم ان الكنيسة استسارت بموجب تعليمه فان محاربة الكنيسة بيلاجيوس حقيقة تاريخية وانت تدعي انك مؤرخ ولم تدركها ولقد تكون ما علمت بها ها ان تصانيف اباء الكنيسة قد اشتهرت المسكونة وتعاليم مجامع الكنيسة حجة راهنة لكل مؤرخ صادق وما ذكر بيلاجيوس لدى المؤمنين الاَّ كذكراية بدعتك الابرونستانية الملحدين المرذولين

وان كنت تزعم ان تعليم الكنيسة عن الاعمال الصالحة يوقع المؤمن بضلال بيلاجيوس فان انت الاَّ ضال وان عذرك الاَّ اقبح من ذنب وقد بينت لنا انك تجهل تعليم بيلاجيوس كما تجهل تعليم الكنيسة الكاثوليكية المقدسة

الفصل الثالث

في التصور الذي تصور بهِ ملفق تاريخ الاصلاح بيعة الله المقدسة

ان من طالع الفصل الثاني لملفق تاريخ الاصلاح وقد عنونه التعاليم وامعن النظر بما اودعه فيهِ اخذ يسال نفسه بنفسهِ قائلاً : كيف يتصور ملفق التاريخ المذكور الكنيسة المقدسة

فقلنا لهُ : ان كلام الملفق صريح وعارٍ عن كل لبس وان الكنيسة على ما في زعمهِ وتعاليمهِ على ما يأتي وهذا قوله بحروفهِ

وبينما افسد تعليم بيلاجيوس التعليم المسيحي شدد ايضاً رياسة الاكليروس واليد التي خفضت شان النعمة رفعت شان الكنيسة لان النعمة هي من الله والكنيسة هي للانسان . بالنسبة الى شعورنا بان جميع الناس مذنبون امام الله يكون تمسكنا بالمسيح مصدر النعمة الوحيد فكيف نقدر اذاً ان نجعل الكنيسة في رتبة واحدة مع المسيح والحال انها ليست سوى جماعة من الذين هم جميعاً بالطبيعة في حالةٍ واحدة شقية ولكن حالما ننسب الى الانسان قداسة خصوصية واستحقاقاً شخصياً يتغير كل شيء ويعد الاكليروس والرهبان افضل واسطة لنوال نعمة الله على ايديهم وهذا ما قد حدث مراراً بعد ايام بيلاجيوس نُزِع من يد الله حق اعطاء الخلاص وصار في ايدي الكهنة الذين وضعوا انفسهم مكان الرب والانفس المتعطشة الى الغفران لم يعد يلزمها ان تنظر الى السماء بل الى الكنيسة ولاسيما الى رأسها المزعوم وصار الحبر الروماني لهذه الانفس العمياء الهاً ومن ثم نتجت عظمة البابا وات وفساد لا يوصف

وقد امتد الشر الى ابعد من ذلك ايضاً لان المذهب البيلاجي بعد ما علّم بان الانسان يقدر ان يحصل على حالة كاملة من القداسة علّم ايضاً بان استحقاقات القديسين والشهداء تُنسب الى الكنيسة ونُسبت قوة خصوصية لشفاعتهم فقدمت اليهم الصلوة وصار الناس يستغيثون بهم في جميع مصائب هذه الحيوة وعلى هذا المنوال دخلت عبادة وثنية حقيقية مكان عبادة الاله الحقيقي (اسبوعية ١٨٧٣ عدد ١٠)

هذا هو التصور الذي قدمه لنا نحن معاشر السوريين عن كنيسة المسيح ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم وهذا ما علمه ذلك اللاهوتي الشهير وقد دخل فيو بيلاجيوس لكن باية طريقة وعلى اي الاستناد فالله وحده عليم بما هنالك. نشدتك الله قل لنا ياصاح: من اين استخرجت هذه درر التعاليم عن الكنيسة وسلطانها الالهي. لعمري فاننا لا نرى شيئاً من هذه يشرف على تعاليم الكتاب المقدس ولا على التقليد حتى ولا على تعاليم الابروتستانت ابناء مذهبك او على تعاليم من تمام رائحة الاعتبار للامور العلمية فلا جرم في ان علماء الابروتستانية انفسهم لو التفتوا الى هذه تلفيقاتك لرجموك بالحجارة لتشرك مثل هذه الخزعبلات في امر كثرت اهميته ووفرت عظمته

اما نحن فاننا نضرب الآن عن هذر هذا الملفق بحق الاكليروس والرهبان وطعنه بحبر الاحبار نائب السيد المسيح على الارض اذ لا نلتفت الى شتم الشتامين وتجديف المجدفين بل اننا حصرنا الكلام في مجرد موضوع هذه المقالة وبحثنا فقط في التصور الذي قدمه لنا الملفق المذكور عن كنيسة الله المقدسة

لعمري نرى ما معنى قوله اننا نجعل الكنيسة في رتبة واحدة مع

المسيح انما ان الكنيسة هي عمل المسيح ومشتركة معه وهو مشترك بها حتى انه قد وعدها وعدًا رسميًا بانه يكون معها وفي وسطها بنوع غير منظور. هل يقتضي ان نذكّر دائمًا اولئك القوم الذين يتفاخرون بانشغالهم بكتاب الله وبطبعه وتوزيعه بتلك الاية الشريفة التي فاه بها مؤسس الكنيسة من بعد ان قام من الاموات وقهر الموت والجحيم واعداء كنيسته المقدسة بانه يكون معها الى منتهى الاجيال

فليراجعنّ المؤمن الاصحاح الاخير من بشارة متى الانجيلي ويطالع ذلك الوعد الكريم الذي عزّى به تعالى الكنيسة عيله الجليل وقل لمن لام الكاثوليك دونك يا هذا ان توقع الملام بمسيح الله نفسه الذي صرح تصريحًا جليًا عاريًا عن كل لبس وقد اخذل به البروتستانية وضلالها قد اعطيت لي كل سلطة في السماء والارض . اذهبوا الان وتلمذوا كل الامم وعمّدوهم .... وعلموهم .... هوذا انا معكم كل الايام الى انقضاء العالم (متى ٢٨) قاله السيد المسيح لكنيسته الخارجة وقتئذٍ من مهدها وان هذه الكنيسة قد تسلمت مأموريتها بقوة هذه السلطة غير المحدودة المقرونة بالوعد لها بان هاءها ومؤسسها هو دائمًا معها ولا يتركها البتة حتى منتهى الايام . فما قول اهل الالتوا بصريح هذه الاية الجليلة وكيف يستطيعون ان لا يدركوا معناها على ما فاه به كلمة الله المتجسد فليقل لنا هولاء القوم ما معنى كلام استتلاه الرب اذ امرهم ان امضوا وعلموا جميع الامم وان هذا امر سام بليغ صريح وقد اسنده تعالى على معونته ومساعدته الشخصية اذ قال فاني انا معكم مدد الايام حتى منتهى الاجيال

وما برحت بيعة الله المقدسة مذ تلك الدقيقة المباركة تذهب

ونعلم وقد داست جميع الموانع التي يعارضها بها عظماء الارض ويحاربها بها الناس بفاسد اميالهم وقد استندت الى ذراع العلي القدير الذي هو معها مدى الايام وهذه امور اتضحت للعيان حتى وفي هذا عصر القسوة على بيعة الله المقدسة انما هذه هي حالة حبرها الاعظم القابض على دفة الخلاص حاليًا واذا ملفق الاساطير قد نهض مخطّئًا بيعة الله المقدسة لاعتقادها بانها مع مؤسسها ومؤسسها معها وقد اشتركا جميعًا بعمل الخلاص

فقد اتضح مما تقدم ان الملفق المذكور لا يدري ما يقول اذ انه بدعواه انه يقدم لمطالعي اساطيره تصورًا عن بيعة المسيح قد انكر امرًا جوهريًا بهذا الحد والتعريف وان هذه السمة الجوهرية ببيعة الله المقدسة قد عرفتها جميع الاجيال منذ عهد رسل الله الكرام حتى الآن . انما قد سمع الملفق المذكور عن هذا التصور السامي الجميل الذي ازدانت به عقول اجدادنا المسيحيين باعتقادهم بايمان الكنيسة المبني على الكتاب الشريف وقد بينهُ القديس اثاناسيوس احسن تبيان في المجمع النيقاوي المقدس وان مشاهير علماء العصر قد اجمعوا مع العلامة موهلر الالماني وبينوا هذه السمة الشريفة ببيعة الله المقدسة فانه بموجب التعليم الصحيح الشريف الذي اعتقدت بهِ وتناقلته جميع الاجيال ليست الكنيسة متحدة ومشتركة اشتراكًا جوهريًا بمؤسسها الالهي فقط بل انها اي الكنيسة ليست الّا امتداد تجسد الكلمة الازلي ذلك الذي بهِ لا يلبث فادي البشر دائمًا حاضرًا في كنيسته فقط بل انهُ يعتني بان يشرك كل منا بوفور غنائهِ الالهي وان هذه السمة الجوهرية المتسمة بها بيعة الله على ما علمه كتاب الله وشرحه مشاهير العلماء المتقدمين

والمتاخرين تبين لنا عجيب مقدرة الكنيسة في يوم الامتحان على ما نراها في هذه الايام وبالحقيقة فانها تبين لنا في ذلك صورة ابن الله ورسم الامه اذ انه حي فيها وقد وعدها وعدًا الهيًا بانه يكون معها الى منتهى الاجيال

قلنا انه تعالى مع كنيسته الى انقضاء الايام وبناء على هذه القوة الالهية المستقرة في حضن البيعة المقدسة قد اتضح لكل انسان بانه لايجرى شيء على هذه الكنيسة الّا برضاء او بقضاء الضابط الكل

الفصل الرابع

في المعنى المتقدم ذكره

فقد علم تعالى بسابق علمه بكل ما يجرى على كنيسته من قصف العواصف وهبوب ارياح الاضطهاد وانما كان هذا الاله القادر على كل شيء يستطيع ان يحول هذه الضربات ولا يدع امواجها تلاطم سفينة الخلاص عليه المقدس

هل يشك انسان بسابق علم الله ام بقدرة هذا الاله انما هو الذي قد قال عنه ايوب البار: جعل حدودًا للمطر وطريقًا للعواصف القاصفة (ص ٢٨ عدد ٢٦)

فلاجرم في انه تعالى قادرٌ على ان يعلن قدرته في ذلك ويمنع كل ما مس بيعته المقدسة ويحول عنها وعن سدتها الرسولية الجالس هو عليه بصفة كونه راسها غير المنظور كل عاصفة ويخمد قوة القلاقل وهيجان النزاع الذي يسطو عليها على ما هو ظاهر للعيان

فلم يشا تعالى ذلك وما ذاك الّا عن حكمته العديمة القرار بل قد

سمح فهطلت عليها سيول المحن ولاطمتها امواج الاضطهاد وانقضت صواعق البغي على ما تقدم الكلام وقد سبق تعالى وانبانا بهذه الرزايا وقد دعاها ابواب الجحيم غير انه قال في الوقت نفسه ان هذه الابواب الجهنمية لا تقوى على بيعته الوطيدة الاركان

ولما كان تعالى بغوامض حكمته غير المدركة قد سمح ويسمح لابواب الجحيم ان تتهدد بيعته ولم يصد مكر البشر وخبثهم عن الاعتدا عليها وقد وعدها في الوقت نفسه بانه يكون معها ويعضدها بقوته الالهية قد ضمن لها امرًا واحدًا وكفل لها سلامة هذا الامر الذي هو عين مأموريتها ومدار رسالتها على الارض اي انه تعالى قد امنها على الوديعة المقدسة التي سلمها ارسله الكرام ولخلفائهم من بعدهم وليعلم اولوا الابصار ان المحافظة على الامانة المقدسة هي اخص مأمورية الكنيسة على الارض ولهذه المأمورية قد وعد تعالى معونته الالهية لكنه لم يعدها بانها تغلب بقوة واقتدارًا وتنتصر بقوة عقول مدبريها وعلم معلميها وتظفر بقوة العظمة الخارجة ففي هذه جميعها قد ترك المسيح كنيسته والامور تجري مجراها الطبيعي ولم يعد بيعته بامر خصوصي بل انما كان الوعد لها بصيانة مأموريتها والحماية عن رسالتها واجراء هذا الوعد الصادق قد بذل نحوها قوته واعلن قدرته وقد انحصرت مأموريتها الخاصة بان تعلم الامم ان يحفظوا ما امرها به وصونًا لهذه المأمورية وعضدًا لهذه الرسالة قال المخلص لخاصته انا معكم الى منتهى الاجيال قال العلامة بوصويت في تفسير هذه الاية مخاطبًا العلامة كلود الابروتستاني انا معكم اذ تعلمون ومعكم اذ تعمدون ومعكم اذ ترشدون المؤمنين بي وتحثونهم على ان يحفظوا جميعما امرتكم به

فان الذي رام المسيح صيانته وابتغى كفالته ووعد بصيانته وانه لايس هو ثبوت التعليم وسلامة التقليد ودرجة الخدمة وتوزيع نعم الخلاص

واذا ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم اخذ باضاليله يعلم ضد هذا التعليم الحق وقد نادى على روس الملا ولم يخجل ان التعليم المسيحي الصحيح قد انفسد

فلوكان شاب التعليم المسيحي فساد لكان شعر به الناس اجمع واغنوا عن شهادة ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم الملفق الذي قد اعتراه فساد في تاريخه وقد افسد التعليم باضاليله وافسد الكتاب بتحريفه الملفق الذي قد فسدت معارفه بانحرافاته وانحيازه عن خط الانتقاد وعلى حقيقة هذا الانفساد تاريخًا وتعليمًا ومعارف قد اجمع رايًا سكان سورية اجمع باطلاعهم على اوريقاته المنشورة ومع فساد رايه ومعارفه وتعليمه لم يخجل بقوله ان التعليم الصحيح قد انفسد في الكنيسة وقد وعدها مؤسسها بانه يكون معها مدى الايام في تعليمها الامم ما امرها به اما حفظ هذه الكنيسة ما علمها معلمها الالهي بدون تغيير ولا تبديل فقد اتضح للعيان وشهدت به تواريخ الايام وحققه فيها علماؤها وعلماء لبسوا في حضنها . فقد خاض ميادين التاريخ العلامة جيبون الابرونستاني فاهتدى عن ضلاله وذلك بمطالعة تاليف العلامة بوصويت الجليل في التغييرات الابروتستانية بازاء تعليم الكنيسة الكاثوليكية قال جيبون الموما اليه بعد ان امعن النظر في التاليف المذكور اني قد طالعت واجزت فامنت . فعلى ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم ان يحتذي حذو المؤرخين الصادقين ويرد الموارد

الصافية فيهتدي عن ضلالهِ فحينئذٍ تحصيه سورية بين المؤرخين الصادقين المهتدين بانوار الدين وتمحي اسمه من سجل الملفقين

الفصل الخامس

في ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم بمقابلة اخوته الابروتستانت

من الشهادات الواضحة الجليلة والعارية عن كل شبهة وارتياب وقد دلت على المهونة الفائقة الطبيعة نحو بيعة الله المقدسة على ما وعدها مؤسسها الالهي لكي تحافظ على وديعة الحق هي اية وجودها الخارج والداخل والتحامها طفمةً ونظامًا واتحادها تعليمًا على ما بينه العلّامة بوصويت الجليل اذ غاص متأملاً بها وباحوالها في بحر الاجيال الدابرة

فاذا كان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم قد زعم بان تعليم الكنيسة قد انفسد فان زعمه الأسبيل لان يهزاء بهِ اخوته الابروتستانت انفسهم اذ لا يصدقون على اقاويله ولا يتوهمون اوهامه فان جماعة الابروتستانت لانحيازهم عن ميادين الحق وتورطهم في تيه الاضاليل لا نعجب من ارائهم الفاسدة واقوالهم المختلة حتى وفي كلامهم عن تعليم بيعة الله المقدسة لكننا لم نرَ بينهم من حاكى الملفق المذكور بازعامه الغريبة واوهامه التي لا تخطر ذهنًا سليمًا فان عظمة بيعة الله المقدسة وبهاء مجدها وقد استقر فيها هامها غير المنظور الذي هو معها مدى الايام قد اثرت بعقول ايمة الاصلاح الموهوم انفسهم وادهشت

مشاهير علماء الابرونستانت فخروا لمآثرها الجليلة سجدًا ولم يستطيعوا كتمان الحق فباهوا باقوال كريهة لاق بنا نشرها شهادة للحق وخذلاً لمن يلفق التلفيق اغماضًا للحق

ففي تصانيف ايمة الابرونستانتية عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية المستقر فيها مؤسسها الالهي اقوال تذهل المطالعين لمباينتها اراء ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم

فان لوتيروس امامهم كثيرًا ما كان يتكلم في حال رواقه عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية وضميره يوبخه على الحاده فانه كتب الى البرنس البرتوس ببروسيا قائلاً : ان كان تعالى منزهًا عن الكذب فان الكنيسة منزهة عن الغلط . وقال في محل اخر عن الكاثوليك ان لهم برهانًا سديدًا نعسر معارضته وانه لسلاح يعسر اخذه من ايديهم كما وانه قد عسر علينا دحضه وملاشاته وهو الوعد الالهي الذي يلبث يسوع المسيح بموجبه مع الكنيسة ويستقر في حضنها فعليه كان لا بد للايمان المسيحي وليسوع المسيح ولروح الله القدوس ان يكونوا معهم

وقد زادنا اندهاشًا اسف كلفينوس وملانكتون على انفصالهما من مركز اتحاد تعاليم الكنيسة وانشقاقهما عن هامها الاقدس قال كلفينوس قد اقام تعالى سدة عبادته في مركز الارض واقام على تلك السدة حبرًا واحدًا تتجه اليه اعين الجميع لمزيد محافظتهم على الاتحاد وقد انبانا التاريخ ان ميلانكتون قد قام يومًا على قنطرة نهر الالب واضغى على حاجزها وهو يتنفس الصعداء من جرى انفصاله عن تعليم الكنيسة القديم . لعمرك الله أفما دل ذلك على ان اولئك الايمة لم يبرح في قلوبهم الاعتبار نحو الكنيسة الكاثوليكية وان كانوا قد قلبوا

المجن على تعليمها الحق

وقد شاقني كلام الذين خلفوا هولاء الايمة بمذهبهم فانك ترى مشاهير علماءهم الذين قد امتازوا عقلاً وتعليماً تكلموا عن الكنيسة المقدسة بملء الاحترام والاعتبار حتى يغث على مطالعي تصانيفهم ان يحصوهم مع اخوتهم الابروتستانت

فمن مشاهير هولاء العلماء صاموئيل بوفاندرف الصاكسي مولداً والبرليني مدفناً والقانوني الشهير في الابروتستانية والذي لا يعطي سبيلاً لان يفتري عليه مفتر بكونه لم يشمر على ساعد الهمة بمحاربته الكثلكة فلم يستطع هذا العلامة ان لا يؤدي الجزية للحق في كلامه عن الكنيسة الرومانية وعن السلطة التي تجريها في نقاوة التعليم قال: ان الغاء سلطة البابا قد زرع في العالم اغراساً لا تحصى نشأت وتنشأ عنها الفتن والانشقاق فانه لما لم تكن لدى الابروتستانت سلطة سامية تحسم الاختلافات الثائرة الشرار في كل الجهات انقسموا على ذاتهم كل الانقسام ومزقوا احشاءهم بايديهم

ومما جاء عن العلاّمة غروثيوس الهولاندي من عظم احترامه سلطة الكنيسة الكاثوليكية وسهرها على التعليم الكاثوليكي ونفوذها الخلاصي على الانفس فلا يختلف فيه اثنان حتى قيل ان بعض خلانه قدم الذبيحة الالهية لاجله بعد وفاته لما عهده من مزيد اعتبار المتوفي لكنيسة الحق وانه لخبر لا نضمن صحته وانما قد ذكرناه تاكيداً لاعتبار مشاهير الابروتستانية للكنيسة ففي احد تصانيف غروثيوس التي ظهرت بعد وفاته اعتماده على مبداء الكثلكة الاساسي وهو ان عقائد الايمان يجب حسمها بالتقليد وسلطان الكنيسة

واذا ما الحقت بفروثيوس اسم ليبنيس الذي قد ساد في كل العلوم على ما وصفه دي فونتانل اغناك هذا الشهير عن سائر علماء الابرونستانية في خذلهم طرقًا سلكها ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم بجهلهِ وعدم احترامهِ تعليم الكنيسة الكاثوليكية . قال ليبنيس اولاً في تأليفهِ الشهير الذي عنوانه الطريقة اللاهوتية انه غب ان كان قد بحث وتعمق مليًا بالجدالات الدينية والنفس معونة الله والقى جانبًا الاغراض على قدر ما في وسع الانسان سلم بتعليم الكنيسة الكاثوليكية ودافع عنه مدافعة العلماء بخصوص التقليد والاسرار وذبيحة القداس وتكريم اثار القديسين والايقونات المقدسة والطغمة الكنائسية ورياسة رومية. فللقاري الحبيب بعد اطلاعه على حكم هولاء العلماء الفخام ان يحكم على اقاويل ملفق تاريخ الاصلاح واوهامه وازعامه ضد الكنيسة وتعليمها وتكريمها الايقونات واصفياء الله الكرام (راجع الجزء الاول من كتابنا هذا في الفصل الاول والفصل الثاني حيث ذكرنا شهادات لوتيروس وكلفينوس وغيرهما من ايمة الاصلاح بشان الكنيسة الكاثوليكية)

الفصل السادس

في ان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم يقول ان الكنيسة الكاثوليكية لا تبرح في هبوط وانخفاض لمحاربتها من مذهب الاصلاح

يقول ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم ان الكنيسة الكاثوليكية في

هبوط وانخفاض كيف لا ومذهب الاصلاح يحاربها وقد قام عليها في المتراس لعمرك الله من كانت هذه افكاره وذي اراؤه وقد اشغل بهذه الاوهام اذهانه مثله مثل من اعتراه داء اليرقان فيرى ساير الالوان صفراء فلم يرَ الملفق المذكور في ما تضمنته صفحات التواريخ الصادقة المقال في احوال بيعة الله المتعال الّا سقوطًا وانخفاضًا فلا تعجب ايها القاري الحبيب. فتاخذ الافهام منه على قدر القرائح والعلوم. فكان ملفق التاريخ المذكور قد سهل عليهِ ان لا يدرك عظمة الكنيسة وقوتها ومصادمتها المحن والشدايد ونزولها ميدان الحرب العوان وقد تكلل هامها بالظفر المتواصل لكنه قد حوى من التاريخ ما وافق سوء اميالهِ نحو هذه الكنيسة الوطيدة الاركان وعد اثار جراحات اتسم بها البطل الصنديد في ميادين القتال عارًا وهي عظمة وافتخار وقد خرج من الميدان وهامه مكلل بغار الانتصار

قال ان الكنيسة قد انفسد تعليمها واخذت تهبط رويدًا رويدًا من عالي مقامها الذي كانت قد ارتفعت اليهِ بالدسيسة والحيلة وقد انحطت قواها بقوة مذهب الاصلاح الشديد البأس وكانك بها الآن تطلب الامان وتسترحم الرأفة لذلتها قلنا ولقد تطلب بيعة الله الرفق بحالها من مراحم تلك اليد التي لفقت التلفيق ضدها ونسجت الاكاذيب عليها

فهكذا قد وصف لك ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم حال الكنيسة المقدسة وقد احاطت بها جيوش المحن وقاست قسوة الامتحان وهل تعجب اذا ما هزأ بصابها الهازؤن وقد نشأت على الجلجلة ففي الصليب الذي تقاسيه قد حاكت مؤسسها الالهي وقد علق على الصليب فمنهم

من رثي لحاله ومنهم من بكي لا لامه وفريسي قد اشتفى وزنادقة قد شمتوا وقوم هزاوا واخرون هزّوا الراس ولابد لمن يشاهد مثل هذه المشاهد ان ينضم في سلكٍ فذا ينضم بسلك الاحترام وذا بسلك الاعتبار وذاك يزدري ويسخر فلماذق تاريخ الاصلاح الموهوم الخبار بان ينضم في اي سلك شاء ولما كان قد اختار لنفسهِ الهزء ببيعة الله المرشوقة بسهام القسوة والاضطهاد قلنا له اختر لنفسك ما يحلو وللتاريخ ان يضمك في سلك اخترته كما ضم من قد سبقك في القيام على الجلجلة ومخلص البشر يفدي البشر بالامه الكريمة

الآنعد قولك هزءا وسخرية بل شتمًا وتجديفًا على بيعة الله الحق وقد قلت انها غاصت بحور الوثنية وبدلت عبادة الله بعبادة الاصنام (نشرة اسبوعية عدد ١٠ سنة ١٨٧٣). فاذًا قد وضعت بيعة الاله الحق بمنزلة عبدة الاوثان وانها قد عبدتها دون الله واتخذت لنفسك انجيلاً اتيت تبشر به في ارض هي مهد الانجيل الشريف ومن جملة قولك ان قد سرى بالكنيسة ضلال بيلاجيوس فكثرت طقوسها واحتفالاتها الدينية وان من كان في حضنها توهم انه يستحق النعم بالاعمال الخارجة فاكثر هذه الاعمال وفضلها على حسن الاداب وحميد الخصال

ثم اخذت ياصاح في عدد ١١ و١٢ و١٣ (نشرة اسبوعية سنة ١٨٧٣) تصف الكنيسة وتعرفها تعريفًا من جملة تعاريفك الصادقة واننا نتكلم عن ذلك في حينهِ فيبين لك التاريخ صحيح القول من فاسده ونقول لك اذ ذاك عار عليك ياصاح ان تتكلم صدقًا حتى اذا ما اخطأت بذكرك قولاً صدقًا لم يركن اليك اهل هذه الاقطار اذ

قد عهدوك من الملفقين لا من المؤرخين الصادقين ولم يفلت من يد تلاعبك حتى ولا ايات كتاب الحق المبين فكيف لا تحرف اقوال المؤرخين

وفي تعدادك درجات هبوط الكنيسة الموهوم منك قلت في عدد ٩ (نشرة اسبوعية ١٨٧٣) ان شيئاً واحداً لا غير كان قادراً ان يثبت الكنيسة في عظمتها وهو امتيازها بالعلوم والمعارف لكن لما اخذت الشعوب نباريها في ذلك سقطت حالاً

هذا اعتبار الملفق لبيعة الله الحق التي اسستها يد القدير المتعال وان ابواب الجحيم لا تقوى عليها على ما وعدها رب الجلال وقد حققت لنا تواريخ فحول الفين جيلاً بان هذا البناء الالهي الوطيد الاركان قد هزأ بتقلبات الزمان وصروف الحدثان وما برح مرتفعاً كارز لبنان حتى حار العلماء واندهل العقلاء بعظمة بيعة الله وقوتها العجيبة فانقرضت الدول وهي تنمو وانحطت الممالك وهي تعلو وانطفأت انوار الشعوب وهي تزهو اما الملفق فلم يرَ في كل هذه العظمة والمقدرة الا هبوطاً وانخفاضاً وسقوطاً وانحطاطاً فليقل الملفقون ما شاؤا فعلى كل بيعة الله في الوجود وهي ثابتة وطيدة كالطود

ومن شهادات التاريخ التي بها قلما وجد من ارتاب هي الضمانة الالهية بين ادارة السماء وادارة الكنيسة فان بيعة الله المقدسة هي اقدم مملكة بين ممالك الارض وقد لبثت قائمة بعد انقراض كثير منها وهذا امر لا ينكرهُ من له باصرة حتى اعتجب منه اعداء الكنيسة انفسهم

ان المؤرخ الانكليزي ماكولاي الشهير ذلك الذي قال عنهُ الوزير الانكليزي جان غراهام في خطاب فاه بهِ في مجلس العموم

بانكلترة انهُ رجلٌ قد ملكت المبادي الابروتستانية فؤاده وسادت بغضة الكنيسة الكاثوليكية على قلبهِ قال عن الكنيسة الرومانية : انه لم يوجد ولا يوجد على الارض عمل يستحق ان تبحث فيهِ العقول وتتأملهُ القرائح نظير الكنيسة الكاثوليكية الرومانية

فاستتلى قائلاً : ان تاريخ هذه الكنيسة قد وصل عهدي القدن العظيمين ببعضهما فاننا لا نرى غيرها قائمًا يحدثنا عن تلك الازمنة التي كان يتصاعد فيها البخور من هيكل الالهة في الوقت الذي فيهِ كانت الضباع والنمورة تفترس المسيحيين في مشهد فلافيانوس . فان اعظم العائلات الملوكية ان هي الاَّ بنت البارحة اذا ما قابلناها مع سلسلة الاحبار العظام الذين خلف احدهم الاخر خلافة متصلة غير منفصلة من البابا الذي مسح نابليون الاول في الجيل التاسع عشر الى البابا الذي مسح بيبينوس في الجيل الثامن وان جمهورية البندقية التي لا اقدم منها بعد البابوية ان هي بالنسبة اليها الاَّ حديثة وها ان هذه الجمهورية قد انقرضت والبابوية قائمة ثابتة وان البابوية قائمة ثابتة لا في هبوط وخراب بل ممتلية حيوة وذات شبوبية نضرة . فان هذه الكنيسة الكاثوليكية تبعث برسلين حاكوا الذين اصحبوا اغسطينوس في رسالته حتى اقاصي المسكونة وان هولاء مرسليها يجسرون ايضاً على ان يخاطبوا الملوك اعداهم بتلك الجراة عينها التي تكلم بها البابا لاون بحضرة اتيلا . هذا وليس من الادلة ما ينبئنا عن دنو نهاية هذه السلطة القديمة الايام فانها قد رات بداية كل الممالك وليس من وسعنا ان نقول بانها لا ترى نهايتهن حتى انها لقد تلبثت في عظمتها ولا تبرح على قوتها واقتدارها متى سبق مرور الايام وكرور الزمان مرَّ سائح من

الاقطار البعيدة بهذه الندرة التي تمسي اذ ذاك قفرًا مقفرًا ووقف عند قناطر نهرها وهي اذ ذاك قد ذهبت فريسة الحدثان متاملاً اثار كنيسة القديس بولس ويحقق النظر برسومها . اه

فقد اتضح لكل عاقل بان عظماء الابروتستانية انفسهم وقد اشتهروا عدوانًا على الكنيسة الكاثوليكية لم ينظروا الى هذا البناء الالهي باعين الاحتقار ولم تصغر باعينهم بيعة مقدسة تمت بها مواعيد المسيح موسسها خلافًا لاعين ملفق الاصلاح الموهوم التي تصغر ما كان عظيمًا . وما هو افصح وابلغ من اقوال ماكولاي هذه الجميلة امثال كريمة جليلة قدمها لنا مشاهير الانكليز حتى بدا لك المبدا مقرونًا بالعمل لدى مشاهدتك من تسامو علومًا ومعارف بمدرسة اكسفورد الابروتستانية الجامعة الشهيرة قد كفروا بذلك مذهب الاصلاح الزاهر على ما ارتاءه الملفق ودخلوا حضن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة التي هي في هبوط وانخفاض على ما لفقه الملفق المذكور ففي حين هبوب ارياح المحن عليها وفي مقاساتها مر الاضطهاد وهي تمثل لنا بانيها على الجلجلة قد تأملها اللورد ريبون ومن حذا حذوه حديثًا في انكلترة ولم يهزاوا بها بل قال هذه هي ملكوت الله فلندخلها

الفصل السابع

في ابن الايمان العالم بامر ايمانهِ تجاه المحن والشدائد
الملمة ببيعة الله المؤتمنة على وديعة الايمان

قلنا في صدر الجزء الثالث من ردنا على تلفيق الملفقين ان في هزمنا لا فقط دحض اضاليلهم وتبيان تلاعبهم الذي لقد طالما حاولوا اقتناص السوريين باشراكه بل ان نعلم المؤمن الصادق ونرشده بامر ايمانه ولذا لما كنا قد بينا فساد اراء الملفق بكلامهِ عن المحن الملمة الآن ببيعة الله المقدسة واوضحنا سخافة دعواه بهذا الشان لاق بنا الالتفات نحو المؤمن الحبيب الذي يرى الآن حال امه الكنيسة المقدسة وما هي عليه من احتمال المحن ومقاساة الاضطهاد

سرّوا بني امي وتدرعوا بترس الايمان ها قد نزل المضمار الانام الكرام وسبقكم في الجهاد اجدادكم السوريون وكانك بي اسمع الآن صوت اغناطيوس بطريرك انطاكية الشهيد الشهير يكرر الآن نحونا ما شدد بهِ ايمان خرافهِ في حياتهِ اذ قال : فلنلبث ثابتين وغير متزعزعين ولنثبت تجاه المحن العظيمة المجيدة التي تقاسيها بيعة الله ولننشر في هذه الازمنة الشديدة راية الصبر الجميل والثبات المتين واقفين على الاقدام غير مرتجين كاننا سندان تطرقه المطارق ولا تخشى تكرارها

قال هذا مشجعاً خرافه وقد غاله المغتصبون بالقيود ليستاقوه الى رومية حيث تسحقه سنان الاسد في مشاهدها

ففي غرة الجيل الثاني من تاريخ سر فدانيا كان ترايانوس قيصر

قد سكر بخمرة العزة لقهر الداسيين والشيتيين فزعم ان تاج الانتصار يحتاج فقط الى حجر كريم وهو قهر اله المسيحيين وخاصة المسيح فقام اغناطيوس تجاه المغتصب الروماني فما لاحت من هذا قيصر الرومانيين التفاتة نحو ذاك الانسان الذي كان يعارض مقاصده ويحرك شعائر البسالة والثبات في قلوب السوريين الاَّ وقد اتقدت نيران الغضب في احشائه ونظر الى عبد الله الجليل شذرًا وصاح بصوت الغضب قائلاً: من انت ايها الشيطان الخبيث الذي لم تخالف فقط اوامري بل قد اغريت الاخرين على ان يشاركوك في عصيانك فتهلك واياهم هلاكًا. فاجابه اغناطيوس وقد تكلل جبينه بالابتهاج والقلب في هدو وسلام قال لم اسمع قط انسانًا دعى ثيوفوروس شيطانًا خبيثًا فان كنتَ ايها الملك تدعوني شيطانًا لكوني القيت الرعدة في قلوب الشياطين فاني افتخر بهذا اللقب الجديد. قال الملك ومن هو ثيوفوروس. قال القديس ان ثيوفوروس هو الذي يحمل المسيح في قلبه. فما كان من ترايانوس قيصر الاَّ وقد ازداد غضبًا لمقاومة عبد الله الشهيد فصاح قائلاً: اننا نامر بان اغناطيوس الذي يفتخر بحمله المصلوب يغلل بالقيود وتقوده الجنود الى رومية العظمى فتفترسه الوحوش الضارية في مشاهدها انشراحًا لصدور شعبها

فلما تاكد اغناطيوس الغيور انه مزمع ان يقدم نفسه ذبيحة في مشهد رومية شهادة للايمان طرب لهذه الغبطة السنية ولم يعد ينشغل اذ ذاك الاَّ بصالح خرافه الكريمة وحثهم على الثبات وانهم ولئن غاب عنهم يقاسون بالصبر الجميل عن تلك العاصفة الشديدة على بيعة الله المقدسة في المشرق وما برح يكرر عليهم النصيحة المار ذكرها قائلاً

فلنابث ثابتين وغير متزعزعين نظير السنديان تحت تكرار طرقات المطارق

فعلى هذه الصورة كانت المحن والشدائد التي تلم ببيعة الله المقدسة في ابتدائها تلقي شعائر الهمة والغيرة في قلوب المؤمنين فيتكلمون بمثل هذه الاقوال الجليلة فهذا كلام فاه به احد الاباء الرسوليين وقد دُعي هذا القديس وغيره من اباء الكنيسة بهذا اللقب الشريف لقرب اعصارهم من عهد رسل الله الكرام

ان بين كلام اغناطيوس الشهيد الاب الرسولي وبين كلام رسول الانجيل الجديد الساعي بنشر على السوريين بونًا عظيمًا واختلافًا جسيمًا في ما يطرا على بيعة الله تعالى من المحن والشدائد فلندع صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم يفوه بما يشا وبيعة الله تخوض ميادين القسوة والاضطهاد ولنذكر لابناء الايمان ما من شانهِ ان يوطد اركان شجاعتهم ويشدد حبال بسالتهم ويشرف اخلاقهم ويحيي سمو مقام النفس الابية في ايام المحن واوان الشدائد فاننا اذا ما تاملنا الاحزان وتبصرنا بالاكدار تاملاً وتبصرًا يليقان بابن الايمان شددت احزان بيعة الله ايماننا واحيت اتكالنا

فان المحن تشدد ايماننا لاننا قد سبقنا وعرفنا بحلولها وقد انبانا النبوات بها فاذا ما حلت كلمات النبوة وان المحن تحيي اتكالنا لان معلمنا الالهي اذ قد سبق وانبانا بها وعدنا في الوقت نفسه انه يساعدنا فافتحوا الاسفار يا اولي الابصار فترون مستقبلاً اعدهُ مؤسس البيعة لبيعتهِ المقدسة. لعمري انه لمستقبل غرس باشواك المصاعب ونزل فيهِ ابطال الايمان ميادين الجهاد غير ان معونة الله درع منيع تقي

الابطال من سهام الوبال فقد ترنمت الانبياء بمجد بيعة الله ونشدوا عظمتها وبهاءها اما المسيح منشيها فقد انذرها بالاحزان وانباها بالمحن وصرح بذلك كل التصريح وعبر عنه ببليغ التعبير فاتضحت اقواله بهذا الشان كالشمس في رابعة النهار فادركها تلامذته الصادقون وخاصته الحقيقيون . لعمري هل اوضح من هذا المقال حيث المسيح قد قال اني مرسلكم كالخراف بين الذئاب (متى ١٠ : ١٦) . ويسلمكم الاقارب والخلان للقضاة واولياء الاحكام (لوقا ٢١ : ١٢) . واذا ما ضحوكم صاحوا متهللين كانهم قدموا ذبيحة لله (يوحنا ١٦ : ٢) . هذا ما جرى على بيعة الله في هذا الزمان وفي كل زمان . لعمري فانها اقوال تلقي الرعدة حتى وفي قلب رسل الله الكرام غير ان المنذر بها قد استتلى كلامه قائلاً : ان العالم يضطهدكم لكن ثقوا فاني قد غلبت العالم (يوحنا ١٦ : ٣٣)

ولاجل ان يزيد المعلم الالهي نبوانه بهذا الشان ايضاحاً قد اعلن اية حمايته الجليلة في اجمل الفرص واجلاها . هل فاتكم ذكر تلك السفينة السريعة العطب التي حملت مرة حامل الكون واستقر فيها المستقر في حضن كنيسته المقدسة فلم يكن هذا الاله القادر على كل شيء ليترك سفينة الخلاص كنيسته في حال المحن والشدائد الثائرة عليها في مرور الزمان وتوالي الايام والاجيال كما انه لم يهمل تلك السفينة الخائضة مياه بحيرة طبرية في عهد بشارته الجليلة . فاذا ما تاملتم الامواج قد جاشت حينيذ على سفينة بطرس وهاجت فاعلموا ان فادي البشر قد سمح بذلك وهي اية اجراها مخلصنا ليوكد لنا فعلاً قوله النبوي بانه يكون امينًا في وعده فيكمله في حينه لكن تذكروا ما

قاله المخلص لذلك الرسول المستولي عليه الوجل لم لا تؤمن يا قليل الايمان (متى ١٨ : ٢٦) . قال هذا وامر البحر فسكن والعاصفة فهدأت . قال الكتاب وصار هدو . فما اجراه المخلص رمزاً في اثناء تلك العاصفة فانه يجريه الآن حقيقةً وفعلاً وجيوش المحن تحيق ببيعته المقدسة وامواج الاضطهاد تلاطم سفينة الخلاص واني لمؤمل طول العمر لان يهزأ بالبيعة وهي الآن على الجلجلة نظير بانيها حتى يرى نهاية هذه المحن وقد راها الناس اجمع في بحر الاجيال الدابرة فانه بعد مرور ثلاثة اجيال طغى فيها طوفان الظلم على بيعة الاله المتعال وقام على الله وعلى مسيحه ملوك الارض وخيل ان ابواب الجحيم قد قويت على بيعة القادر على كل شيء وغرّق ديوكليتيانوس قيصر الارض بدم المؤمنين واقام عواميد الظفر وقد نقش عليها كتابة مخلدة الذكر وهي : ذكرًا للاسم المسيحي الذي تلاشى الى الابد وذكرًا لخرافات المسيح التي انمحت الى الابد : وقد نهض اذ ذاك الانفس الوطنية تهلل لسقوط الكنيسة كما تهلل بصابيها الآن الاقوام واذ في الغد قد نادى المنادي بان سفينة الخلاص قد نجت وبيعة الله قد انتصرت ولاعدائها قهرت وعلى سرير العز قد جلست مع قسطنطين عزها وهيلانة ابنتها

الفصل الثامن

في ان صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم قال ان الكنيسة الكاثوليكية قد خصصت العلوم بنفسها نظير كهنة مصر في الازمان القديمة

قد افتتحت النشرة الاسبوعية السنة ٧٥ الجديدة بجديد الهدايا الغريبة وجميعها على نفقة صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم ففيما قاله بالعدد المذكور رد على القطع التي نشرها البشير تنديدًا لازعامه ودحضًا لفساد تعاليمه. غير ان المؤرخ المذكور قد غير الآن نفس كلامه وعدل عن ارتداع السهام على ما حاول في سابق الايام ومهما كان الامر فان جوهر اقاويله واحد وان اختلف تعبيرًا

كان صاحب التاريخ قد زعم ان الابروتستانية قد نحت المعارف وفتحت ميدانًا للصنائع الجميلة فرد البشير على هذه الزيوف التي لقد طالما راجت والابروتستانية في هيجانها والتعصب يلعب في ميدانها. غير انه لما هدأت الحال وسكنت زعازع الضلال بانت غرابة تلك الازعام واضمحلت الاوهام حتى هزأ علماء الابروتستانية انفسهم بتلك الاقاويل وخجلوا من ذكرها في ميادين اليقين وان مؤرخي مذهب الاصلاح انفسهم المشاهير قد بينوا فسادها واثبتوا عدم صحتها وقد ذكرهم البشير باسمائهم وتصانيفهم والحجج التي اسندوا اليها اقوالهم

اما صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم فقد اصر على غيه وابى الاّ ان يؤيد ازعامه وقد نادى بها على رؤس السوريين لكن لا بالبوق والنفير على ما من عادته بل بصوت منخفض لكنه مهما حاول وغير

صوته ونبرفع فانه ناشر امور لا صحة لها

قال في افتتاح سنة ١٨٧٥ ان لوتيروس قد اعتق العلوم من ايدى الخوارنة الذين كانوا قد خصصوها بانفسهم نظير كهنة مصر في الازمان القديمة . . . حتى قال : فلندع المذهب الباباوي يفتخر بكونه اعضد للصناعات اللطيفة من المذهب الابروتستاني فان المذهب الوثني كان اعضد لها من المذهب الباباوي وافتخار المذهب البروتستاني ومجده مبني على شيء اخر وهو بعده عن كل ما يلاحظ الكائن الادبي

فيالجمال هذه المقال وبديع هذه الاقوال فقد نسقها الملفق باساطين ونسى ذاته ونفس اقاويله فبالامس كنت ياهذا تقذف الشتائم على البيعة الكاثوليكية وقد اعزيت لخدمتها الجهل المذموم وقلت ان تهاونها بامر العلوم وتغاضيها بالمعارف دليل كاف على وشك سقوطها . ثم نسيت ما في التواريخ الصادقة والاثار الصحيحة التي تكذبك كل التكذيب اي نعم انه من دأبك ان لا تذكر اقوال التاريخ ولا تدخل بتفاصيلها بل اكتفيت بالقول ان التاريخ الصادق يؤيد كلامك فاذا كان ذلك فاننا نقوم مقامك بهذا الامر الاهم ونذكر لك شواهد التاريخ الصحيح ولاحرج علينا اذا ما نهض القول الحق عليك واخجلك القول الصدق وكذبك كل التكذيب بدعواك ان مذهبك الاصلاح قد سعى بالكائن الادبي لعمري اننا نشفق على حالك لكثرة خطائك فلِمَ تعطي سبيلاً لاخصامك فيرشقونك بسهام الانتقاد الصائب

فاننا نقبل منك هدية اهديتها في راس هذه السنة المباركة وهي ما يسمونه صباحية وكذبناك اولاً بما تدعيه زاعماً ان العلوم قد خصصها خوارنة الكثلكة بانفسهم دون غيرهم ثانياً بان مذهبك الابروتستاني

قد انشغل بجمال الاداب وهو الامر الجوهري بالمسيحية وكان المذهب الباباوي دونه في ذلك

اما القطعة التي نشرت فيها الازعام فعنوانها تعليم العامة فقلت: ان لوتيروس قد اجتهد باهم اجتهادات الاصلاح وهو انه اعتق العلوم من ايدي الخوارنة الذين كانوا خصصوها بانفسهم نظير كهنة مصر في الازمان القديمة

مهلاً يا ايها الملفق فان في ذا الخلط ما يعيب احد رعاع الناس ويشين اولاد المكاتب انفسهم فما حال من ادعى علم التاريخ وحاول الانضمام بصفوف المؤرخين وهو لا يعلم ما في صفحات التاريخ نشدتك الله قل لنا هل تلقي الحاظك على تاريخ القرون الوسطى ولا ترى انه في عهد كارلوس الكبير قد فتحت المدارس في مدائن الاسقفيات وفي الاديرة وفي قصور العظماء والشرفاء ترى من كان يدير هذه المدارس انما هي كنيسة رومية العظمى التي بمراسيمها ومراسيم مجامعها قد نشرت العلوم والمعارف بتلك المدارس وحركت همة معلميها ونشاط متعلميها وفقاً لرغائب الملك الموماء اليه وفي الجيل التاسع ازدادت المدارس شهرةً وامتازت مدارس كثيرة نظير مدرسة فولدة ومدرسة روشينو وقد وصف لنا التاريخ مدارس ريمس وشارتر وبيك وليج وطورناي وما بذلته الكنيسة فيها من الغيرة والاجتهاد حتى اصبح كلٌّ من الاديرة مركزًا للتمدن بتعليمه الوضيع والرفيع وتلقينه الصغار والكبار وكان للاسقفيات مدارس يضع فيها الاباء اولادهم منذ حداثتهم فيتعلمون فيها العلوم ويتهذبون احسن تهذيب وكانت الاساقفة انفسهم يديرون هذه المدارس ويديرونها بل يعلمون فيها ففي الجيل الحادي عشر رأينا

كثيراً من الاساقفة قد اداروا مدارسهم بانفسهم نظير فولدبرتوس اسقف شارتر ونوتجر وفازون اساقفة ليج وجيلبرتوس اسقف ليزيو وقد اضربنا عن ذكر المدارس الجامعة التي هي مركز العلوم العالية على ما عدده البشير في القطع التي نشرها في الجزء الثاني من هذا التأليف كما واننا نضرب عن تعليم اللغات العلمية التي قد سمت به بعمة الله قبل ان ظهر لوثيروس الى الوجود

فهذه حقائق نسقها التاريخ الصادق وقد اطلع عليها كل من القى الحاظه على صفحات التاريخ ومن رام الوقوف على هذه الحقيقة فدونه وتاريخ مابليون مجلد ٣ وجه ٣٣٠ و ٣٣١ وتاريخ مرتين مجلد ٩ وجه ١٠٦٩ وتاريخ الاداب في فرنسا مجلد ٩ وجه ١ الى ٣٠

فاذا ما تصفح صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم هذه التصانيف النفيسة الا يخجل لنشره تلك الاساطير والا يندم على اذاعته ما فيه تكذيبه وهو المؤرخ الصادق على ما زعم والا يغطي الحياء وجهه وقد دس حقوق اللياقة والاداب

قل لنا ايها الملفق الذي اعتديت على الكنيسة الرومانية الباذلة مجهودها بارضاع الصغير والكبير ابن المعارف والعلوم ونشرها التمدن والاداب بمدارسها ومكاتبها وقد صارت كلاً للكل لتربح الكل لم انقمت مفتريا عليها اذ شبهتها بكهنة مصر الذين كانوا يكتمون معارفهم ويخفون كنوز اسرارهم فقد قدمت لطالعيك اساطير ك صباحية في صباح هذه السنة المباركة فرددناها اليك اذ انها زيوف فالقها في خزاينك فدرهم الزغل لا يروج

الفصل التاسع

في ان صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم قد زعم بان مذهب الاصلاح يفوق الكنيسة الكاثوليكية بامر الاداب

قد تكلمنا عن تلك الهدية التي اتحفت بها النشرة الاسبوعية لسان الابروتستانية مطالعيها في غرة هذه السنة ١٨٧٥ وانها لعمري صباحية غالية الاثمان لم نبين حتى الآن تمام عظمتها وكمال بهائها وما ذاك الاّ لنبقي الخمرة الجيدة الى الاخر فلم يكتف صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم بان يدعي زاعمًا بان الكنيسة الكاثوليكية قد اخصمت العلوم بقسوسها فماكوا قسيسي مصر الاقدمين حتى ظهرت الابروتستانية فعمت العلوم بين الشعب بل قد ادعى ايضًا بان لمذهبه الاصلاح فضلاً اعظم وهو تساميه بالتعليم الادبي . زعم هذا واكثر فيه المقال وهاك بعض عباراته قال : فلندع المذهب الباباوي يفتخر بكونه اعضد للصناعات اللطيفة من المذهب الابروتستاني فان المذهب الوثني كان اعضد لها من المذهب الباباوي وافتخار المذهب البروتستاني ومجده مبني على شيء اخر وهو بحثه عن كل ما يلاحظ الكائن الادبي :

فلو كان الكاثوليكي يرغب في حرب يسهل نزول ميادينها ويفتخر بالانتصار على عدو متسلم النبال لكنا نسر لا بعض السرور في ميدان الجدال مع صاحب تاريخ الاصلاح فمع ذلك اذ كان لابد من دحض اقاويله رضينا بمنازلته وقد تسلحنا عليه بالتاريخ الصحيح

لا اقتضاء لكثرة البحث في صفحات التاريخ بل كفى مجرد القاء اللحظ عليها فتفاطبك بصريح العبارة ووضوح المقال حتى ادرك اقوالها

الرفيع والوضيع والعالم والامي معًا فيعلم كلٌّ فعل الكنيسة المحيي الاداب والمزيد بهائها في الالفة المسيحية ويحقق ما غطى هذه الالفة من الخزي والعار لتعليم مذهب الاصلاح في ما تعلق بالكائن الادبي

فاذًا فلنحكّم التاريخ وندعه يتكلم بفصيح العبارة ووضوح المقال لكن لما كان الملفق منطيقيًا صرفًا اقتضى اولاً حصر المسالة ووضع حدودها اذ ان الكلام انما هو في احياء وانهاض فعل الكائن الادبي من الكنيسة ومن مذهب الاصلاح بمعزلٍ عن فعل الافراد. لان ما اودعه تاريخ الاصلاح من افعال ذويه الادبية ان هو الاَّ مشهد يحزن الفواد وينفر القلوب بل هو سيف بتار يحسم بيننا الجدال. فمن ثم ينهض المنطيقي ويقول لا تخرجنّ عن حدود المسالة فانما يقتضي البحث في الحوادث الناشئة راسًا عن مذهب الاصلاح وهو مصدرها وهو المسئول عنها وهكذا قل عن تاثير الكنيسة الكاثوليكية ضاربين عن اعمال الافراد اذ ان المسئولية الفردية تقع على الافراد لا على مذاهب الافراد. فاذا كان ذلك حمدنا راي الملفق واطمانت منا الافكار اذ قد وضعت القضية حدود لا يسوغ الخروج عنها. هلمّ اذًا ايها التاريخ الصادق واحكم بعدلك بين المتقاضيين

فان التاريخ قد ذخّر لنا امورًا تبين جليًا ضعف مذهب الاصلاح الموهوم وخلله بامر الاداب وقوة الكثلكة الحية والمحيية ومزيد عزمها وشديد بأسها فعلى ارباب البحث ان يختاروا امرًا من هذه الامور وقد اخترنا نحن قضية رئيسية في الاداب المسيحية فنعرض هذه القضية على محكمة التاريخ. ترى هل من قضية اهم واعم في الاداب المسيحية من قضية عقد الزيجة وقداستها والزيجة هي الحجر الاول في اس

بناء تمدن الجنس البشري فعليه هات الآن نرى الخصمين في ميادين العمل وقد اعد مؤسس الكنيسة الالفة المسيحية بهذا العقد الشريف والسر الكريم زرعًا مباركًا وهو عدد المختارين في ملكوت الله

يا للعجب كل العجب انك ترى الكنيسة الكاثوليكية تجاهد جهاد الجبابرة بمحاربتها شهوات المقتدرين وامیال المتسلطين صونًا لحرمة الزواج وحفظًا لقداسته . هذا والحرب عوان وقد كثرت المحن وتعدد البلاء وتعاظمت الظروف واشتد النزاع والكنيسة بطل صنديد لا ترجع الى الوراء وصخرة صلدة لا تزعزعها رياح الاضطهاد وعواصف الجور والغضب . فقد توعدها القوم وتهددوا ولم ينالوا منها ادنى تساهل ولا ادنى تسليم بما يغاير تعليم المعلم الالهي بيد انّا رأينا الابر وتستانية لم يغيم السحاب في الافاق الّا وقد هلعت جزعًا لئلا تتكدر كأس مودتها مع احد المقتدرين وهو ليس من طبقة الاولين فسلمت له الابر وتستانية وتذللت ورخصت له باكثر من زوجة وعرّضت قداسة الزيجة لفساد الشهوات

وان ذي لحادثة شهيرة لا يختلف على صحتها اثنان وقد صانها التاريخ في صفحاته كل الصون فلا يرتاب بها مرتاب ولا يأولها اولوا التأولات الى ما شاؤا من المواربات . وهي مسالة فيليبوس لاندغراف هيس احد خلان لوثيروس المشاهير ذاك الذي كثيرًا ما قد عضد ابة الاصلاح بالسلاح وساعدهم بسيفه البتار على ادخال انجيلهم السلام فقد عضد فيليبوس المذكور الانجيل الجديد واحسن في ذلك الخدمة فطلب من ثم جائزة وهي بعض ما يستحقه وانه لعمري طلب عسرت اجابته وان الطالب ملكًا وليس لسلطان تركه الرب على الارض

استطاعة لاجابة مثل هذا الطلب بل انه لمجرد اسماعه يرتاع كل ضمير مهذب بوجب ادارة الانجيل . فمع ذلك ان الابروتستانية تفتخر بالكاتن الاسبي قالهُ الملفق وقد اتضح صدقه في هذه الحادثة وهي انه بعد تلك المشورة ذاتت الشك الذي تشاور فيها لوتيروس امام الابروتستانية مع امامها الاخرين اعني بهما بوسر وميلانكتون رخص لوتيروس المذكور لخليله المرقوم بالاقتران بزوجتين معًا لكن بشرط ان تلبث المسالة في الاسرار ولا تفتضح وتشتهر على ما في نص الصك المحرر في الالمانية بامضاء لوتيروس وبوسر وميلانكتون

فهذا تعليم مذهب الاصلاح اصلاحًا للاداب وقد امضى الصك المبرز بهذا الشان اخص ايمة الاصلاح وسطروه بخط يدهم على ما في سجلات التاريخ . غير اننا نقول انها توجد ظروف تخفف ثقل المادة ولنا من العدل ملاحظتها وقد ذكر لنا التاريخ هذه الظروف فان الامير قد التمس الرخصة المذكورة ثقيلةً لضميره وصونًا لهُ من شبق شهوته وكثرة فسقه على ما قرره في رقيم الالتماس . وزد على ذلك ان الامير المذكور كان بجرد سيفه مدافعةً عن الانجيل الجديد . قال اني متى عرضت نفسي للحرب محاماةً للانجيل امسيت فريسة الشيطان اذا ما رماني الرصاص اوضربني الحسام وقد اتضح لديَّ باني مع زوجتي لا اقدر ولا اريد اغير سيرتي الله يشهد عليَّ بذلك . فبعد تقرير هذه الاسباب الموجبة على ما يتضح لكل عاقل ولي المشورة المذكورة زواج ثانٍ بجبوة الزوجة الاولى الشرعية وقد برأ الامير المذكور اذ قد صرح بانه لم يتزوج بزوجة ثانية مع وجود الاولى عن خفة او عن رغبة مخرفة بل الضرورة موجبة لداعي جسده وضميره

وليس هذا عمل الاصلاح الموجب العار وحيد ومفرد في هذا الشان بل ان رب الاصلاح تورط في ذلك لا بعض التورط اذ انه في تفسير الكتاب المقدس قد بذل مجهوده ليتزل هذا الخلل بالادب منزلة مبداء يعول عليه. قال في تفسير سفر التكوين: انه نظرًا لتلك المسالة وهي هل كثرة النسا مباحة اقول ان ذا امر غير مباح وغير محرم ونظرًا اليّ فاني لا احسم شيئًا بهذا الخصوص. فما قول العاقل بهذه الاداب التي سنها امام الاصلاح الاول افما ان ميله قد اعماه ترى هل من يعلّم بل هل من يطيق استماع مثل هذا التعليم في النصرانية وهل توفيق بين وحدة النساء وكثرتها في تعليم الانجيل. افما ان تعليم المسيح قاطع بات في امر الزواج لا يشوبه لبس. لكن ما العمل فقد قال الملفق ان البروتستانية تعلو الكثلكة بالكائن الادبي فان كلام الانجيل واضح من ان يحتاج الى التبيان وان رب الانجيل قد حسم مسالة الزواج حسمًا قاطعًا وعين بعلاً واحدًا لامراة واحدة مدى الحيوة اما امام الاصلاح فقد سد اذنيه عن تعليم الانجيل ولاجل ان يستر عار تعليمه اخذ يسبل عليه وشاح مثال اباء العهد القديم وقد فاته بان رب الانجيل قد استدرك ذلك وقال: من البدء خلقهما الله ذكرًا وانثى فذكر وانثى قد اخرجهما الله من العدم وزوجهما ببعضهما

فاذا كان ذلك لم يتبق لمن يجند لمذهب الاصلاح بامر الاداب الّا ان يخجل لعار يغطي وجهه وينوح على هذا العمى المريع ومع ذلك ترى صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم يدافع عن الابروتستانية ويزعم انها تعلو الكثلكة بامر الاداب ولقد يصدق بما يقول اذا ما عضده المنطيقي واخذ يبز المميزات ويقول نعم قد اصاب الملفق وانا

نصدق على ايرادتها بان الابروتستانية تعلو وتفوق. كيف لا وقد فاقت الابروتستانية كل مذهب بدوسها كلام الخلاص الصريح بارجلها وهتك حرمة الانجيل الطاهر. لعمري ترى ما الذي كان حل باللغين المسيحية لو سار جماهير الابروتستانت بحسب تعليم مذهبهم ونفذ لا ايتهم لعمري لما كانت حادثة لاندغراف هيس قد انحصرت به. لكن الكثلكة كانت قد غرست في قلوب تلك الجماهير حرمة سر الزيجة وبحبت في عقولهم تعليمها الصحيح بهذا الشان فتركوا ايتهم يعلّمون ما شاؤا كما انهم كانوا قد تركوهم يعلمون عن مبدا اختيار الانسان وهو اس مبادي الاداب على ما بينا مرةً فانحصر تعليم ايتة الابروتستانت داخل دائرة الكلام ولم يدخل دائرة العمل لان تعاليم الكثلكة كانت قد اشغلت القلوب عن هذه التلفيقات فكان المتمسكون بمذهب الاصلاح احسن من ارباب واعقل من ايته وفي نفور تلامذة المذهب من مبادي المذهب التي علمها ايته ما يدلنا على ان هذا المبدا من مبادي اداب وانهُ قد رغب فيه

الفصل العاشر

في ما يقرره التاريخ عن مزيد محافظة الكنيسة الكاثوليكية على الكائن الادبي

قد تقرر لدى مطالعيه حال مذهب الاصلاح الموهوم تجاه معهد الزيجة هات الآن نسمع شهادة التاريخ وصدق تقريره عن الكنيسة الكاثوليكية تجاه هذا العقد الاهم في الالفة المسيحية

ان الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ما برحت منذ دقيقة انشائها ويوم اعتلائها سيدًا قاهرًا كل شهوة وملكًا لا يخدعه التمليق وحصنًا منيعًا لا يخشى عدوًا وجبلاً وطيدًا لا تزعزعه صواعق الوعيد ورواشق التهديد. فلم تكن هذه بيعة الحق لتوافق الضلال وتتساهل مع شهوات البشر في ما يمس طهارة الاداب ويغاير تعليم الانجيل وهب قد خسرت مما لك برمتها وتوعدها ملوك الارض وتهددوا فانها تجيب على ظلم عظماء الارض وعدوانهم قائلة لهم: لا نقدر

وهب قد مقت احد ملوك الارض زوجته الشرعية ورام فسخ الزواج المقدس فانك ترى الكنيسة المقدسة قد نهضت عليه واجرت مل سلطانها الالهي وما ملوك الارض تجاه حرمة شريعة الله المقدسة الا بمنزلة اخر تبعتهم لديها. وهب قد نهض هولاء العظماء وقاوموا سلطانها فان الله تعالى موسسها ينهض الى معونتها ويؤيد سلطتها بعين عنايته الساهرة عليها وبسيف قدرته الضابطة الكل. ازمع لوثير ملك لورين على ان يطلق زوجته الشرعية الملكة تيتبرج ويأخذ بدلاً منها المسماة والدراد فما ادراك ما الحيل المنسوجة تنفيذًا لمارب الملك. غير

ان الملكة استغاثت بنائب المسيح على الارض فبحث هام بيعة الله في المسالة وايد صحة الزيجة الشرعية فاستشاط الملك غيظاً وتوعد وتهدد وعلى سلطان بيعة الله تمرد. فتسلط عليه البابا نيقولاوس بسلطانه الالهي حتى فصله من شركة المؤمنين. واذ قد دخل الملك بعد حين رومية والتمس الصفح عن عصيانه والقبول في حضن بيعة الله ثانية. فالتفت اليه نائب المسيح على الارض وبيده جسد الرب وقال: ان كنت صادق الارتداد وترغب في ان تصلح الشكوك التي سببتها وتقصد حقيقة تتميم الشروط المفروضة عليك من بيعة الله تعالى تقدمن من جسد الرب لكن ان كنت باطناً على خلاف ذلك لا تتقحن وتدنو من جسد الرب. غير ان هذا كلام نائب الله وقهرمان الله لم يؤثر في قلب الملك الصخري فدنا واقتبل جسد الرب وخرج بعد ذلك من رومية وقد سر اذ لم يتبق عليه ما يخشى عواقبه. غير ان العالم بخفايا البشر لا مهرب من يديه. قالت التواريخ ان تلك السنة كانت ضربة على شرفاء المملكة واعيانها اذ قد هلك فيها جميع زعماء الملك الذين خامروا معه وصدقوا على ارتداده الكاذب وقد امهل تعالى الملك برحمة عله يحسن الارتداد اليه بالتوبة. اما الملك فانما قد ازداد طمعاً برحمة الله تعالى وتوهم انه سيفلت من ايدي الله الرهيبة لكنه لم يدخل شهر آب وكان الملك قد دخل مدينة بَلَشنسة الاّ وقد استولت عليه الاسقام فانهكته وفي الساعة الثانية من منتصف ليلة الثامن منه ظهر امام منبر الديان الرهيب. ما ارهب احكامك يا الله. قال روح الله القدوس ان الله لا يهزأ به. هذا ما روته تواريخ الجيل التاسع من سر الفدا

لكن ترى هل رجعت الكنيسة عن عزمها في بحر الاجيال المقبلة

لا لعمري فانك تراها لا تبالي بوعيد البشر وتهديدهم كلما اقتضت المدافعة عن عقائد الانجيل وآدابه الشريفة

انبأنا التواريخ عن فيليبوس اغستوس ملك مملكة الافرنج انه قد رام ان يطلق الملكة انجلبرج زوجته الشرعية وكان قد تزوج بها بعد وفاة ايزابيلا زوجته الاولى وكانت انجلبرج الموما اليها من الدانيمارك شقيقة الملك كانوت الثالث. فاستقبلها فيليبوس اغستوس بمدينة اميين حيث كان قد ذهب لقائها وتكللت ملكة بمدينة ريمس في رابع عشر شهر آب سنة ١١٩٢ ولم يلبث الملك ان ملّ منها ورغب في ان يطلقها واخذ يبحث في حيلة تسوغ له ذلك شرعًا فادعى القرابة المانعة بينهما ولسوء الحظ قد وجد اساقفة اظهروا ضعفهم تجاه ارادة ذلك الملك القدير فحكموا على الملكة بحضورها ولم يهتموا بها ولا يسمعوا كلامها ولم تكن الملكة تعلم بما هو جارٍ ضدها لعدم معرفتها الافرنسية. واذ قد بلغها ترجمانها المسالة فحارت منها الافكار واخذت تبكي وتذرف الدموع ولما سمعت هذه الكلمات بالافرنسية قائلة: فرنسا عاطل. فرنسا ما هو طيب. لكن رومية رومية. نعم استغاثة تستغيث بها البرارة على الظلم في ديوان اقامه الله على الارض لينصف المظلوم من شهوات البشر المفسودة وامياله المنحرفة ولم يعبأ هذا الديوان العالي بوعيد المقتدرين وتهديد المتسلطين في محاماته عن وديعة الدين. وكان اذ ذاك قد جلس على السدة الرسولية اينوشنسيوس الثالث فاعرضت المسالة على ديوانه وجرى فحصها على ما يليق باهميتها ولما اتضح ان شهوة الملك تطلب حلاً مغايرًا لشريعة الانجيل نهض عام بيعة الله بمزيد العزم يدافع عن الاداب صحة المسيحية ويحامي عن حرمة

الشريعة الانجيلية وسأل الملك ان يسترجع زوجته بدون مراجعة . فاخذ الملك يقاوم وقد سكر بخمرة الشهوة فلم تلتفت الكنيسة الى غضبه وهو يعارض قداسة تعليم الانجيل حتى اذا ما ابى الملك الاصغاء واصرّ على غيه عنادًا رشقته الكنيسة وملكته بسيف سلطانها الالهي الى ان اذعن واسترجع زوجته فاسترجعت البرارة حقوقها

هل فات مطالعيه امر هنريقوس الثامن ملك انكلترة وقد ذهب فريسة شهوته المفسودة فانه قد بذل كل الطرق ملتمسًا من الكنيسة طلاق كاترينا داراغون زوجته الشرعية لكي يتزوج بجنة دي بولين . فقد توسل تارةً وتوعد اخرى فذهبت مساعيه فارغة ولم تلتفت الكنيسة الى سابق مدافعته عن حقوقها ولم تغض الطرف عن اداب الانجيل لتخلص مملكة انكلترة برمتها وقد تهدد الملك بفصلها عن الكنيسة الكاثوليكية بل وانه يسلمها للاراطقة . فقالت الكنيسة اذني عن الغشاء صماء . فان الكنيسة ان هلكت الممالك باسرها وبادت هذه وكنوزها بل ان انقدت نار الاضطهاد على البيعة وروسائها فان الكنيسة تموت باعضائها وروسائها ولا تخون وديعة العقائد المقدسة والاداب الشريفة

فقد اخترنا مسالة الزيجة وحدها من مسائل الاداب الانجيلية لمقابلة الكنيسة الكاثوليكية ومذهب الاصلاح الموهوم بالنظر الى الكائن الادبي على ما رغبت فيه النشرة الاسبوعية . لكن لعمري ان ما بيناه بهذه المسالة يمكننا ان نبينه بمسائل شتى فخرًا للكنيسة الكاثوليكية وخزيًا لمذهب الاصلاح الموهوم . فما قول العاقل بوجوب حرمة السلطة المدنية الشرعية افما انه لولا هذه الحرمة لسادت الثورة دائمًا

واستولت الفتن ابدًا فليراجع القاري الفصل الخامس من الجزء الاول من هذه التصانيف فيرى اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بحرمة المبدأ المذكور ويرى فساد الابروتستانية به. وما قول العاقل ايضًا عن مبدأ المبادي الادبية اعني بهِ مبدأ الاختيار البشري وقد تكلمنا عنه في الجزء الثاني من هذا التأليف وبينا فيهِ تعليم مذهب الاصلاح الموهوم عن الاختيار المذكور. وقد سعى ايمة الاصلاح بان يدخلوا مبدأ حرية تهدم الاداب المسيحية من اساساتها. قلنا ونكرر المقال انه لو لم يكن الشعب الابروتستاني احكم واعقل من المذهب وتعليمه ومن ايمته ومبدعيه لتلاشت التعاليم المسيحية ومبادیها الادبية في حضن الابروتستانية. ومع هذا قد نهض ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم مدعيًا بان للاصلاح الموهوم ان يفتخر بالكائن الادبي على الكنيسة الكاثوليكية

الفصل الحادي عشر

في اصل الحبرية والبطريركية بكنيسة يسوع المسيح على ما زعمه صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم

ان رمت الوقوف على اقوال من لا يدري ما يقول وشئت بهذه المفاكهة ان تشرح منك الصدور فدونك ومطالعة خرافات صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم عن اصل الحبرية والبطريركية بكنيسة الله تعالى. لعمري ان ما قد فاه بهِ بهذا الخصوص وعرى عن شعائر المعارف والعلوم قد مس جميع العلوم المتعلقة بشرح كتاب الله الشريف اي انه قد مس علم اللاهوت وعلم الفلسفة وعلم

اللفاظ الكنائسية وما شاكل ذلك . فمن ثم لا سبيل لنا للرد اذ لا رد على ما لا يستند الى مبادي علمية فكيف الى ما ليس فيه رائحة المعارف بل هو هذر محض. لكنه لما كانت غايتنا ليس دحض الاضاليل فقط بل تعليم ابناء بيعة الله وتبيان المبادي الصحيحة المبني عليها ايمانهم تكلمنا عن اقوال الملفق المذكورة خصوصاً اذ قد مست امورًا اهم وهي سلطان بيعة الله الاعظم الذي من جملة ما يحملنا على الكلام عليه والمدافعة عنه الحرب الحالية المشتعلة النيران على السدة الرسولية ولهذا السبب الاخير حصرنا كلامنا فيها الآن ضاربين عن البطريركية فاننا نتكلم في حينه عن هاتين المرتبتين في بيعة الله المقدسة وقد اكتفينا الآن بان نرد الملفق بمجرد قوة التاريخ لاغير . فان استفاد فيها والاّ قد استفاد ابناء الايمان بما يتعلق بالايمان اذ يرون ان كل الادلة الراهنة قد اجتمعت على الملفق حتى قام عليه ابناء مذهبه واية مذهبه فكذبنا باقوال المذهب مؤرخ هذا المذهب فنعم التاريخ المودع مثل هذه الاقوال العارية عن الصحة. فعلى زعمه ما الحبرية الاّ اختراع بشري لم يذكرها الكتاب وقد ضادها الانجيل . قال هذا ولم يعلم ان التاريخ وحده كاف لتسكيته فمن ثم قدمنا لابناء بيعة الله تعالى سلاحًا يحاربون به رسل الانجيل الجديد اذا ما بشروا بمثل هذا التعليم

ولاجل ان لا ينسبنا انسان لروح الاغراض ذكرنا اولاً اقوال صاحب التاريخ المذكور حيث تنضح لمطالعيه اراوه بسلطان نائب السيد المسيح . قال في ما نشر بتاريخ ١٢ شباط سنة ١٨٧٣

فلما قوي الوهم بلزوم وحدة منظورة للكنيسة ظهر بالحال وهم اخر وهو لزوم رأس واحد منظور تقوم به الوحدة ومع اننا لا نجد في

الانجيل رسمًا لتراس بطرس على بقية الرسل ومع ان قضية التراس من شأنه ان يضادّ العلاقة الاخوية التي ارتبط بها الاخوة معًا وانه مضاد ايضًا لروح الانجيل الذي بالعكس يأمر التلاميذ بان يخدموا بعضهم بعضًا وان يسلموا بوجود معلم واحد ورب فقط ومع ان المسيح كان يوبخ بصرامة تلاميذه كلما ظهر في قلوبهم اللحمية رغبة وميل الى التراس قد اخترعوا لبطرس رياسة وهمية واسندوها على ايات من الانجيل فسروها تفسيرًا معوجًا واخذ الناس يعتقدون بان هذا الرسول والذين يلقبون انفسهم خلفاءه في رومية هم النواب المنظورون للوحدة المنظورة اي روساء الكنيسة العامة

ثم ان المؤلف لاجل تتمة مخترعاته لم يأخذ نفسًا بل انتقل حالاً الى البطريركية وقال

وما اعان ارتقاء البابوية في الكنيسة انشاء البطاركة في الثلاثة القرون الاولى الخ

نشر صاحب التاريخ المذكور هذه الخرافة ولم يدرِ ما يقول اذ لم يدرِ حتى ولا ما علمه الاصلاح الموهوم ولا اية هذا الاصلاح ومن كان على ريب في ذلك فدونه وان يصغ سمعًا لاراء ايمة المبدعين عن سطان حبر الاحبار. فلا تعجب ياصاح اذا ما نهض لوثيروس وكلفينوس وميلانكتون وكذبوا المؤلف المذكور بتعليمهم واخذلوه باراءهم وكفاك بتعليمهم سلاحًا تطعن به هذا ولدهم العقوق. ولقد يقول هذا ما لنا ولاية الاصلاح فانما نعتمد على تعليم الاصلاح لا على تعليم ايته. قلنا الى لنا ياهذا ان نعلم ما هو تعليم الاصلاح الاّ من ايته ومن مبدعيه وهل لاصلاحك قانون يسير بموجبه وميزان نزن به تعاليمه وهل من محك

لانتقاد اصلاحكم اصح من تعاليم ايمتكم

قال لوتيروس امام بدعتك واحد اجدادك بالايمان مكذبًا قولك بان الكتاب قد سكت عن الحبرية والانجيل يضادها : اني اشكر يسوع المسيح لانه حفظ على الارض هذه الكنيسة الواحدة باية من لدنه عظيمة وانها هي وحدها قادرة ان تبين لنا بان ايماننا صحيح . قاله في تاليفه المطبوع بوينبرج مجلد ٧ وجه ١٧٣ و١٨٨)

ولاجل ان نتاكد انهُ قد اعنى بقوله هذا الكنيسة الكاثوليكية التي البابا راسها الاعظم وان رياسته قد قبلها من السيد المسيح نفسه الذي سلمه المفاتيح نرى لوتيروس قد ثبت كل ذلك في المقالة المذكورة مستندًا الى ايات الكتاب الشهيرة حيث قال المسيح : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لا تقوى عليها وقال : ارعَ خرافي . ارعَ نعاجي . حتى قال لوتيروس ان العالم اجمع يعترف بان سلطان البابا قد بني على هذه الايات وقال في محل اخر معاذ الله ان انكر على الحبر الاعظم السلطة حاليًا او مستقبلاً

فاذا كان ذلك افما ان امامك قد اخذلك ياصاحب تاريخ اصلاحه واحد ابناء اصلاحه . افلا تخجل من مناقضتك كلام امامك وتكذيبك سلطة اقوال اكبر اجدادك . افما تعترف بعد هذا انك محتاج عقوق . فمن جملة ما انعم الله عليك هو انه بينك وبين جدك المذكور اجيال والاَّ لوقع بعصيانك واستشاط عليك غيظًا على ما بدا منك ضد الاحبار الرومانيين اما نحن فكفانا انه كذبك وان لا مسند لتلفيقك حتى ولا من نفس اصلاحك

هات الآن نستشير امامك الاخر وهو كلوين قال في كتاب

الرسومات : قد اقام الله سدة الدين في وسط الارض واقام عليها حبرًا واحدًا يلتزم الجميع بان يوجهوا الحاظهم اليه لينفوا ثباتًا في الاتحاد : فانه لقول عصا تاديب للملفق ومع ذلك فانه دون صفعة يصفعهُ بها ميلانكتون جدهُ الاخر الموصوف بالحلم وهو اعلم واقفه ايمة مذهب الاصلاح . فان من ارائهِ ان لابد من الاقرار والاعتراف بسلطة الحبر الروماني وقد بيّن مفصلاً ما ينشا عن عدم هذه المعرفة من الموانع والاضرار . راجع يا هذا كتابانه خصوصًا الكتابة ١٩٦ مجلد ٤ كما واراه في اجتماع سملكد ولاغرو فانك تتذهل كل الاتذهال اذ قد سحق عظامك بطرقة تعليمه بهذا الشان

فاذا كان ذلك قال العاقل ما هذه الخرافات التي يلفقها صاحب تاريخ الاصلاح وعن اي الاصلاح يتكلم اذ ان ايمة الاصلاح الموهوم انفسهم لا يصدقون على اقوالهِ بل قد كذبوه بما يقول وعارضوه بما يزعم . اي نعم لم يستسر المبدعون بموجب ما يعلمون لكن ليس في ذلك عجب اذ من مزايا الضلال التناقض اعمالاً واقوالاً . وعلى كل ففي هذا زعم الملفق ما لا اسناد لهُ في مذهبه اصلاحه وعلى الاولية في التواريخ الصادقة بل قد اظهر بما يدعيه اما جهله بالتاريخ واثاره واما انهُ قد احترف حرفة الحكايات او حرفة الاختداع فعلى كل اننا مبينون اكاذيبه ولهُ ان يتصف بما شاء

الفصل الثاني عشر

في اصل الحبرية والبطريركية في كنيسة المسيح

الا يعجب العاقل من وضوح اصل رياسة بطرس الحبر الاول على بيعة الله المقدسة الالهي اذا امعن النظر بمجرد شهادة مبدعي الاصلاح انفسهم واتفاق تقريرهم حتى لو اعتبرت شهادتهم تاريخية محضة لافادت هذه الحقيقة وضوحًا فانجلت لدى اولى العصيان والجهل انفسهم. فانه لو لا تمكن هذه الحقيقة في عقول المسيحيين وتاصلها في ارض التعاليم المسيحية لاستطاع مبدعوا الاصلاح التخلص من هذه الحقيقة الاساسية التي هي اس الكنيسة ومركز الاتحاد المسيحي هم الذين قد خرجوا من حضن هذه الكنيسة القديمة الايام وقطعوا رباط الاتحاد وشردوا ضلالاً عن هذا المركز الوحيد

ثم انهم قد انفصلوا عنها لكنهم مع انفصالهم قد أُجبروا على تادية شهادة صريحة عن هذا الاساس الالهي الذي بنى عليه المسيح كنيسته المقدسة حتى انهم اثبتوا هذه الحقيقة وبرهنوا عنها بنفس الادلة الالهية والايات الانجيلية التي يستند اليها علماء اللاهوت بتثبيتها

وهب انهم قد غيروا رأيهم فيما بعد وعلموا وصنفوا واجروا ما يغاير هذه الحقيقة وهزأوا بها واحتقروها فما ذاك الاَّ مما يؤيد سابق شهادتهم بها وكانوا قد اسندوها الى ايات الكتاب

فاذا ما سمعنا لوثيروس يقذف الشتائم على خليفة الصفا ويدعوه المسيح الدجال ويصفه باوصاف يضرب عنها القلم احتشامًا هل نقل لدينا قيمة شهادة هذا المبتدع المسيح الاقوال وقد اسند نظام رياسة

بطرس الاهي الى ايات جليلة واقوال الهية شريفة لا يختلف على معناها اثنان واتضح منطوقها للعيان مع تاولات اهل العصيان واقاويل من يفسدون بالايمان . فان معظم ما يؤثر بسماعنا قذف القاذفين وطعن الطاعنين هو ان نصمم وشتايهم في سلك ابواب الجحيم التي لا تقوى على الكنيسة المبنية على الصخرة

وددنا لو امكنا تفصيل هذه العقيدة وتبيانها وسرد الادلة الراهنة التي تايدها والايات التي تسندها والمصادر العلمية والفلسفية واللاهوتية والتاريخية التي تضمحل عن سماها الرائق غيوم الارتياب . فانه ما من حقيقة تحاكيها باسانيدها اذ ان جميع المصادر العلمية والتقليدية قد بادرت لتاييدها واجمعت على صحتها . غير انه لما كان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم قد تستر بثوب المؤرخين اقتصرنا على مصدر التاريخ وحده وبينا له في الفصل السابق اصل الحبرية الالهية وقد اعترف مذهب الاصلاح بحقيقة ما نقوله واسنده الى المصادر الانجيلية

قل لنا ايها المؤرخ الفريد بجنسه : ما الذي حملك على ادخال البطريركية وانت تحكي الحكايا عن الحبرية هل من مقابلة بين السلطان الاعلى العام الذي اعطاه المسيح لهام بيعته المقدسة العام وبين البطريركيات القديمة العهد التي نشأت كذلك مع المسيحية وما زالت حتى الآن على عظمتها وساطع بهائها

غير ان الانجيلي الجديد الناشر ايات انجيله الجديد في الاقطار السورية قد علم عن البطريركية ما لا يعلمنا به انجيل ولا تاريخ . هل فاتك كلامه عن الحبرية اذ قال في نشرته الاسبوعية عدد ٧ تاريخ سنة ١٨٧٣ وما اعان ارتقاء البابوية في الكنيسة انشاء البطاركة في الثلاثة

القرون الاولى . قل لنا يا صاح هل ندوس بارجلنا جميعا علماء التاريخ الصحيح وقد بُني على الحقوق ووقائع الحال مذ انشاء بيعة الله المقدسة . لعمري ما رأى البطريركيات بهذيانك بمقام رؤساء الكنيسة وانتشائها وقد اجروا سلطانهم مذ مهد النصرانية . انما انها تحتج على اقوالك وتنزلها منزلة الخرافات

فان الحبرية هي من الله ولم تستند قط الى البطريركية بل ان جميعا للبطريركية خارجًا عن السلطان الاسقفي انما هو من فضل الحبرية وهذه حقيقة جلية تثبتها اثار الكنيسة مذ انشائها . فان البطريركية قد نشأت من بطرس الصفا واحترامًا لبطرس قامت البطريركيات في مراكز شرفها بطرس بمروره او اقام فيها نوابه

فان البطريركية هي جدول يجري من ينبوع رياسة بطرس وشعاع ينبعث عن شمسها تركه بمروره في كراسي انشاها واقام فيها هو ومرقس تلميذه . فقد اسس بطرس كرسيه برومية عاصمة العالم الكاثوليكي واقام فيها سدته الرسولية ليرعى خراف المسيح وتعاجه . وانطاكية عاصمة المشرق انشا بطرس كرسيها وجلس عليه . والاسكندرية عاصمة المشرق جنوبًا بطرس ارسل اليها مرقس تلميذه واسس فيها كنيسة باسمه ومذه الكنائس الثلث قد دعيت بطريركيات امتيازًا لامتياز مقام بطرس

هذا قول لا ريب فيه وقد اتضح كالشمس في رابعة النهار حتى ان الجمع الخلقيدوني في كلامه عن بطريركية القسطنطينية رومية الجديدة الشمس اباؤه هذا الانعام لها من خليفة بطرس قائلين . تنازل وانشر حتى على كنيسة القسطنطينية احد اشعة رياستك . فعليه قد ايد هذا

المجمع المسكوني راينا في اصل المقام البطريركي في الكنيسة فمع ذلك لم نحصر البرهان بقول الاباء المومأ اليهم لان حقيقة ندافع عنها قد تلألأت بل بهائها مذ انشاء الكنيسة بقديم حقوقها وعوائدها واجرا آتها

الفصل الثالث عشر
في المعنى المتقدم ذكره

قد اتضح لدينا من صريح عبارة اباء المجمع الخلقيدوني بان الكنيسة تعرف البطريركية مشتقة من رياسة بطرس المستقرّ بتمامها في سدة رومية

ومن رام ان يرى كم قد استولى هذا المعنى بتعليم الكنيسة الرومانية واعمالها فعليهِ ان يتأملها وهي تعلم ذلك وتجري توليها الالهي على البطريركيات وسائر مراتب الطغمة الكنائسية في بحر الاجيال فتتضح لديه الحقيقة كل الوضوح وبذلك ما يقنعه كل الاقتناع

ولكثرة الادلة الراهنة الواضحة والاسانيد الجلية الثابتة السارية كالمياه المتدفقة في قلم يبين هذه الحقيقة بحار الباحث في هذه المسالة الاهم ولا يعلم اية الادلة يفضلها على ما سواها ولما امتنع ابراز جميعها اخترنا منها ما يوافق خصوصاً مطالعيه الشرقيين وقد تكلمنا اولاً عن التعليم

ان القديس غريغوريوس الكبير ذلك الحبر الكبير بتعليمهِ والكبير بسامي تصرفاتهِ والكبير باصله وفصله اذ هو سليل عائلة شهيرة حسباً وغنىً فترك جميع هذه الكرامات والاموال وصار فقيراً

حبًا بالمسيح . قال وعلى القاري ان يمعن النظر باقواله الجليلة التي خاطب بها اولوجيوس بطريرك الاسكندرية (في رسائله سفر ٦ رسالة ٣٧) : ترى من يجهل ان الكنيسة قد قبلت ثبات اساسها بهام الرسل فهو الذي قال له فم الحق بالذات اعطيك مفاتيح ملكوت السماوات وقال ايضًا . انت مني رجعت فثبت اخوتك . والتفت اليه وقال : وانت ياسمعان ابن يونا أتحبني . ارعَ نعاجي . ولئن كان الرسل كثيرين فلم يحظَ بسلطان اجراء الرياسة سوى بطرس لا غير . اه

ثم ذكر ان هذه الرياسة الواحدة قد تركت اثارًا في الكراسي الثلثة قال : لانه هو (بطرس) اسس هذه الكرسي العلية (كرسي رومية) في المكان الذي ارتاح فيه وانهى حياته المضطهدة . وهو الذي شرف بمجده ذلك الكرسي الذي ارسل اليه تلميذه البشير . وهو الذي انشأ كرسي انطاكية حيث اقام سبع سنوات ولم يقصد الاقامة فيه دائمًا . اه

لعمرك الله هل رأيت ما هو ابين واوضح واجلى من هذه الاقوال فان معلم الكنيسة العام قد علم هذا التعليم وفي الوقت ذاته فطن بطريركًا شرقيًا بتعليم امنت به وعرفته جميع الاجيال ووعاه جميع المؤمنون افرادًا واجمالًا حتى قال : ترى من يجهل اي ترى من لا يعرف ويعلم . نعم لا يعلم من كان نظير ملفق تاريخ الاصلاح الذي اما انه لا المام له واما انه متجاهل

ومثل هذه الاقوال كان الذهبي الفم قد سبق فتكلم في ميامره التي فاه بها على روس المنبر في مدينة انطاكية وفي تلك الاثناء قد نفوه مثل

ذلك القديس اينوشنسيوس الاول برومية

وقبل هولاء جميعًا كان القديس لاون الكبير قد استند الى المجمع النيقاوي المسكوني الاول ونادى علنًا بان هام الرسل هو الذي اسس البطريركيات فانه في رسالته الى اناطوليوس قد دافع عن شرف القديس بطرس ضد مزيد اطماع احد البطاركة الشرقيين ووضع له حدًّا فاستعمل الحبر سلطانه وقد خامرت فؤاده الغيرة فصاح صارخًا : كلاَّ ثم كلاَّ ان كرسي الاسكندرية الذي اسسه مرقس تلميذ القديس بطرس لا يخسر شيئًا من مقامه ولا يحجبه كرسي اخر .... وان كرسي كنيسة انطاكية التي بتبشير بطرس قد اتخذنا الاسم المسيحي فيها شانه ان يثبت في المقام الذي عينه له الاباء

ولما كان القديس لاون قد استند الى القانون السادس للمجمع النيقاوي المسكوني الاول اقتضى ذكر بعض منطوقه تأييدًا لهذه القضية فان عبارات هذا القانون توصلنا الى عهد المسيحية على ما لاحظ وشاهد اهل الانتقاد الاشهر ذكاء نظير المعلم فيلبس (في الشريعة الكنائسية) والسيد هينلي (في تاريخ المجامع) وهجيمان (في كتابه عن الكنيسة الرومية)

فان القانون السادس المذكور يبين لنا ما صار التماسه في المجمع النيقاوي بشان اورشليم التي امست بغاية الذل لقتلها مسيح الرب فاضمحلت من بين العواصم الشهيرة ولها اسم هليا كابيتولينا ولم تكن الاَّ اسقفية تحت ولاية رئيس اساقفة قيصرية الكائنة على شاطي البحر قال القانون : انه احترامًا واكرامًا للرب قد اقتبس لها الآن امتياز ومقام كرسي بطريركي بعد ان مضت ثلثة اجيال بالاحتمال ولم يسلم

اياه الجميع بالطلب المذكور الاّ بكل صعوبة وبالشرط الآتي ذكره وهو انها تبقى نجمت ولاية قيصرية المذكورة. لكن ترى ما هو سبب هذا التصعب المخصوصي قلنا انما لانهم ارادوا ان تبقى العادة القديمة محفوظة وتلبث على مل قوتها τὴ ἀρχαία ἀδη κρατοῦσαν وما هي هذه العادة القديمة التي ايدها الاباء كل التاييد . هي ذلك التولي العظيم الوحيد التي كانت تتمتع به وقتئذ الكراسي التي اتصل تاسيسها ببطرس الرسول . هذا ما نراه في الشرح الملحق بالقانون المذكور وفي هذا التفصيل ما يبين نوع تولي الكراسي المذكورة فانها كراسي رسولية تتعلق بكرسي بطرس وقد دعوا حقوق رومية المبني على هذه العوائد القديمة والتقليد القديم بحسب النص الاصلي πρεσβεῖα اسيء حقوقًا ناشئة عن الاصل اي كانها حقوق البكورية هكذا شرحه سترابون

فلما راينا القديس اينوشنسيوس الاول (في رسالة ١٨) قد خاطب اسكندر بطريرك انطاكية مذكرًا اياه بكلمات المجمع النيقاوي المقدس وبسلطانه السامي معربًا عن راي جميع اساقفة العالم ومتكلمًا عن سامي سلطان كرسي رومية وقد استتلى كلامه قائلاً بصريح العبارة ان هذا السلطان لم يكن له البتة لاقامته بعاصمة المسكونة بل لكونها كرسي هام الرسل الكرام

ومن الادلة الواضحة المقنعة هي شهادة الوثنيين انفسهم الذين كانوا اعداء الدين ومضطهدي الكنيسة قبل قسطنطين الملك فانهم قرروا عن رياسة بطرس وتوليه السامي على سائر البطريركيات شهادة صريحة تاريخية رسمية . ففي هذه الاقطار السورية عينها راينا بطريرك انطاكية قد غوته الاطماع ورام الاستقلال عن الكرسي

الرسولي وقد استند على زبيدة ملكة تدمر وزعم انه يايد استقلاله ويحمي كرسيه بقوة الاسلحة عدوانًا واذ قد نهض عليه الرومانيون بشخص اورليانوس الظافر بدولة تدمر وكذبوا مدعاه تكذيبًا رسميًا وشهدوا برياسة بطرس مع انهم وثنيون

الفصل الرابع عشر

في ان الاحبار العظام قد اجروا حقوق رياستهم على البطريركية

اننا نلحق بالشهادات الماخوذة عن الجامع المسكونية وشهادات اباء الكنيسة الكرام ادلة ذلك الحق الذي اجراه الاحبار العظام فعلاً في جميع الاجيال على جميع البطريركيات مع سعة التولي وكثرة الامتيازات الممنوحة لهذه الكراسي التي اسسها بطرس هام الرسل وعلى هذه الصورة نتم الايضاح الذي قصدناه بهذا الشان احسن تتميم لاننا نبين بذلك ان كل ما منحه بطرس وخلفاؤه في مجر الاجيال الى الكراسي المذكورة انما قد منحه على هذه الطريقة وهو ان بطرس لا يبرح دائمًا وابدًا صاحبًا مالكًا لذلك الشيء الممنوح بنوع انه يقدر ان يفيض ويحصر حسب الاقتضاء وعلى ما يتطلبه السلطان المعطى له من السيد المسيح

فلا شيء اوضح وابين بل لا شيء يقنع الباحث في حقيقة السلطان الذي اعطاه ابن الله لنائبه على الارض من ان نرى هذا السلطان موضوعًا بالعمل مذ ابتداء الكنيسة

فان رايت خليفة بطرس الصفاء قد اقام بحسبما تتطلبه وظيفته العلية بطاركة وعزل بطاركة امسوا غير اهل لمقامهم او رايت يغير تلك الامتيازات لاسباب راهنة او يامر بواسطة نوابه اساقفة او كهنة وشمامسة البطريركيات لدى الاقتضا اتضحت لديك تلك الاراء الافكية المضلة المستندة الى مجرد الاوهام الكاذبة بخصوص حق رياسة بطرس الالهي

فان رمنا تبيان ذلك تاريخيًا كثرت الادلة ووفرت الحجج وانى تابيدًا لذلك اعتمدت على تلك الحادثة التي جرت ببطريركية انطاكية في عهد زبيدة ملكة تدمر التي انبانا عنها اوسبيوس المورخ وقد اشرنا اليها انفًا واستصوبنا الآن زيادة ايضاحها فاننا قد رايناهام بيعة الله المقدسة يجري حقه ويمارس سلطانه في تلك الظروف المحزنة حيث اضطر ان يحط بطريركًا عن كرسيه ويقيم بطريركًا اخر مقامه. فان اجراء هذا الحق الحبري قد تم ورومية اذ ذاك وسحبرها تحت سلطة الملوك الوثنيين وان هذا حق رياسة بطرس الموضوع بالعمل لم يعترف به اساقفة الكنلكة فقط بل ان الوثنيين انفسهم قد عرفوا حق الحبر الاعظم على ما اتضح من الحادثة المذكورة

وهاك الحادثة على ما رواها اوسبيوس ذكرنا منها شيئًا يويد مقالنا اما البطريرك فهو بولص من صاموزات مدينة بسورية العليا فارتقى المذكور الى مقام البطريركية في سنة ٢٦٠ اما كيفية ارتقائه فمجهولة غير اننا نعهد انهُ ولد من ابوين فقيري الحال ولم يستعمل سامي مقامه الاّ لاحتشاد الاموال. قاله اوسبيوس الذي اخذ يقص لنا ذلك بموجب اعمال المجمع الصحيحة الذي صار التئامه بخصوصه

ووصف لنا سوء خصاله وسيرته ذات البذخ والخفة في دار فخيمة داخل اسوار انطاكية فانه كان ذئبًا في حظيرة الخراف يفترسها افتراسًا فاحشًا خصوصًا اذ كان مستظلاً بأكناف حماية زبيدة ملكة تلك الاقطار ذات الاقتدار. لعمري هل تحمل بيعة الله مثل هذه السيرة المشككة فمن ثم واثن كان الحبر الاعظم اذ ذاك تحت سلطة ملوك وثنيين واياه قد رفع صوته واجتمع اساقفة هذه الاقطار الرعاة الساهرون على القطيع وعقدوا مجمعًا وبحثوا في امر البطريرك المذكور ولما اتضح ذنبه شرعًا حط عن مقامه قانونيًا واقيم بدلاً منه دمنوس ولد ديتريوس الذي كان اهلاً لهذا المقام الشريف ومع ذلك ما انتهت المسالة لان اجراء الحكم كان عسرًا جدًا نحو ذلك البطريرك الذي ابى الخضوع وداس سلطة الحبر الاعظم لاستناده الى اقتدار الحامية عنه. فعندها نهض الحبر الروماني الذي حاكت احواله حينئذٍ احواله الحاضرة واحتج على هذا الاغتصاب محافظًا على حقوقه واذ قد حسمت العناية الالهية المسألة وحلت المشكل حلاً بوشهادة راهنة ودليل قوي عن حق الحبر الاعظم المعروف حتى ومن الذين انبأنا عنهم التاريخ انهم من جملة مضطهدي البيعة المقدسة. فانه حالما ضرب اورليانوس جيوش زبيدة في سهول حمص وضعفت قوة تدمر واباد ملكها واصحب الملكة معه اسيرة كعلامة لانتصاره انتهز الاساقفة الكاثوليكيون فرصة حضور هذا الظافر الذي مرّ بانطاكية والتمسوا عضده ضد البطريرك المحطوط شرعًا عن مقامه فاستجاب الظافر حالاً التماسهم واجاب على ذلك جوابًا يستحق الذكر خصوصًا اذ قد خرج من فم رجل ليس فقط خارج عن الكنيسة

بل ممن وصفه لنا التاريخ فيما بعد انه من جملة مضطهديها القساة قال : ان دار البطريركية تختص بمن هو بشركة واتحاد مع اسقف رومية . وعليه جرى الحكم واذل البطريرك المحطوط لقدرة الظافر. فلك ان تعترض بان اوريانوس لم يكن عدوًّا للكنيسة لما اجاب بالجواب المذكور قلنا هب ان الامر كذلك فالحجة لا تخسر شيئًا من قوتها وقد اعتبرها كل الاعتبار اهل الانتقاد من المتاخرين

فهذا الشاهد الذي ذكرناه ليس وحيدًا فريدًا في صفحات التاريخ في تبيانه لنا سلطانًا اجراه الاحبار العظام على سائر البطريركيات

فلنضربنَّ عن البابا فيكتور الذي استعمل في الجيل الثاني بملء العزم حقوقه ههنا بالمشرق في مسالة تعييد الفصح

ولنضربنَّ عن بطاركة الاسكندرية والقسطنطينية الذين اعادهم يوليوس بسلطانه الى كراسيهم على ما قرره زوزومينوس وسقراط

ولنضربنَّ عن فعل حبرية اينوشنسيوس الاول الذي رجع الذهبي الفم الى كرسي القسطنطينية

ولنكتفينَّ بذكر امر ابرزته السدة الرسولية في عهد البابا مرتينوس الاول في الجيل السابع فانه لما كانت الارطقة قد افترست هذه الاقطار نهض الحبر الاعظم مهتمًا بامر بيعة الله وفوض اسقف فيلادلفيا الواقعة غير بعيد من السلط واقامه نائبًا عنه بقوة السلطان المعطى من الرب لبطرس هام الرسل وامره بان يقيم اساقفة وكهنة وشمامسة في مدائن بطريركية انطاكية ومدائن بطريركية اورشليم ولا يبالي بالمضادين مهما كانوا ولا يلتفت الى المعارضة من اينما نشأت

الفصل الخامس عشر

في عجب النشرة الاسبوعية لمذهب النطق الصرف

ان محرر النشرة الاسبوعية الذي لقد طالما تكلم ولئن لم يحسن التكلم عن ذلك السلطان الذي اقامه ابن الله على الارض وهدم مبادي الانجيل وحوادث التاريخ الصحيحة على ما بيناه قد اذهلنا بقطعة نشرها في احد اعداده الاخيرة اذ رايناه قد هام كل الهيام بحب مذهب النطق المحض ولاغرو فان في ذلك لفلاحًا له غير اننا وكل من طالع اساطيره لا نعلم كيف ان هذا الرجل الذي يزدهي بنشر تعليمًا موحيًا وبطبعه دائمًا الاسفار المقدسة الموحاة يسوغ له ان يعجب و يقبل كل القبول بكلام من يتكلم و يبرهن كأن لا وجود لتعليم موحى نعم ان محرر النشرة المذكورة لا يلتفت الى النتائج المنطيقية ولا يربك نفسه بها غير انه في المسالة الحالية قد تجاوز الحدود . كيف يدعي انه انى البلاد لينيرها بتعليم الوحي ومع ذلك تراه يتكلم و يكتب و يتصرف فعلاً كأن هذا التعليم الموحى لا وجود له ومن كان على ريب في ذلك فليمعن النظر بواقعة الحال

راجع من النشرة الاسبوعية العدد ٣٠ من هذه السنة فترى محررها ليس قد ذكر حرفيًا قطعة الجريدة الالمانية المسماة لانوفل بريس ليبر فقط بل تراه ايضًا خلافًا لعادته يذكر باحرف فرنساوية عنوانًا باللغة الالمانية فقد علمنا الاسباب التي قد جرت العادة لاجلها بذكر الفاظ اجنبية متنًا بل قد استعملنا ذلك لكن ذلك متى كانت الفاظ المتن اقوى من الفاظ الترجمة او قد تضمنت ما لا يمكن التعبير عنه

باللغة المستخرج المتن اليها وذلك مما لا محل له في القطعة الحالية التي نشرتها الاسبوعية لان الالفاظ الالمانية التي ذكرتها باحرف فرنساوية لاتتضمن شيئاً لايمكن التعبير عنهُ بالفاظ عربية فاذا كان ذلك قلنا ان مزيد هيام المحرر بالقطعة الالمانية حمله على ان يلوّن ترجمتها العربية بالفاظ المانية

وعلى كل فذلك مما يتعلق بظاهر الحروف والمحرر ان يتبع ذوقه وهواه اما نظراً لمنطوق القطعة وجوهر معناها فليس الامر كذلك فاننا نعجب من كل من آمن بالوحي من اية ملة وعلى اي دين كان ان كان لا يعجب لعجبنا لقبول المحرر بمنطوق القطعة المذكورة وقد دعى نفسه خادم الانجيل

واني اذاكر اقوالاً من القطعة المذكورة وقد قبلها المحرر المومأ اليه على ما هي عليه بدون شروح ولا تفسير ولا تنديد البتة بل قد عجب لها على ما ذكرنا فعلى القاري ان يقضي في هذه المسالة

قال في العدد ٣٠ وجه ١٥٨ : ان حيوة الشركة الدولية قائمة بهذا الشرط وهو ان شرائعها وحقوقها تستوجب من كل اتباع الدولة بلا استثناء الخضوع لهذه الشرائع والحقوق الصادرة عن ارادة مجموع اهالي البلاد او السلطة حينما تكون هذه الشرائع قد صودق عليها وانتشرت بقوة النظام الاصلي المقرر وان حرية الاديان هي تحت هذا القيد الوحيد الذي لاغنى عنه (اه)

نشدتك الله يامن تدعي كونك خادم الانجيل : هل يمكنك ان تقبل وتعجب لمثل هذا التعليم ولا تخجل من الكتاب الحامله تحت ابطك . نعم ان انجيلاً انت تحمله ليس هو على ما خرج من يد الله بل

انكم عرفتموه وتحققتموه وسخطتموه على ما بدا لكم وقد اتضح هذا تلاعبكم للعيان غير ان انجيلاً تحيلة مع ما تخلله من التحريف يحوي حقائق كثيرة تشجبك ليس فقط لدى المسيحيين بل لدى معاشر الاسلام ايضاً

هات الآن لبيت قليلاً بتعليم قبلته وعجبت له فترى الى اين يوديك . هب ان شريعة قر عليها النظام غايرت الانجيل وذلك مما يمكن حدوثه بل قد جرى فعلاً فعندها ترى ما الذي يجب عليك صنيعه. لا غرو فانك قد حكمت على نفسك سلفاً بهذا القول الذي قبلته واعجبت له وهو ان هيئة الشركة الدولية قائمة بهذا الشرط وهو ان شريعتها تستوجب الخضوع حينما تكون هذه الشرائع قد صودق عليها بقوة النظام الاصلي المقرر. هل لك ما تتعلل به وقد وقعت باحبولة مقالك بل يلزمك بان تلقي الاسفار المقدسة جانباً لان هذه الاسفار المنزلة مع تلاعبكم بها قد حوت ايات شريفة تشجبك من جلها هذه الاية القائلة : يجب ان يُطاع الله اكثر من الناس (اعمال ٥ : ٢٩)

وان جواب بطرس الصفا ويوحنا البشير يشجبك علناً وليس لك ما تتعلل به اذ اجابا بصريح المقال وقد خاطبا القضاة قائلين : ان كان عدلاً قدام الله ان نطيعكم اكثر من الطاعة لله فاحكموا (اعمال ٤ : ١٩)

اراكم لم تسموا هاتين الايتين فاذاً قد قضتا عليكم ولا رد لقضائهما

ولما في الجيل الاول من التاريخ المسيحي اقتيد تلميذ الرب يسوع الى هيكل الاصنام ليجبر على ان يقدم لها البخور بموجب الشرائع المقررة من نظام ذلك العهد والمعمول بموجبها حتماً هل قد اخطأ تلميذ المسيح

ذلك الشهيد المجيد باحتمالهِ عذاب الاستشهاد ليلبث امينًا نحو الله ولكيلا يدنس نفسه بفعل السجود للاصنام . فان تلك الشرائع كانت مقررة وصودق عليها من النظام الاصلي وقد تطلبت حيوة الشركة الدولية الخضوع للشرائع المذكورة

ارايت يا خادم الانجيل الجديد الى اين اوصلك عجبك لمثل هذا التعليم الذي يتطلب فعلاً الكفر باوامر الانجيل وبتعليم الوحي اجراء لما هو ضد تعليم الله على خط الاستواء

فان كان تعليم الله يامر صريحًا بان الطاعة لله تفضل على طاعة البشر هل يليق بك ان تعجب لمبادىء تامر الخلاف وهو تفضيل الطاعة للبشر على الطاعة لله تعالى

فلك ان تعجب لمثل هذا التعليم اما نحن فاننا نعجب ليس للتعليم الذي بشر بهِ رسل الله الكرام واجروه بانفسهم فقط بل لتعليم اتبعه ذلك الشهيد المجيد نجاه وعيد المضطهدين واننا لمرتاون بانهُ اولى بك ان تعجب لما نعجب لهُ من ان تبالغ بالتعجب لتعليم يغاير تعليم الوحي مغايرة تامة

فان استسرت بموجب قولنا سلمت من طائلة سهام افاضل الاسلامية الذين يرشقونك ثانيةً بما رشقوك بهِ لتلاعبك بايات الله

فقالوا عنكم ان هولاء القوم قد اتوا هذه البلاد وادعوا التبشير بالتعليم الموحى في كتابهم ومع ذلك فانهم يرخصون لانفسهم بان يقيموا اقوالهم مقام الاقوال الموحاة عندهم لا شك انهم لاقوام لا يوقنون بما يعلمون والاَّ لما كانوا يغيرون اقوالاً يوقنون بكونها الهية

اما نحن فلا نعلم ما يجيب بهِ المعجبون بالتعليم المغاير الذين

عما يرشقهم به اهل الاصابة وقد راوهم عجبوا لتعليم مذهب النطق وفضلوه على تعليم الوحي عندهم

هذا وقد ابقينا البراهين المؤيدة مقالنا لما ياتي من الكلام

الفصل السادس عشر
في المعنى المتقدم ذكره

لما كنا قد راينا رسول الانجيل الجديد بسورية قد اعجب لمذهب النطق الصرف متغاضيًا عما حواه انجيله من تعليم الوحي نبغي علينا وعلى القاري اللبيب ان نرى البراهين التي استند اليها صاحب القطعة تلك التي قد لاحت لصاحب النشرة قاطعة جازمة لا تقبل اعتبارًا ولا تمييزًا فقد اخذها صاحب القطعة من التاريخ فلذا راقت لخاطر صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم ونزلت لديه منزلة الحقائق المثبوتة لكن ترى ما راي التاريخ الصادق بهذه الادلة الواهية لعمري قد هزأ بها من وقف عليها وضحك لمجرد ذكرها

فان القطعة قد استشهدت اولاً مثال المورمونيين بامركا ثم اليهود الذين لا يحاربون في يوم السبت ثم المامونيت الذين يحرمون سفك الدم ولو لداع شرعي. هذه هي الشواهد التاريخية التي استندت اليها القطعة وراقت لخاطر صاحب الاصلاح الموهوم

لا جرم قد عجب القاري لعجب رسول الانجيل الجديد لامر يستوجب بالحري كل الازدراء وتأبيدًا لعجب القاري اللبيب لاق تبيان سخافة ما عجب له الرسول المذكور لكننا لا نكتفي بذكر الشواهد

المذكورة بل يجب ان نبرهن ونعلن النتائج التي زعم الرسول المذكور نتيجها من هذه الشواهد

فعليه سالنا اولاً: لِمَ ذكر صاحب القطعة هذه الشواهد وما الذي ينتجه منها تأييدًا لقضية بنيت على مجرد مذهب النطق وضادت تعليم الوحي وتصرفات الكنيسة الكاثوليكية كل المضادة

قد جيَّ بهذه الشواهد ردًّا او بالحري موازبة ضد الكاثوليكي متى اسند هذا الى شهادة الضمير فيأبى مخالفة تعليم الوحي ولو خسر ماله وحياته ثم اراد الخصم ان يقول: ان شهادة الضمير لا تثبت لك شيئًا ومن المحال ان تعتد بها الدولة والاَّ الى اية الاحوال نتوصل ان التفتنا الى صوت ضمير المورمونيين وجهها لانهم ولما استطعنا جبر اليهودي على ان يحارب في يوم سبت ولالتزمنا بمسايرة المامونيتي وتركناه يتمتع بحرية ضميره الذي يعفيه من سفك الدم ولو لعلة شرعية

نشدتك الله ايها القاري اللبيب الا تحزن لسقامة هذا التعليل وتنكر سخافة هذا الايراد الذي زعم به الخصم تاييد مدعى دولة تأبى الاعتماد بضمير رعاياها وانها لا تلتزم ولا نقدر ان نراعي ضمير تبعتها

لعمري هل في جميع الشواهد المذكورة شيء تعلق بضمير الانسان ذلك الذي يدعوه الفيلسوف واللاهوتي بعدل وصواب شاهدًا للحق لا يقبل رشوة وقد وضعه تعالى في نفس الانسان

لاجرم انه كثيرًا ما لا يسمع الانسان صوت ضميره وكثيرًا ما لا يتبع هذا الصوت وعن ذلك لا اقتضاء للبرهان فان الشهوات شانها ان تخمد صوت الضمير غير ان هذا الشاهد الصادق لا يبرح مستقرًّا داخل النفس ويصرخ مناديًا وقد اقلق راحة المنافق وايقظه من

سبات غفلته لانهُ شاهد لا يقبل رشوة بل قد صاح صارخًا حتى وعلى من يحاول اخماده

قل لنا ياهذا: متى دعى العاقل جهالات المورمونيين صوت ضمير واما خطاء اليهود بعدم جهادهم في يوم السبت على ما نرى في سفر المكابيين الاول فهو ما ندعوه تطرفًا وترفعًا في الضمير وقد حسب لهم الله ذلك اجرًا غير ان ذلك كان خطاء منهم اصلحوه فيما بعد على ما ذكرته القرائن فعليه يقول الفيلسوف ان خطاء الضمير ليس هو الضمير . واذا رأينا اتباع مينو قد حرموا سفك دم عدوهم ولو في حرب عادلة فما للعاقل الاَّ ان ينوح على ضعف الطبيعة البشرية ويشفق عليها لكنه لا يشرك بين الضعف وبين صراخ الضمير الذي لا يقبل رشوة ولا ينغلب فانهُ يحني الراس ويحجب داخل نفسه لتلك شهامة النفس الابية ولسمو الطبيعة البشرية ولقوة النفس المؤمنة التي نرى في تعليم الوحي جليًا ارادة الله العلي ولا تتعرج ولا تكفر بشهادة الضمير بل ندوس عذاب السجون وشوكة الموت ولا نخون دعوى الله

اما عما ذكره صاحب القطعة عن معاهدة منستر واجتماع فينا حيث احتج الباباوات على سلم فستفاليا ومعاهدة فينا في سنة ١٨١٥ ولم تلتفت الدول الى احتجاجهم وكما ان الباباوات قد احتجوا في سنة ١٧٦٧ بخصوص الاملاك الكنايسية فاننا نقول للخصم . نشدناك الله قل لنا ما معنى ازعامك هل سمعت يا هذا ان الطلب العادل يضيع عدالته ويخسر الحق حقوقه متى سدت الاذان عنه . لعمري ما الذي يحل بنا لو جرت مباديك بخصوص الحق والعدل

فاذا كان ذلك افما قد تبددت كالهبا جبال اوهام شخصت بها

اساطيرك وقد زعمت انها من ملح العصر ونخب الدهر وان قطعة ذكرتها انما قد عريت من البرهان وخلت من المعاني فكانت خاوية غالية

الفصل السابع عشر

في ما قالته النشرة الاسبوعية عن حال الكنيسة الكاثوليكية في شدائدها واحزانها الحالية (عدد ٢١ سنة ١٨٧٥)

راق لخاطر صاحب الاصلاح الموهوم ان يلقي الحاظه حينًا بعد حين على الكنيسة الكاثوليكية وعلى شدائدها في هذه الاوقات وكلما بدا منهُ ذلك ذكرنا بمشهد الجلجلة فلدى تاملنا اياه على ما يصف لنا نفسه معربًا عن شعائر وموضحًا اراءه بتامله رومية العظمى وما يجري حول السدة الرسولية تمثّل في اذهاننا رغمًا عنا قوم وصفهم لنا البشير وصفًا محكمًا يجبر الافهام على الاقتناع لصحتهِ. فاذا ما رايت الذبيحة الالهية رجل الاوجاع الحمل المنزه عن العيب حاملاً صليبه وصاعدًا الجلجلة رايت ايضًا في هذا محل العذاب مكانًا دلك عليهِ قلم البشير اقام فيهِ قوم سرّوا وازدهوا لعار المخلص وذله فوصفهم البشير على ما هم عليهِ من حقيقة اخلاقهم وصحة اميالهم بانتصارهم الموهوم وصفًا عجيبًا مثلهم امام عينيك حتى لاح لك انك تراهم خصوصًا لدى قذفهم الشتائم على الذبيحة السماوية وهي تسلم الروح وقد اشتدت عليها الاوجاع واحزان الموت

فمن راي اباء الكنيسة الكرام ان مشهد الجلجلة يتكرر اوقاتًا

في بحر الاجيال والا لما مثلت لنا كنيسة المسيح الاله المتجسد تمثيلاً صادقاً وعليهِ قد ظهر في الاوقات المذكورة لهذه مشاهد الجلجلة المكررة قيافا وبيلاطوس والزنادقة والفريسيون على ما ظهروا حول رجل الاوجاع في يوم الامهِ. فاذا ما عثرت على مقال صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم كلما تكلم في النشرة الاسبوعية عن شدائد الكنيسة واحزانها الحالية وقد وصفها وحبرها المسجون وصفاً يطابق مشهد الجلجلة عرفت لا محالة مكاناً ومقاماً اختارهما المورخ لنفسه في تكرار هذه مشاهد الالام وقد دلك على ذلك صونه وازدهاوه نصراً وكلامه وحالته تجاه اوجاع الكنيسة

قال ان سنة فرح الكنيسة اي يوبيلها لم تات في مدارها الى الآن بما يحمل اسيادها الى التصويت بالفرح فنسمع اساقفة المانيا ينوحون يوماً فيوماً بسبب ما استحسنوا ان يسموه اضطهاد الكنيسة ورعاة المسيحية الكاثوليكية العظام في باقي الممالك يردون الصوت على هذا التوالي برسالات الرعاة الى رعيتهم وما اشبه ذلك مهذرين كما كان يهذر خلفاء الرسل وموخراً قد اتانا من بلاد الانكليز صياح الم مستحق الاسماع اليهِ فانهُ خرج من فم الارخي اسقف مانين Manning الذي قد نسي حديثاً كردينالاً وهذا المنصب الكنائسي العالم الغيور الذي قد فاز اخيراً بعد ما كان اجتهد سنين عديدة بانشاء مدرسة جامعة كاثوليكية في وسط المدينة التي هي قصبة بريطانيا العظمى مدرسة التي طالما اشتهى جميع الكاثوليك الاولترامونتانيون في المانيا مثلها ولم يقدروا ان يحصلوها نقول كان ينبغي على هذا المنصب الكنائسي بحسب ما يرجحهُ العقل البشري ان يهتف فرحاً ويوبيلاً على نوال المقصد لكنهُ عكس

ذلك اظهر افكارهُ بان حالة الكنيسة الكاثوليكية حالة محزنة وبانهُ مشرف على الكنيسة وعلى الكرسي البابوي عدان خطر اشد من جميع الاخطار التي سبقت منذ ثلاث مئة سنة . اما نبوة كهذه من فم كهذا في وسط جماعة من المنقادين الى رومية ولكن بدون اضافة التعزية الاعتيادية اي ان الكنيسة ستخرج من كل هذه الانواء بجلال وقوة عظيمة فائقة على الماضي هي امرٌ ذو معنى واهمية لا يمكننا ان نستخف بهِ ويظهر ان المجاهدين عن العصمة يستفيقون رويدًا رويدًا الى حقيقة الحال اي ان الدائرة الاكليريكية الرومانية قد قومت على نفسها جميع دول العالم الامر الذي اذ استفاق اليهِ المجاهدون عن العصمة ....

لعمرك الله ما هذا القول الشنيع انها ان هذا الكلام الذي ينفر منهُ السماع خصوصًا في حال المحن التي نقاسيها بيعة الله المقدسة قد مازجه شيء من مسرة الكتبة والفريسيين في ذلك ازدهائهم نصرًا

اما نحن فاننا نقول ان ذا لشنيع هيج بنا شعائر الشفقة على من قذفه لا شعائر الغضب واننا نضرب عن كلام الاحتقار متاملين قوله ان الاساقفة باسفهم اضربوا عن اضافة جملة التعزية الاعتيادية اي ان الكنيسة ستخرج من هذه الانواء

فليعلم المؤرخ المذكور ان صراخًا يدعوهُ صراخ اليأس انما هو صوت الشجاعة واليأس وقد اعتبره العالم الكاثوليكي اجمع حتى واعداء الدين انفسهم اعتبلان النفس الشجاعة القوية الابية فحاكى صوت الشهداء في الاجيال الدابرة

ولما كان المؤرخ قد ذكر على وجه الاستهزاء تلك جملة التعزية الاعتيادية وهو خروج الكنيسة من الانواء فليحط علمًا ان كلاًّ من

الاساقفة بل ان كل مؤمن ثابت على ايمانهِ ليس فقط لا يرتاب اصلاً في نجاة الكنيسة وانتصارها المقبلين بل انهما قد نزلا لديه منزلة الحقايق وتيقن ان بيعة الله تخرج من هذه المحن كما قد خرجت من محن سلفتها فيما مضى وقد تنبأ عنها مؤسسها . هذا ما تاكد وتحققه المؤمن الذي ينقاد لايمانه ويهتدي بانواره ويوقن بكلام ابن الله . اما نظرًا لاوان النجاة وساعة الانتصار فلا يهمه معرفتها فكفاه ان يعرف ان ذلك الآن وتلك الساعة يأتيان انما قال تعالى لرسله الكرام : ليس لكم ان تعرفوا الاوقات والازمنة التي تركها الاب تحت سلطانهِ (اعمال ١ : ٧)

وما قدمناه كافٍ بخصوص اقاويل المؤرخ المذكور المهينة التي يحفنا بها كلما تكلم عن شدايد الكنيسة واحزانها

فان هذه الاقاويل نزلت عندنا منزلتها ودلتنا الى اية درجة قد توصلت عقول جماعة وايمتهم من الانحطاط وقد بشروا بانجيل غير الانجيل الذي بشر بهِ رسل الله الكرام . انما اننا شاهدنا اعتمادهم على مذهب النطق وقد تركوا انجيل الوحي وراء ظهورهم وكانك بهم الآن قد نسوا ما هو مسطر في انجيل الرب بحروف لا تمحى عن محن الكنيسة وشدائدها وقد ظللها العلي بقوته وحماها بذراعهِ فانها مع هيجان الجحيم وروح العالم وادوات الحرب ومدافعها العجيبة قوية لا تنزعزع فان حوادث الدهر وصروف الزمان بقبضة كف الرحمن فيحولها متى شاء الى نجاة كنيسته وانتصارها

فقد سمعنا كلام رجل اجنبي عن محن الكنيسة ومصابها فلنصغ الآن سمعًا لاقوال كوكب سورية في ذلك . قال الذهبي الفم : لا تبرح الكنيسة محاربة وتنتصر فعبثًا نصبت لها الاشراك فانها تظفر دائمًا

قد تعدد انتصارها كتعداد الاعداء عليها فان الامواج تتكسر والصخرة وثيقة لا تتزعزع . فما راه الذهبي الفم في عصره عاياه نحن الآن برؤيته في اقنوم بيوس التاسع الجالس على الصخرة غير المتزعزعة مديراً سفينة الخلاص والامواج تلاطمها والعواصف تقصف عليها

قال كوكب انطاكية لدى توجهه الى المنفى حبًّا بالعلي وقد داس الرزايا . ها ان الامواج تتلاطم والعواصف تقصف لكني لا اخشى الغرق لاني متمسك بالصخرة فلترتفع الامواج فلن تغرق سفينة المسيح

هذا كلام القاه الايمان في قلب كوكب سورية نشدتك الله ايها القاري الحبيب هل هذا الكلام وهذر ابناء الضلال بمنزلة واحدة لديك وانما تقبله وتزدري بهذرهم

الفصل الثامن عشر

في منبر التوبة على ما افقه مؤرخ الاصلاح

ان مؤرخ الاصلاح البروتستاني بعد ما قذف ما تيسر له قذفه بحق الكنيسة وحبرها الجليل من فظائع لا يخطر قط على بال احد ان ياتي بمثلها في هذا العصر لفرط انتهاكه حرمة التواريخ الصادقة الاكيدة ها كه الان بمقتضى نظام سياق الكلام ياتي بقلمه الى الكتابة في اسرار الكنيسة الكاثوليكية الجليلة . فالكلام هنا عن تلك مجاري النعمة السرية على ما لقبتها القدمية المقدسة والتي رسمها الكلمة المتجسد نفسه ليجبي الجميع افرادًا واجمالاً نعمته الالهية . فالجميع يعرفون هذه الاسرار

وجميع المسيحيين الحقيقيين يمارسونها كل يوم بمزيد التهيب والاكرام وهي السلوان لكل نفس تسامت بالفضل في هذه الحيوة ولاسيما عند دنو المنون حيث يفنى كل امر زمني ولا يبقى الا تلك المفاوضات السرية مع اله السماء التي تقدر وحدها على انقاذ النفس من الموت الابدي . ولعل من يقول ان حقوق الادب تستلزم على ما قيل من مؤلف تاريخ الاصلاح شيئًا من التاديب واللياقة احترامًا لمذهب قوم مسيحيين يعيش بينهم في سوريا . وان يكن لا يعتقد معتقدهم فقوانين الادب المالوف يجعل حدودًا لا يتجاوزها من كان ذا شيم واعتبار في طعنه بالايمان بل تستدعي ايضًا كل كاتب ان يلطف مرارة الطعن بهيئة المقال . اتريد ان ترى كيف راعى مؤرخ الاصلاح كلا الامرين فانظر الى نشرته الاسبوعية واسمع كلامه فيها فانه يتكلم عن منبر التوبة فهو مادة حديث تسامت دقةً ورفاعةً ولكيما تطلع ايها القاري على ما يراه في المحكمة التي رسمها يسوع المسيح نفسه وعلى ما يرغبه ويقصده هو وجماعته في سوريا خذ نشرة ٤٠ سنة ١٨٧٣ واقرا فهاك ما يجق فيها بصوت خلته صوت علامة وقور : وكانت رومية تهني نفسها على اقامتها في القرن الثالث عشر هذه المحكمة (الاعتراف) : وكانه يريد ان يزيل كل شك بكلامه اخذ يحرر زمن اقامتها بقوله : ان مخترعه كان المجمع اللاتراني ولا ينقرض تسلطها (اي الكهنة) حتى تنقلب كراسي الاعتراف ولذلك تراهم مجدين على تمكينها ....

فيقول القاري وهو يطوف بنظره هذه الاساطير التي تلقنها المؤرخ المذكور عن الم الغرض النفساني . هذا قول صريح . فلم يكتم المؤرخ هنا افكاره ولا مقصده ولكن كل نفس ابية لا يتلو هذه

العبارات الا وطرقت خجلاً وحياء عن ملفقها الذي تجاسر على تسطيرها لاسيما اذا ما علمت بما تنزله الاقوام الكفرة من التهم والوشايات الكاذبة بالاكليروس . واذا ما اتفق لمن تفقه وكان عنده ادنى المام بالتاريخ ان يلقي نظره الى هذه الاساطير المتضمنة هذه الدعوى النارغة يصعب عليه ان يضبط نفسه عن حركة الغيظ الصوابي على ملفقها اذ يرى مؤرخاً في مادة هكذا جسيمة ينكر ليس فقط اثار التواريخ الصادقة بل يتكلم في حوادث شهيرة كان التاريخ جهلها فيما انها ترى مرسومة على جميع اثاره

فليس من وسعنا اذاً ان نباشر الاغضاء عن مثل هذا الامر في سوريا بل من اللازم ان نأتي المؤرخ المذكور بكفارة عن تلفيقه وكذبه . فهو يباشر جهاراً مهنة الثلاب او ناقل الثلب . وما هذا الا عن سوء نية اذ ما من احد يعذره بحجة الجهل في مسئلة هكذا واضحة . فلا حاجة لنا هنا الى البراهين اللاهوتية بل حسبنا اليوم ان نورد ما يتعلق بعلم التاريخ والرقم وتاريخ الاوقات . فمن هذه المادة يظهر جلياً شطط مؤرخنا الفظيع وضلاله المريع

فعلى رايك ايها المؤرخ ان منبر التوبة قد أُخترع في القرن الثالث عشر . فلكنت اشتهي كثيراً ان تأتيني بايضاح هذه الحادثة الغريبة وكيف توقع ان اثار التاريخ ترينا جميع المسيحيين من كل رتبة ومقام مبادرين الى هذه المحكمة المقدسة في اعصار سابقة القرن الثالث عشر . فمن المعلوم الواضح انهم لا يبادرون الى محكمة لا وجود لها . فما قولك في السلاطين والملوك والامراء والقواد والجنود الذين كانوا في الاعصار السالفة قبل العصر الثالث عشر يبادرون الى الاعتراف

فالتاريخ ياتينا باسمائهم في كل عصر وينبئنا ايضاً عن اوقات اعترافاتهم ويدلنا على اسماء معرفيهم . فابن لي ان حسن لديك كيفية هذه الحادثة الغريبة اما انا فاني اتيك بذكر اصولها ولا خوف عليك من غرر . فلا حاجة هنا الى حجج فان الاعداد وتواريخ فطاحل المدققين هي حجة قاطعة

قيل ما من شيء يصلح لبيان قيمة المزهنا في سوريا واعتباره افضل من ان يبين شانه بالنسبة الى صدق قوله وخلوص طويته

فبناء عليه انهضوا من رموسكم يامرشدي السلاطين والملوك والامراء والقواد في اعترافاتهم وهلموا ادحضوا دحضاً شهيراً على رووس الملا اكاذيب نُشرت هنا في سوريا في مسئلة هكذا باهظة من مؤرخ ادعى انكم لم يكن لكم وجود الاّ فيما بعد القرن الثالث عشر

ان الملك تياري الاول في القرن السابع كان معرفه بامار انسبرج رئيس اساقفة روان وقد ابان لنا ذلك تواريخ رهبان مار مبارك في مباحثهم العلمية عن القرن الثاني من انشاء رهبنتهم وجه ١٠٥٥

وان الملك بابينوس ابا كارلوس مرتال في العصر المذكور كان معرفه مار فيرون اسقف روريموند على ما افاده البولندستون (كاتبو اخبار القديسين) عن شهر ايار مجلد ١ وجه ٢١٢

وان القديس مرتينوس راهب كوريه كان مرشداً لكارلوس مرتال في القرن الثامن : قرن بنادبكتين الثالث وجه ٤٦٣

وافّا ملك مرسية في انكلترة في الجيل الثامن ايضاً كان معرفه كاهناً يقال له جمبر وقد شهد بذلك احد علماء البروتستانت :

سبلمان في الجامع مجلد ١

ومارکور بنیامین اسقف فریزنغوان سمع اعترافات غریمولد دوکا بفیارا في العصر المذکور : بناديکتين الجيل ٣ وجه ٥١١

وکان معرف الملك لويس لودي بونر مار الدريك اسقف منص في القرن التاسع على ما روى بالوز مجلد ٣ وجه ٥

والملك لوثار ابن لويس المذکور وخليفته في الملك کان معرفه دونات سکات اسقف فالوز في القرن التاسع : ايطاليا المقدسة مجلد ٣ وجه ٢٧٣

والسلطان اوتون في القرن العاشر کان مرشد اعترافه اوديريك اسقف اوکسبرج کما روى البولنديستيون على شهر اذار مجلد ٢ وجه ٣٦٧

فرأيت اذًا ان التاريخ يدلنا بصريح العبارة على سلاطين وملوك وامراء من القدماء مبادرين الى منبر التوبة المقدس فکيف ذا لو کان منبر التوبة لم يخترع الّا في القرن الثالث عشر

الفصل التاسع عشر

في منبر التوبة على ما لفقه مؤرخ الاصلاح

تابع ما تقدم

فما عدا الملوك واراکنة العالم الذين کانوا يتخذون لهم مرشدين يسمعون اعترافاتهم ويتقدمون الى منبر التوبة في قرون سابقة القرن الثالث عشر على ما هو جارٍ في ايامنا قد وعدت ان اتي ببيان رياضات

الاعتراف جارية في عموم كامل طبقات المسيحيين بينما ان ملفق تاريخ الاصلاح لم يطلع على واحدة منها . فعلينا اذًا ان نريه انفار العسكرية الشجعان وقواد الجيوش الاباسل يبادرون الى منبر التوبة المقدس وما كانت تبذله الكنيسة من الاهتمام في ان المرضى والمناهزين هذه الحيوة لايعدمون نوال سر المصالحة الجليل قبل ذهابهم الى الابدية . ثم علينا ان نريك ايها الملفق جماهير المؤمنين يحتفون بمنبر التوبة واعتقادهم الوطيد في كامل الاعصار ان عقيدة هذا السر المقدس وممارسته يختصان بوديعة الايمان المقدسة المسلمة من يسوع المسيح ورسله الكرام الى شعوب سوريا وحينئذٍ يحكم القاري حكمًا صائبًا فيما يستحق من الاركان مؤرخ لم يدر ان يطلع في مدة ثلثة عشر قرنًا على اثار تاريخي يشهد بوجود منبر التوبة فيما ان ما من اثار من اثارات القدمية خالية من الشهادة بحقيقة وجوده

فلا يخطرنَّ على بالك اولاً ان العسكر لم يكن له معرفون . بل وجد المعرفون بين العسكر كما في بلاط الملوك وشهد بذلك اول مجمع عقد في جرمانيا على عهد مار بونيفاسيوس رسول المانيا سنة ٧٤٢ وورد في القانون الثاني لهذا المجمع ما نصه : فليكن عند كل امير الاي كاهن يسمع اعترافات جنوده ويفرض عليهم قانونًا : (مجموع المجامع لاباس مجلد ٦ وجه ١٥٢٤) وجاء هذا الامر بالاعتراف مرسومًا في الفصل الرابع من كتاب مراسيم كرلوس الكبير (المجموع المذكور مجلد ٦ وجه ١١٦٥)

وان غليوم دي سوميرسيت راهب بالماربورج يثني على النورمنديين لانهم يصرفون الليل بطوله في الاعتراف بخطاياهم قبل ان

يتازلوا العدو (كتاب ٢ من اعمال الانكليز راس ١٥)

فلا ريب ان هذه ادلة كافية لتثبيت وجود الاعتراف قبل المجمع اللاتراني . اما جمهور المؤمنين المتقدمين الى منبر التوبة فياتينا باثبات اظهر حقيقة هذا السر على نحو اخر : ان نيسيفوروس المؤرخ اليوناني وحارس سجلات القسطنطينية في القرن السابع يخبرنا ان الاساقفة وحدهم كانوا في البداية يقومون بهذه الخدمة المقدسة ولكن لما كانوا غير كافين لسماع اعترافات جمهور المعترفين استعانوا بالكهنة (مجموع كتب الاباء المطبوع بفولونيا مجلد ١٢ وجه ٥٤٧)

وكانت الكهنة من عادتهم في تلاوة القداس الالهي ان يصلوا لاجل الذين يعترفون لهم وقد افادنا عن هذا بالخصوص احد مشاهير علماء الابروتستانت فلاكوس ايلاريوس الذي اشهر القداس الكاليكاني وهو من الاثارات التاريخية الواصلة الى القرن الثامن فيه ان الكاهن يصلي في ست فقرات من القداس لاجل الذين اعتادوا ان يعترفوا له (لاكوانت على سنة ٦٠١)

فلله العجب من مؤرخ ابروتستانتي يكتب تاريخ امته وهو لا يدري شيئاً مما اشتهرته مشاهير علمائها

اتريد ان تعلم ما كان تبذل من الاهتمام خدمة هذا السر في قرون تتكرفيها انت نفس وجوده امثلا تعدم المرضى نواله لاسيما عند دنو المنية . طالع المجمع المعقود في باريس سنة ٨٢٩ تجد فيه نهياً قطعياً للاساقفة عن ان يخولوا الكهنة مامورياتٍ يستلزم قضاها غيبوبتهم عن رعاياهم لانه قد يتفق على الغالب (قول المجمع) ان المرضى تموت بدون اعتراف والاطفال بدون عماد (مجموع المجامع

لاباس مجلد ٣ وجه ١٦١٦ قانون ٢٩) وفي القرن المذكور نفسه نرى رهبان دير فولد يقدمون اعراضاً لكارلوس الكبير به يسترحمونه بمنع ابعاد المرضى والشيوخ العجز من الاديرة لئلا يموتوا بدون اعتراف (قدمية فولدنس ك ٣ راس ١٢)

ومجموع ماينص الاول المعقود سنة ٨٤٦ يامر باستهام المريض الذي في خطر الموت على ان يعترف اعترافاً نقياً ومخلصاً بخطاياه وان يُفرض عليه قانون كما لو كان متمتعاً بصحته انما بدون ان يطلب وفاؤه منه حال مرضه (مجموع المجامع مجلد ٨ وجه ٤٩ راس ٢٦)

ولنا بينة اظهر واقطع مما مرّ في هذا الصدد وهي انه لاخفاء ايها المؤرخ البر وتستنطي ان التواريخ قبل المجمع اللاتراني بنيف عن خمسة قرون ترينا ان من كانوا يابون معرفة الالتزام بالتقدم الى منبر التوبة كانوا يعدون اراطقة بدون قيد واستثناء . وان الرجل الشهير علامة عصره وفريد دهره الكاردينال معلم كارلوس الكبير يوضح لنا جلياً هذه المسئلة في احدى رسائله حيث يقول انه كان في زمانه اراطقة يرفضون الاعتراف وفي الرسالة نفسها يحث الناس على اقتفاء اثر الاباء القديسين : وقال من جملة ما قاله : احذروا من ان تسوا الخمير المسموم (الكوان رسالة ٧١) وهل اوضح واسد من هذه البينات في اثبات الايمان الكاثوليكي المقترن بالاعمال الجارية في زمن يسبق بخمسة قرون دعوى مؤرخ الاصلاح باختراع سر التوبة

نعم عندنا ما كان اوفر منها وضوحاً وسداداً وهو ان التاريخ يرينا منذ القرن الرابع استعمال مفاتيح الحل والربط في منبر التوبة

كعلامة الكنيسة الحقيقية : قال لاكتنسيوس (ك ٤ في المراسيم الالهية راس ٣٠) وهو افصح اهل عصره وقد اختاره قسطنطين وخوله تهذيب ابنه : ينبغي ان نعلم ان الكنيسة الحقيقية هي ما كان فيها الاعتراف والتوبة التي تمحي الاثام وتشفي الكلوم

ليت شعري ترى ما بقي الان لمؤرخ الاصلاح من الدعوى العارية من اثر النظام والصواب التي اتى بها على رؤس الملا في سوريا تسعها اولادها واكليروسها . فاعلم ايها الملفق ان ما تسميه اختراع القرن الثالث عشر قد شهدت اثار التاريخ بوجوده واستعماله في كامل القرون السابقة بنوع ان مشاهير الناس في تلك القرون يعدون استعمال الاعتراف علامة الكنيسة الحقيقية والاعراض عنه دليلاً اكيدًا على الارطقة . فلم اتعمد هنا الكلام في اصول علم اللاهوت بل تقصدت فقط ان افحمك امام الجمهور بما انك مؤرخ لكونك تدعي بمعرفة التاريخ . وهل من يعرض بنفسه للازدراء مثلك على وجه هكذا ظاهر ليس فقط لاعين الناس المتفقهين بل حتى على اعين الاولاد الذين يتعلمون ارقام التواريخ وحساب السنين في المدارس

فهذا ما قصدت ابضاحه كالشمس في رابعة النهار فيحق للكاثوليكي والمسلم ان يقولا فيكم ما قالوه لدى اطلاعهم على ما انزلتموه من التحريف والتصحيف في التوراة كتاب الله العزيز : قد اتى هولاء القوم يجلون في ارض سورية مدعين انهم رسل الحق . اما البينات فهي قائمة لتفضح ما يكمنونه من المآرب والغايات تحت جلباب هذه الدعوى

الفصل العشرون

في منبر التوبة
في اعتراض تكرر مرارًا في ايامنا وهو مدحوض
باية بسيطة من الانجيل

قال المعترض : ان المعرف في نهاية الامر ما هو الاَّ انسان مثلي فكيف اعتقد انه قدير بكلمة واحدة ان يباشر سلطانًا يتوط بالله وحده . ان الله وحده قد اهين بالخطية وهو وحده جلت رحمته يخصه ان يصفح عن الاهانة

فلما كان هذا الاعتراض متواترًا على السن متباخرون عن ممارسة الاعتراف كانهم يقيمونه لهم حجةً في ابتعادهم عن سر التوبة الجليل رايت من الواجب ان ادخل في هذا البحث

فالمشكل معروض من ذاته لكنه يظهر بهيئات مختلفة في كل عصر . وقد ظهر في عصر الانجيل نفسه واعترضوا به بعزم لامزيد عليه بحضرة المخلص ذاته الذي اجابهم عليه وافحمهم بسداد حجته الالهية . فما علينا اذًا الاَّ تطبيق هذا الرد على افراد المعترضين

فهاك ما اعترضوا به ابن الله لما كان في العالم وهو قائمٌ على ريف بحيرة طبرية في احد مساكن كفرناحوم يقول المخلع : يا بني مغفورة لك خطاياك : فعندها صاح الفريسيون وهم يتلظون بجمرات الغيظ قائلين : من يغفر الخطايا غير الله وحده . ولم يقفوا على هذا الحد . بل قد استهجنوا كلام المسيح بهذا المقدار حتى حكموا بانه ضربٌ من التجاديف قائلين : لمَ هذا يتكلم هكذا انه يجدف

(مرقس ٢ : ٧) ومن المعلوم ان اولئك الناس الذين جاهروا باعتراض المخلص لم يكونوا من اسافل القوم بل من جماعة المتفقهين وعلماء الناموس كما افادنا ماري بطرس بانجيل تلميذه مرقس البشير اذ كان حاضرًا الواقعة (مرقس ٢ : ٦) وقد صرّح مار لوقا عما كان من قصدهم في اتيانهم الى اورشليم واليهودية والجليل اي ليكونوا شهودًا عيانًا لاعمال المخلص (لوقا ٥ : ١٧ و ١٨) ثم قال البشير لما اجتمعوا من كامل اطراف فلسطين كانت قوة الرب تصنع الشفا

فهناك الفريسيون اعداء المخلص الالداء وعلماء الناموس قائمين حول الرب يسوع في مسكن من مساكن كفرناحوم يحدقون بنظرهم الى مفاعيل القدرة الضابطة الكل البارزة على يديه الالهيتين في كامل انواع الشفاء كما افادت الاية بان ما من مرض مهما كان قديمًا وشديدًا يقاوم قدرة الله الشافية . فكل هذه الظروف وصفات الشهود فيما هم عليه من قلة الاركان بكلام المخلص والمجاهرة له بالعدوان هي محكمة للافاة ومعالجة قلب الانسان الميال الى عدم التصديق والاركان .

ففيما كان ابن الله محاطًا ممن كانوا اخون اعدائه واغدرهم ظهرت بغتة حادثة خارقة العادة فادهشت الابصار والبصائر اذا بقوم انزلوا بحبال من علو سقف البيت حيث كان المخلص جالسًا رجلاً مسكينًا مقعدًا ملقى على سريره وطرحوه على قدميه . فلما عاين ابن الله ما كان من ايمان هولاء القوم اخذت الشفقة بمجامع قلبه وقال المخلع : يا بني مغفورة لك خطاياك (مرقس ٢ : ٥) . وقد اردف قوله هذا باعجوبة بديهية باهرة في شفاء المخلع دحضًا وخزيًا للحاضرين المندين والغير راكنين لقوله العزيز . وكانت هذه الاعجوبة محكمة لشفاء علة الكفر في

كل من كان حاضرًا وقتئذٍ وفي كل من جاء بعد الى هذا الجيل ومنهُ الى نهاية العالم . فهاك حجة المخلص القاطعة التي جاءت في جوابهِ للذين لم يصدقوا بقولهِ : ايما ايسر ان يقال للمخلع مغفورة لك خطاياك او ان يقال لهُ احمل سريرك وامشِ (مرقس ٢ : ٩) فلكيما تعلموا ان ابن الانسان على الارض لهُ سلطان ان يغفر الخطايا قال للمخلع : احمل سريرك واذهب الى بيتك . (مرقس ٢ : ١٠) فشفي في الحال

فاي نعم ان الله وحدهُ يستطيع ان يغفر الخطايا . فهذا ما اشكل علينا وعلى اهل كفرناحوم . ومع ذلك افادنا الانجيل ان الانسان يغفرها . لان المخلص قد اجاب صدًّا على الاعتراض بهذه العبارات . لكي تعلموا ان ابن الانسان المتيم على الارض لهُ سلطان ان يغفر . واثبت ذلك بصنيع اعجوبة في شفاء المخلع . ولك ان ترد علينا بل واراك تصدر ردك بهيئة الاحتداد والحمية بقولك : منو هذا الانسان وابن الانسان ليس هو الاله المتانس . اجيب اي نعم هذا عين ما ادعيهِ تمامًا اي الاله المتانس يغفر الخطايا بقوة الوهيته . فلم ازل اراك تجيب بهيئة التشامخ والظفر بقولك : بقي اعتراضي في محلهِ وعلى قوتهِ . قلت لم ارتبك بردك لانني منتظره واسلم بالحاحك لانه مبني على اساس المنطق السديد . غير انني ارجوك الا يذهب عن بالك ان منطقك لا تحصل منه قط النتيجة التي تقصد تحصيلها عن الكهنة . اني اسلم معك والكنيسة الكاثوليكية ايضًا ان الكاهن بما انه انسان بسيط لا تقدر كلمته ان تحل الخطايا ولم تعلم الكنيسة قط بالخلاف . اما اذا غفرت كلمته الخطايا بكهنوتهِ فما ذاك الا لانه مشترك بكهنوت الكاهن

الوحيد الازلي الذي هو حسب رتبة ملشيصاداق المتكلم والعامل هذا في الانجيل وليس فقط يشركه الكاهن الازلي بكهنوته اذ يطبع في نفسه الوسم الكهنوتي بل يأمره امرًا صريحًا يوم انتصاره على الموت والجحيم ان يتصرف بالكهنوت الذي قلده اياه في منح غفران الخطايا والحكم بغفرانها باسمه . وقد تقيد بوثيقة وعده الالهي الجازم بانه يقرر من علو سمائه حكم كاهنه الشرعي على الارض بالخطايا اي حل قيودها او ربطها . فهل جاء على لسان انسان قول اجلى واصرح واظهر من قول ابن الله بعد انبعاثه يوم دخل بعزه وانتصاره والابواب موصدة في غرفة كان التلاميذ فيها مختبئين ومرتعدين فرقًا مما شاهدوه من موت معلمهم الالهي ودفنه . قام بينهم وقلوبهم ترتجف بهزة الرعب من اليهود كما افاد مار يوحنا الرسول في انجيله . فامنهم بكلمة السلام قائلاً : السلام معكم . لا تخافوا . انظروا الى علامات انتصاري الذي حزته باهراق دمي ثم اراهم جراحات يديه وقلبه الاقدس واعاد عليهم السلام ثم قلدهم نفس الرسالة التي تقلدها من ابيه : كما ارسلني الاب هكذا انا ارسلكم (يوحنا ٢٠ : ٢١) ثم نفخ وجوههم ماحًا اياهم الروح القدس والسلطان الالهي بهذا الكلام : من غفرتم له خطاياه غفرت ومن مسكتموها عليه مسكت (يوحنا ٢٠ : ٢٣)

فاقول ايضًا : هل في كلام الناس ما كان اصرح واجزم من هذه العبارات للتعبير عن هذا المعنى وهو انني اقرر من علو سمائي ما تقررونه في الارض من الحكم على منح الغفران او مسكه على الارض ومن ثم قد اصاب المجمع الترينتيني كل الاصابة برشقه سهام الحرم على من يحول هذه العبارات الى غير مفادها عن ترك الخطايا ومسكها

في منبر التوبة وزاد قوله : ان الكنيسة الكاثوليكية قد فهمت كلام المخلص هذا بهذا المعنى منذ البدء وفي جميع الاعصار (مجمع تريدنتيني جلسة ١٤ قانون ٣)

فهل يشك انسان بعد ذلك في هل كلمة الكاهن تصنع معجزةً من معجزات القدرة الضابطة الكل والله قد رهن قوله في تقرير كلمة الانسان حالةً او ماسكة الخطية بقوة القدرة الالهية الضابطة الكل . فلا شك فيه والله امين في وعدهِ وصادق في قولهِ وهو على كل شيء قدير

الفصل الحادي والعشرون

في سر الافخارستيا المقدس وملفق النشرة الاسبوعية

ان جميع الاسرار الاخر تأتي مقتبلها بالنعمة وهي فروع لتلك الحيوة المتجسدة في يسوع المسيح التي تجلت على البشر بموته . على انه يوجد سرٌّ لا ينحصر ضمن هذه الحدود ولا يقتصر على هذا المفعول بل انه ليس فقط يمنح النعمة بل منشيء النعمة نفسه ولا يمنح الهبة فقط بل يمنح الحياة وحاويهِ وليس هو فرعًا من الينبوع بل يتضمن اصل الينبوع وفروعه ومن ثمَّ قد دعي بالاطلاق وبدون قيد سر المحبة لانهُ يستوعب على نوع ما تمام سخاء الله عز وجل ومحبته . فالى هذا السر الجليل سر المحبة الالهية صوبت هنا في سوريا رسل الانجيل الجديد نبال قتالهم ورمته باسهم المكايد العارية عن اثر الحق والصواب فلا بد لنا اذًا من ان نفهم حق ما يستحقون من الجزاء على هذا الافتراء

فقد تيسر لديّ هنا جملة كتابات ينكر مولفها حقيقة وجود جسد الرب ودمهِ في الافخاريستيا وكلها بارزة من تحت قلم هولاء القوم المتعاطين هنا مثل هذه المهن الرذيلة . فجعلوا اعتمادهم بها على الهذر والتجديف وعلى فروغ مآلها من كل اثر علمي . فلما عمدت على فحص اخص الاضاليل المبذورة بين شعوب سوريا ضد العقائد الدينية كان لا بد لي من ان انجز وعدي

ففي بعض صحف النشرة المذكورة وفي خلال اقاويلها السخيفة العارية على الغالب من المعنى والصواب ظفرت بمقالة هي ارذل المقالات سفهًا وطعنًا . واذا ما اتيت بذكرها لا يخطرنّ على بال القاري اني اعتبرها تستحق الرد بل قد اضطررت لدحضها لتكرار طبع معانيها ونشرها لاسيما في اثناء الاعياد التي نحتفلها تكريمًا القربان المقدس فتري حينئذٍ اصحاب الانجيل الجديد في سوريا يقومون على قدم وساق في بثها بين جماعات الكاثوليك . فلا باس اذًا من ان نهتك حجابها ونبين ما يلزم من دحضها حتى اذا ما تيسر لفتى من الفتيان الكاثوليك ان يصادف مولفيها هولاء الفرسان المتسلحين بمثل هذا السلاح يعلم حقيقة ما عندهم من القول والبرهان في حقائق الدين . فلنأتينّ اولاً بسياق كلامهم على نظام وضعهِ فاذا ما طالعت النشرة الاسبوعية عدد ٤٥ لسنة ١٨٧٣ ترى صاحبها يتكلم بمسئلة القربان المقدس والاستحالة الجوهرية فيعتمد في مقالهِ اعتمادًا ظاهرًا على تصوير المسئلة بهيئة رواية اول من يشخص فيها مار بولس الرسول فيصوره داخلاً في احدى كنائسنا وعند ما ينظر الى بيت القربان الموضوع على المذبح وله باب صغير يسال من معه او من يصادفه

هناك ماذا يوجد وراء هذا الباب المغلوق بمزيد الحرص والعناية

فيجيبه المخاطب فيه القربان المقدس اي جسد الرب المقدس :

فيجيب الرسول (برواية هولاء القوم السخيفة) كيف ذا واني لا ارى الا خبزاً عند ما يفتحون هذا البيت . فنظري وذوقي وجميع حواسي تدلني على ان هذا ما هو الا خبز . فهو اذاً ان شئت صورة جسد الرب او رمز اما حقيقته فلا وجود لها قطعاً . اتريد برهاناً حسياً في اثبات هذا القول . دع الخبز اياماً في هذه العلبة ترَ يفسد والحال ان جسد الرب الحقيقي لا يعتريه فساد فاذاً لا وجود له هنا

هاك بالاجمال ما هم من البرهان الذي بزعمهم يبين بياناً قطعياً باتاً محالية وجود جسد الرب في سر الافخارستيا

ليت شعري هل من قول اذرى واسخف من هذا القول والتصور الخيالي في امر المحاورات الدينية . ويحهم على ما يفترون على هذا الرسول المعظم بتشخيصهم اياه بين لعابي الروايات كانه في مرسح المشعبذين اقرانهم ولا يرون انه اي مار بولس يورد في رسالته الى اهل قورنثية ايراداً جلياً سديداً تعليم الكنيسة الكاثوليكية بشان وجود جسد الرب ودمه في القربان المقدس على ما استلمه هو من فم معلمه الالهي نفسه على ما قرر وحقق في نفس الرسالة المذكورة وكما بيانه بعد هنيهة

غير ان هذه الرواية التي يشخصها هولاء القوم لحسن الحظ لا خوف على احد منها من ضرر . نعم ان مشخصها ياتي يحاول بها المكر والخداع غير ان الصبيان الكاثوليك مهما كانوا قابلي التفقه بهذا السر الجليل فضلاً عن ان ايمانهم في وجود جسد الرب في الافخارستيا

يلبث وطيدًا غير منزعزع يقلبون على راس مخترع هذه الرواية كامل بناء هذا التصور السخيف الخيالي

فليت شعري ما مآل هذه الحجة الذرية ان ساغ لنا ان نسمي حجةً ما كان من ضروب الروايات والخدعيلات . فهاك تحرير برهانهم في هذا الصدد : ان جسد الرب لا يمكن ان يوجد حقيقةً في القربان المقدس لان حواسنا لا تشعر به بل جميعها تدل على عكسه

فالجواب على ذلك ترى اي متى كانت المبادي المسنود عليها الاعتقاد بحقيقة وجود جسد الرب في القربان ان كان في التوراة او التقليد او تعليم الكنيسة الكاثوليكية تقرر او تشير الى وجوب الاعتماد على شهادة الحواس متى كان الكلام في سر من الاسرار المقدسة . اليس القضية بالعكس على التمام . اما يندر الصواب والذوق السليم نفسه بان في مسائل الاسرار لا اعتماد على الحواس الجسدية ولا التفات الى دلائلها . مساكين رسل الضلال ما اسخف اقوالكم وارذل براهينكم في تعرضكم للكلام في مواد باهظة بدون ان تدركوا منها شيئًا

ان ابن الكنيسة الكاثوليكية اذا عرف مبادي التعليم المسيحي يدرك ويعرف تمام المعرفة ان اعتقاده الوطيد بوجود جسد الرب في القربان المقدس راكز على اقوال الله المخلص الصريحة الجلية ويعلم ان كلمة الله التي ابرزت العالم من العدم تحول الاشياء من جوهر الى جوهر اخر بقدرتها الالهية الضابطة الكل كما افادت الاباء القديسون . فان الاربع مبشرين مع بولس الرسول ايضًا قد اتفقوا بايراد اقوال الرب الصريحة التي تصنع هذه الاعجوبة على

هيا كلنا وهذه كانت موضوع اعتقاد الناس في جميع الاعصار ولا تزال للابد تعبر عن الكنيسة المعصومة عن الخطاء . الكنيسة التي خلقها يسوع المسيح لكي ترشد المؤمنين في سبل الهدى والدين الى دهر الداهرين

فحاشا ابن الكنيسة ان تتزعزع اركان ايمانه الالهي باقوال سخيفة ينفث بها رسول الانجيل الجديد وتغاير على حد سوا انظار العقل والصواب والتعليم الجاري في كامل الاعصار والاحقاب

الفصل الثاني والعشرون

في سر الافخاريستيا وملفق النشرة الاسبوعية

تابع ما تقدم

فاننا نكلف هولاء القوم الذين ياتون امصار سوريا ويثون فيها زيوف اقوالهم وتهرجة حججهم وسفسطيات قياساتهم بايات التوراة التي يعوجونها وبئسما يدركون مآلها فنكلفهم ان يسمعوا على ما قل الحجج الراهنة التي تاتينا بها القدمية المقدسة في القضايا الدينية التي ينقضونها فيرون سلفًا اعتراضاتهم مدحوضةً بل محوقةً ذاهبة هبا منثورًا منذ نحو الف عام قبل ما اتوا ينشرونها هنا في سوريا . فشهود القدمية ان كاثوليكًا وان غير كاثوليك ياتون بادلة قاطعة لاثبات ما نحن في صدده سواء اعزيت الى اصول الاعتقاد او بنيت على اساس المنطق البسيط فهي على كافة الوجوه حجج سديدة في روية الجميع ابروتسطنتًا كانوا او كاثوليكًا من جميع الدرجات والمراتب . فهذه قد عمدت

ان اعتبرها هنا مع قطع النظر الان عن الوجوه الاخرى

فارى ان مونة هذا الخصام الثائر في انكار وجود جسد الرب الحقيقي في الافخاريستيا وما به تجتهد الاخصام في اضلال السامع عن محجة الحق والصواب يستند الى دعوايين اولاهما ان مار بولس الرسول لم يعلم هذا المذهب او علم نقيضه في رسائله . وثانيتهما انه من الواجب ان نتاول قول المخلص الالهي الى معنى المجاز لا الى معنى جسده الحقيقي بل الى معنى رمز او صورته

فلنقفنّ اولاً عند هاتين الدعوايين ولنرينّ ما ورد عليهما من الرد السديد القاطع منذ نحو عشرة قرون قبل ما انت رسل الانجيل الجديد يتعرون اقامتها في اراضي سوريا

فنظرًا الى ما يتعلق بتعليم الرسول المعظم بشان الافخاريستيا المقدسة فعلى اولاد سوريا ان ياتوا ويدحضوا دحضًا جهيرًا رسل الضلال هولاء المبادرين في اخر الزمان من اقاصي العالم القائلين لم يعلم الرسول مار بولس حقيقة وجود جسد الرب في الافخاريستيا . فقولوا لنا يا اولاد سوريا هل قصر الرسول المعظم في توضيح وتقرير هذه القضية الراسية في رسائله الى جميع كنائس العالم

فاسمع ما صرّح به العلامة مار كيريللوس الاورشليمي في هذا الصدد في كتابه الرابع للموعوظين في الاسرار الذي الفه ليفقه شعبه في معرفة هذا السر الجليل

قال : ان تعليم مار بولس الرسول المعظم هو بدون ادنى شبهة فوق ما به الكفاية في اثبات اعتقادنا اثباتًا ملياً بحقيقة اسرارنا التي تصير الانسان في الافخاريستيا المقدسة مشتركًا بجسد ودم يسوع

المسيح عينه لانهُ هو نفسه قال لنا (١ قورنثية ١١ : ٢٣) ان الرب يسوع في الليلة نفسها التي أُسلم فيها اخذ خبزًا وكسر واعطاه لتلاميذه قائلاً . خذوا فكلوا هذا هو جسدي . وحيث ابن الله نفسه قال (هاك علاقة برهان العلامة ماركير بلاوس) عن الخبز المقدس انهُ جسدهُ وعن الخمر المقدس انهُ دمه منو الانسان الذي فيما بعد يجاسر ويشك قائلاً . ان هذا ليس هو جسدهُ او هذا ليس هو دمه (انتهى)

اسمعت يا صاح هذه الحجة السديدة القاطعة حجة صرّح بها الاسقف القديس لموعوظيه هنا في اراضي سوريا في نفس مدينة اورشليم . وترى على اي اساس بنى هذه الحجة لعله يسندها الى شهادة الحواس الذوق والنظر لا لعمري بل هي حجة مبنية على مجرد اقوال ابن الله الجلية السديدة الكافية لتوطيد اركان ايماننا كما سياتي من قوله ادناه حتى ولو شهدت الحواس بنقيضه . واسمع ما يقوله عقيب قوله السابق : ان الرب يسوع حوّل في القديم الماء الى خمر في عرس قانا الجليل فهل نشك بعد في انهُ استطاع ان يحول الخمر الى دمهِ . فحذارِ ايها الانسان (هاك ما يحذر منه) حذارِ من الاعتماد على الحواس ومن الاركان الى احكامها . بل خذ الايمان مرشدًا وليوقنك بانك اشتركت بجسد يسوع المسيح الحقيقي ودمه الحقيقي (انتهى) . فهاك حجة احد ابناء سوريا وهي مسنودة الى تعليم مار بولس الرسول وهو يعبر عن السر الجليل على ما اقتبله في نفس المدينة التي رسمه فيها المسيح الرب . فاية عبرة بقيت في تعليم رسول الكذب

ولعل من يرغب الان في ان يرى كيف القدمية المقدسة بمجرد البرهان المبني على الاية المقدسة تبيد اثر هذا التقدير الخيالي في امكانية

تاويل قول الفادي الالهي الى معنى المجاز وفهمهُ عن رمز او صورة جسد يسوع المسيح. فلماتينّ الان بما ورد من اقوال مار ايلاريوس الجليل فخر فرنسا ورئيس الاريوسيين اراطقة عصرهِ. فلما يخال لفكر هذا التقدير المحالي في جواز تاويل اقوال ابن الله الواضحة الصريحة اقوال الحق بالذات الى مجاز ورمز كان يرى ذهنه الوقاد يتوقد بنيران الغيظ الصوابي المقدس. فيهتف قائلاً: كيف يجوز هذا التقدير الوخيم بان الخلّاق نفسه عز وجل الذي نظم بذاته عقائد الانسان يكون طفاه بلساني باستعمال الالفاظ والعبارات على منوال الحمقاء الهمج (اه) (مار ايلاريوس في تفسير الانجيل) فما اعزم وارهن اقوال هذا الاسقف القديس الذي طال ما فضح مخبث الاراطقة ومكرهم بذكاء عقلهِ وسداد مقالهِ

واما ما كان اوضح منهُ برهانًا في الافخارستيا المقدسة هو اقوال احدى تلك المنائر العظيمة الشرقية التي طال ما اولت فخرًا مدرسة الاسكندرية الشهيرة اعني بها مار كيريللوس الاسكندري فانهُ في احدى محرراته في الايات الانجيلية التي وجدها حديثًا الكردينال ماي بما عاناه من البحث والتنقيب بدون كلل في مكتبة الواتيكان يتكلم مار كيريللوس عن كلام التقديس. فلما كانت صراحة الالفاظ والعبارات الحقيقية التي فاه بها يسوع المسيح عندما رسم سرّ المحبة قد اوعبت ذهنه سدادًا واقناعًا صاح بالقاري قائلاً: ارايت ما اجلى قول المخلص وما احكمه بيانًا (δεικτικῶς εἶπε) اذ يقول: هذا هو جسدي حتى لا يمكنك ان تناوله الى معنى الرمز او المجاز (ἵνα μὴ νομίσῃς τύπον εἶναι) وكرر هذا المقال في كلامه عن اية

تقديس الكاس . فلا حاجة هنا للتحري الى الشرح والتاويل . فلما تيسر للكردينال ماي اخراج هذه الصحيفة من ظلام النسيان سقط القلم من يده دهشةً واندهالاً من البرهان السديد القاطع المتضمن فيها دحضًا للاراطقة المحاولين ادخال معنى المجاز في الاية فهتف . هل من سبيل الى دحض اجلى واقطع لارطقة القرن السادس عشر من هذا الدحض . فكل من فيه اثر الصواب اذا ما تلاه يجيب لا سبيل . ترى ما جواب الاخصام الذين تهاجمهم وتصدر اقوالهم بعينها وتدحضها فمن المحتمل ان لا جواب لهم وهذا احسن ما يصنعون بعد ما اختبروا ان كل ما اتوه من الاجوبة عاد عليهم زيادة عار وخزي

الفصل الثالث والعشرون

في سر الافخاريستيا وكتب اعتراضات الابروتستانت على هذا السر الالهي المنشور في سوريا

اذا ما تحريينا انتقاد كل من الاعتراضات الواردة على سر الافخارستيا المقدس في كتيب ذميم تعنّت جماعة الابروتستانت بمزيد الهمة والاجتهاد نشره في اقطار سوريا اخذتنا عليهم حركة الشفقة والاسف لا حركة الغيظ والحنق

فلو كان كلامهم معنا في هذا الصدد واقعًا موقع اعتراض راهن على سر مذابحنا الجليل لتجلدنا لهم في مضمار الجدال وسعدنا غرر الفاكرة المرد والدفاع ولا يخفى ان الخصم لا تضيق به الحيلة عن تلفيق اعتراضات على مثل هذا السر الفامض القائم به فصل الايمان المسيحي

وهذا قد دعي بالصواب سر اسرار الايمان . ولكن ليت شعري ترى ما المسطر في هذا الكتيب المعنون : اعتراضات الاسخالة او اعتراضات على الكنيسة الرومانية من جهة الاسخالة : الا ضلال فاحش وخطاء مبين ضد المبادىء الاولى المنطيقية عوضاً عن تلك الاعتراضات الضليعة التي فقهت اولي الذكاء وشحذت غرر حذاقة مهرة اللاهوتيين

فقد اصطلح الاقدمون على اسم عبروا به عن الخطاء المتقلب فيه ظهراً و بطناً صاحب هذا الكتاب في كل ما سطره فيه من اوله الى اخره . فسمو سهواً او شططاً عن الموضوع . فلا يخفى الى اية هوتة من التيه والضلال يتهور المجادل متى شطّ عن صدد الجدال واخذ يعزي لشيء صفات وخواص ليست له ولا تناسبه بوجه من الوجوه في الحالة التي هو فيها او في المقام الذي له بين سلك الاشياء . فلنتفنّن هنيهةً في دائرة المقام الطبيعي ولنحاولنّ في ان نعزي للماء مثلاً تلك الخواص عينها التي كانت فيه قبل ما حلته الحرارة وحولته من المادة السيالة الى المادة البخارية التي تحرك الات الصناعة في السفن وتسرع بها سرعة الطائر في الهواء . فاننا نتوصل لا محالة في هذه القياسات الى اقصى دركات الضلال ونسي عرضة لسخرية الولد الصغير نفسه ببراهيننا ونتائجنا السخيفة . ثم فلننتقلنّ من الحالة الطبيعية الى الحالة الفائقة الطبيعة لنتقرب الى ما نحن في صدده . فان الايمان يعلمنا ان الانسان سوف يُبعث من الموت وان النفس البارة ستحل يوم النشور في هذا الجسد عينه الذي قضت معه ايام غربتها في هذه الدنيا ارض المنفى . غير ان هذا الجسد يحول اي انه يتحول من كونه جسداً ارضياً الى جسد ممجد يشترك بالطف صفات الروح وان ابن

الله نفسه قد افادنا عن ذلك جليًا يوم انبعاثه حينما اتى فجاة نادى الرسل مجتازًا بجسده المجيد مسافات وحواجز جدران وابواب موصدة تحجز الجسد الطبيعي عن المرور والاجتياز ومع ذلك كان جسده هو هو بعينه الجسد الذي نظره الرسل وعلقه اليهود على الصليب مركبًا من العظام ذاتها ومن اللحمان عينها المحسوسة التي امر الرب الرسل بان يجسوها ويجسوا اثقاب المسامير في يديه وثغرة الحربة في جنب جسده هذه الضحية السماوية ليتيقنوا بعثه

فهات الآن يامن تدّعي الفهم جادلنا ببرهاناتك الطبيعية على ارهب اسرارنا المقدسة : غالط في هذين الحالتين للجسد الواحد بعينه او انقل بوٍ من حال الى اخرى بدون التفات الى الفرق الكبير ما بين صفات الجسد المجيد وصفات الجسد الترابي وانظر الى اية نتيجة من النتائج الفظيعة تتوصل بقياس برهانك الخيالي . ويقينًا ان الانسان حال ما يشط عن قواعد البرهان لا يعود قوله برهانًا بل خلطًا وشططًا وهذا ما نراه مراى العين في كل صحيفة من صحف هذا الكتيب السقيم حال ما نحاول ولو اقل المحاولة في سبك عباراته العربية من المعنى في قالب القياس المنطيقي الحصري . وان احببت ان ترى ذلك خذ لك على سبيل الصدفة واحدًا او اثنين من تلك الاعتراضات الموضحة عجب قائلها واركانه الى سدادها والمعربة عن شر الافتراء على المعترض عليه وحررنها على صيغة القياس المنطيقي . فاخذت انا الاعتراض المسطور في الصحيفة الرابعة عشرة من الكتيب فهاك تحرير الاعتراض : من المستحيل ان يوجد جسم واحد في اماكن متعددة معًا في وقت واحد . والحال بموجب تعليم الكنيسة الرومانية يكون جسد

المسيح موجودًا في الافخاريستيا في اماكن شتى معًا في وقت واحد . فاذًا تعليم الكنيسة محالٌ . راجع المحل المدلول عليه تركي اوردت نص المعترض على حقيقته غير انني اختصرت عبارته بدون ان اختصر جوهرها ومفادها والمقصود من هذا الاختصار ليس فقط تحريرها على القياس المنطيقي بل على قياس الناموس والادب لان المعترض قد اسهبها وحشاها بما لا فائدة منه للبرهان ولا علاقة له به بل بما يعبر عن مزيد الطعن والقذف بالمعترض عليه . فاستغنيت عن هذا الاسهاب غيرًا ما بين الاعتراض والطعن وضبطًا لذهن القاري على جوهر المسئلة . ومن المعلوم ان الطعن والافتراء لا يزيدان الحجة سدادًا ولا فائدة منهما بعين الاديب اللبيب الاَّ رجوعها بكامل جرمها وشناعتها على راس المفتري لاعتماده على مثل هذه الطرق الشنيعة في المحاورات العلمية والدينية . فالحاصل اسمح لي ايها المنطيقي اللبيب ان اخاطبك بكلمة فان كنت لا ترى فساد برهانك وخلل قياسك فما من شيء ايسر لديَّ من ان اريكه مراي العين . قد اوردت في قياسك لفظة جسد مرتين فقل لي هل كررت هذه اللفظة بمعنى واحد بعينه او بمعانٍ مختلفة اذ لا بد من تحرير معاني الالفاظ بموجب اصول المنطق لضبط القياس واستحكام البرهان الم تفهم بلفظة جسد او جسم في المرة الاولى عن الجسد في حالته الطبيعية وفي المرة الثانية عن الجسد المجد مع اعتبار الفرق الكبير ما بين الجسد المجد والجسد في حالة الطبيعة . فقل لي اذًا على ايٍّ من الجسدين وقعت نتيجة قياسك . الا ترى ما اشنع عرج هذا القياس فانه اقزل

ليت شعري ما النتيجة من برهانك فلا شك انه عار من كل نتيجة

كما لا يخفى على من فيه ولو ذرة من العقل والصواب وباي حق تنكر امكانية وجود الجسد المجيد في اماكن كثيرة معاً . فهل وقفت على كامل صفات الجسد المجيد واستقصيت كامل محاسنه وخاصاته العجيبة اذ لا بد من معرفة الشيء معرفة تامة لصحة الحكم به ايجاباً او سلباً ولا يخفى ان الحكم بالمجهول من شان الجاهل . فعلى ما اذاً يستند تعليلك هنا . لا بل على اي شيء يمكنك ان تبني قياسك . واين حدود المقابلة المحكمة للقياس بهذا السر في كامل الطبيعة المخلوقة في هذه الدنيا . وما علمك هنا وما تستطيع ان تعلمه من العالم الفائق الطبيعة مع كامل اتساعه وسموه ليتيسر لك الخروج من المقام الطبيعي والبلوغ الى ما كان فوق الطبيعة . وهل لك من سبيل الى معرفة شيء بهذا الصدد الاَّ ما يكشف لك الوحي من ذلك العالم الغير المنظور والسامي ادراك عقلنا ومن طريقة معرفته التي تكرم الخلاق بها على نفسنا بجوده وسخائه . ليت شعري فما دلنا عليه الانجيل من خاصة جسد الرب المجيد المنبعث من الموت اما يشير اليك اما يؤمرك حتماً بان تطرق براسك الى الارض هنا في هذه الدنيا وتخرس عن تفلسفك الباطل وان تصغي باحترام الى ما تلقيه اليك الحكمة الصمدانية حينما تنازل الى ذلك لكي تميط قليلاً حجاب الامور الغير المنظورة واسرار الابدية انما يحسن بنا ان نبين على هينة سخافة اعتراضات مولف هذا الكتيب لنرى في اية هوتة من الضلال يتهور عند ما يتحرى التفلسف على اسرارنا . اما اليوم فهنا ندع الكلام . وسنأتي اليه في الفصل الثاني

الفصل الرابع والعشرون

في سر الافخارستيا وكتيب اعتراضات الابروتستانت على هذا السر الالهي المنشور في سوريا

ان ما مرَّ من الكلام في الفصل السابق يفيد القاري اللبيب مبلغ راهنًا لحل اكثر الاعتراضات المتضمنة في الكتيب السقيم انما يحسن بنا ان نسمع الاعتراض من ثم المعترض لانهُ هو المخاطب فلهُ الكلام ويحق لهُ الاصغاء قبل البدار الى رد قولهِ لاسيما في ما يعترض بهِ على ذبيحة القداس التي هي من عمد رياضات العبادة المسيحية . فاني اروي كلامهُ بحرفيتهِ غير انني اعتمد في الرواية على طريق الايجاز هربًا من الملل بالاسهاب فلا باس من ان نصغي اولاً الى ما يورده من الاعتراضات الواحد بعد الاخر على التوالي بدون خلال

قال في الفقرة الاولى من كتيبهِ : تقولون ان الافخارستيا ذبيحة غير دموية ومن لا يقول ان دم يسوع المسيح موجود في الافخارستيا يكون محرومًا . فان كان الدم موجودًا فيها يكون قولكم ان الذبيحة غير دموية باطلاً

ثانيًا : ان كان القربان ذبيحة كما تقولون فالمسيح يموت كل يوم مرارًا كثيرة بخلاف تعليم الكتب الالهية التي تقول انهُ مات مرةً واحدةً

ثالثًا : تقولون ان كان المسيح يحلُّ في القربان فيجتمع جملة مسحاء مسيحٌ في السماء ومسحاء كثيرون في القرابين . ثم اخذتك حركة الغضب فصحت بنا بصيغة التعجب قائلاً : ما اغلظ هذا الكفر

رابعًا : ان كان ما اعطاه المسيح رسلهُ في العشاء السري هو جسدهُ

الحقيقي واكلوه حقيقةً فيكون حينئذٍ الذي بقي معهم وخاطبهم وصلبه اليهود خيالاً لا مسيحًا

خامسًا : فالاعتراض هنا هو عين الاعتراض الرابع معنىً ويكاد ان يكون عينه لفظًا ايضًا كما لا يخفى عند من يراجعهُ في محلهِ ومن ثم لا حاجة الى تكرارهِ

سادسًا : تقولون ان المسيح غائبٌ بالجسد والبابا الحاضر نائبٌ عنهُ فاذًا لا مسيح في سر الافخارستيا . (عافاك الله على هذا البرهان) وان كان المسيح حاضرًا في الافخارستيا فلا حاجة لنا الى نيابة البابا عنه (هذا برهان اظرف منهُ)

سابعًا : ان كان المسيح حقيقةً في الافخارستيا فيلزم دوام الخبز بلا زوال ولا فساد فتعليم الاستحالة اذًا غش ومكر من الروساء

ثامنًا : تقولون ان الذبيحة تقدم لغفران الخطايا وفي كل قداس يحصل الغفران التام . فمن اللازم اذًا ان قداسًا واحدًا يكفي لخلاص الوف الوف من النفوس التي في المطهر . وان الذين ياخذون اجرة القداديس الاخرى هم سراقون ولصوص

لا عدمنا الله انسانيتك على هذا المديح الذي تتغنى بهِ فانهُ لثناء جميل لكنهُ قاصرٌ عن ابطال الحق وقد اعتدنا منذ زمان مديد على سماع هذه العبارات الانيسة البارزة من افواه قومكم بدون ان تتعرى الى ردها . فاننا ندرج هذه العبارات لاننا نعلم ما لها من القيمة بعين القاري اللبيب سواء اعتبرت قيمتها بالنظر الى قائلها او بالنظر الى الدعوى نفسها التي يدعيها فما اقبح هذه الدعوى وما اخسرها ان كان يحتاج صاحبها الى مثل اساليب هذا الكلام للدفاع عنها

فما علينا من هذا . فلنأتينَّ الآن برد وجيز على كل من الاعتراضات الواردة فردًا فردًا على موجب نسقها . وان يكن الرد على بعضها كافيًا ليعمهه القاري من تلقاء ذاتهِ على باقيها

فنظرًا للاعتراض الاول من الماكد ان رده ظاهر لدى من له ادنى المصاب والنطق وان الصغير المتعلم في مدارس التعليم المسيحي لا يعجز عن ردهِ بل يقول على الفور بدون ادنى تردد : نعم ان الذبيحة غير دموية لا لان ليس فيها دم حقيقةً او مختلفة عن ذبيحة الصليب بل لان الدم الذي فيها ليس هو في حالة طبيعية كفي حالتهِ عندما اريق على الجلجلة بل على وجه سري كما شاء المخلص حفظهُ في جسدهِ المجد

الرد على الاعتراض الثاني . فعلى يقين ان الرد على هذا الاعتراض ليس هو اشكل من الرد على الاول بشرط ان يقف المعترض والراد على كنه المسئلة . فلا شك ان ربنا لم يمت ولا يموت الاَّ مرةً واحدةً ولكن نرى ما يمنع المخلص مع ذلك من ان يحضر بكلام التقديس على المذبح بهيئة ذبيحة حقيقية على شبه ذبحه لاجلنا على الجلجلة مع هذا الدم عينهِ الذي سفك لاجلنا . غير ان هذا الدم لا يظهر للناظر بلونهِ الطبيعي ولا بباقي الصفات الحسية لان الكلام هنا في جسد مجد غير قابل الموت بعد نشورهِ . فانك تتناول مبذاء المخلاص عينه على سبيل التكرار . ومن يشك بان قربان هذه الذبيحة الحقيقية البارزة على مذابحنا بهيئة ترمز الى الموت كما صرح العلامة بوسواسيوس لا تقوم بها ذبيحة حقيقية اظهر من نفسه الجهل بعلم اللاهوت وبما يطلب لقيام جوهر الذبيحة الحقيقية

الرد على الاعتراض الثالث قد سبق في الفصل السابق. ومع ذلك نطبقهُ هنا على هذا الاعتراض. فنقول لا شك ان المسيح واحد كما ان الله واحد غير ان هذه الوحدانية لا تمنع كما قرر المجمع الترينتيني من ان هذا المسيح الواحد الجالس على يمين الاب في اعلى السماوات بجسدهِ المجيد يستطيع في الوقت نفسه ان يحضر في اماكن عديدة معًا وعلى مذابح كثيرة. ومن شك بذلك نساله على اي اساس من اسس الفلسفة الوطيدة يبني شكه وباي حق ينكر امكانية حضور الجسد المجيد في اماكن كثيرة معًا. فان سالتني الى ما وراء ذلك كيف يكون هذا اجبتك جواب كيف هنا هو السر الغامض. والايمان صامت عن بيانهِ ويامرنا بخفض رؤوسنا مهابةً وتصديقًا للوحي. فان جلا الاسرار وكشف غوامضها مبقيان للحيوة الاخرى. ومن ثمَّ كان الجدير بك كما نرى ان تنتهر نفسك بذلك التعجب الذي عبرت عنه بقولك ما افظع هذا الكفر وكل من كان ذا لبابة وادب يستهجن هذه العبارة المخلة بالانسانية والغير مالوفة في الحديث بين اصحاب الذوق والتعقل

ثم هات الان نرى ما صار اليهِ اعتراضك الخامس فان الرد على ما مرَّ قد اجحف بهذا الاعتراض ايضًا فامسى هباء منثورًا فقل لنا. ان كانت الرسل تناولت جسد يسوع في العشاء السري كيف تستنتج بموجب اصول المنطق السديد ان اليهود صلبوا خيالًا. وابة منافاة تجد في ان القدرة الالهية الضابطة الكل العاملة كل يوم الاستحالة على يد الكاهن تعمل في العشاء السري راسًا على يد الكاهن السامي الكاهن الازلي على طقس ملشيصاداق. فان قلت ان جسد المسيح

في العشاء السري لم يكن مجدّ بعد سلمنا . لكن ترى باي حق يسوغ لك ان تنكر بان المخلص استطاع ان يسبق على هذه الاعجوبة كما افادت علماء اللاهوت وهل يسوغ لك ان تنكر على القدرة الالهية الضابطة الكل امكانية احلال الجسد الواحد بعينه في اماكن كثيرة معاً فان انكرت هاته البرهان لنريك قيمته

اما اعتراضك السادس فحقاً انه من اسخف الاعتراضات الصبيانية ومن ثم لا حاجة للاسهاب في رده بل نسال حضرتكم ، ترى اي مدخل للبابا في سلك الاعتراضات على الاوخاريستيا . فلا شك انك شططت هنا شططاً كبيراً عن دائرة الوعي والصواب الطبيعي . فما هذا القول ان كان المسيح موجوداً حقيقةً في القربان المقدس لا حاجة انا الى نائبه . ترى لماذا لا نحتاج الى نائبه . فان كانت العزة الالهية ارادت بحنوها ان تحل بيننا انا بوجه خفي غير منظور لتجيب دعانا من على مذابحنا وتجدد ذبيحة الصليب ولكنها ترشدنا على وجه حسي منظور بواسطة نائبها فهل لك ان تجد دحضاً لنظام الحكمة المتجسدة وتدعوه محالاً وباطلاً ان . امنت اولا فانت مخير وانت ادرى بعاقبة امرك انما كان الاجدر بك ان تكف عن تعنيفنا بمثل هذه الهذيانات

الفصل الخامس والعشرون

في سر الافخارستيا وكتيب اعتراضات الابروتستانت عليه

المنشور في سوريا

هاتِ الان نرى الاعتراض السابع من الكتيب . فالظاهر ان المؤلف هنا قد شطَّ عن الوعي لاعتماده على اقوالٍ لا تعبر الاَّ عن الغرض النفساني والاحتدام وسوء الاخلاق

مع انهُ لو عرف اقله تعليم الكنيسة في هذا الصدد لتيسر لهُ الجواب من تلقاء ذاتهِ بمجرد الصواب كما تيسر لغيره من الناس الخارجين عن الكنيسة فليطالع ان شاء ما قالهُ العلامة لابنيسيوس الابروتستاني في سياق لاهوته او يوحنا دافيد ميكاليس من اعلام العلماء اصحاب المذهب النطقي في المانيا في كلامه على الفصل الثاني من بشارة يوحنا حيث يعد الخاص بهذا الحبا السامي قدره فيرى ان هولاء الناس انفسهم يبراون ايمان الكنيسة الرومانية من وصمة الخطاء وينتصرون للعقيدة الكاثوليكية من كل معترض ومناقض بنى اعتراضه ومناقضته على اساس الصواب

لعلك تظن يا صاح انك اتيت باعتراض كبير يرتبك بهِ صبيان الكاثوليك وانت تقول لهم قول من اعتدَّ بالتعليم : لو كان المسيح موجودًا حقيقةً في الافخارستيا للزم ان خبز القربان يمكث للابد بلا فساد اتريد ان تعرف ما يشعر بهِ الصبي الكاثوليكي العارف التعليم المسيحي لدى سماعه هذا القول فعوضًا عن ان تفهمه بأفٍّ في وجهك ساخرًا وحقه ان يسخر بك لان كل كلمة من اعتراضك تبين

له انك جاهل المسئلة نفسها التي انت تعترض عليها مع انه اول ما يطلب من المعترض ان يعقل ما يعترض عليه فاننا نقول لنا خبز القربان فقد ضللت ضلالاً مبيناً . يا صاح ليس في الافخارستيا خبز فهذا بالحصر ما تعلمه الكنيسة ويجيبك به فتيان المدارس . بل كل ما بقي من الخبز هو ظاهره وشكله الخارج كما تعلم الكنيسة ايضاً اعراضه الحسية الدالة على الخبز في حالته الطبيعية . فلم تدرك معنى الاستحالة وذاك مع ذلك تستعملها وتتهجم دحضها حتى في عنوان كتيبك . فرايت اذاً بناء اعتراضك قد هدم دكاً دكاً فجاء مجرد تعليم الكنيسة . ولعلك تقول ان الكاثوليكي نفسه يستعمل لفظة خبز في كلامه عن الافخارستيا فيقول خبز الافخارستيا اجبتك نعم ولكن باعتبار عوارض او ظواهر الخبز التي شاء المخلص حفظها لدى حضوره على مذابحنا ليكون لنا قوتاً . لا باعتبار جوهر الخبز فبهذا المعنى يقول الكاهن خبز الشكر الخبز الجوهري وهلمّ جرًّا فان فهمت بهذا المعنى فلا اعتراض علينا ولا جواب لك لانك تكون فهمت بالمعنى الكاثوليكي ونحن على وفاق في ذلك . لكن اسالك اية حجة لك في القول ان خبز الافخارستيا المفهوم بهذا المعنى من الواجب ان يستمر بدون فساد . فهل علينا نحن ان نامر تعالى بادارة سننه ونظام مخلوقاته الطبيعية ونحدد له المدة الواجب ان تحفظ فيها اعراض الخبز هذه بدون فساد . ألا يسوغ له ان يسمح بان هذه العوارض تجري على السنن الطبيعية نفسها التي كانت جارية عليها قبل الاستحالة فاني مشتهي ان ارى ما يمكنك ان تختلقه بحذاقتك من الحجج على عدم امكانية هذه السواغية

وان قلت كما يلخص او يلوح من مقالك انه من المحال ان يستولي

الفساد على الجوهر الالهي ترى من ينكر ذلك فما قولك هذا الا تكرار القول باحدى تلك الحقائق الازلية التي لا يرتاب بها احد من الناس قاطبةً ونرى على بال مَنْ من الناس خطر ان الكنيسة تعلم بهذه الحالة الفظيعة

قد بلغنا الى الاعتراض الثامن الواقع فيه الكلام عن غفران الخطايا بواسطة ذبيحة القداس الالهية لكن الكلام قد عبر عن كثافة وسوء ادب على جاري عادة المولف واهل مذهبه الذين يجعلون جل اعتمادهم في الجدال على الطعن والسفاهة

فنجيب لاشك ان الذبيحة المقدسة تُقدم غفرانًا عن الذنوب كما قلت انما من علمك ان بها يحصل تمام الغفران كما ضللت ضلالاً بينًا . فان سخر بك صبيان مدارس التعليم المسيحي فلا ذنب عليّ بل ان الذنب ذنبك ولا غفران له . اعلم ياصاح بان ثمن الذبيحة الالهية هو غير متناهٍ في ذاته انما لا يستلزم من ثمّ ان ما ناله منه يكون غير متناهٍ ايضًا . فاين قياسك المنطيقي المستلزم مثل هذه النتيجة

ان الله بجوده الغير المتناهية مستعد لان يمنحنا من كنوز نعمه السماوية قدر ما نستحق قبوله ولكن ألا تعلم انه يطلب من خليقته الحرة لاسباب مبنية على الحكمة الغير المتناهية الاستعدادات اللائقة بقبول النعم وانه يوزع علينا نعمه بالعموم بموجب الاستعدادات التي نأتي بها لاقتبالها وبالتالي ان ثمن الذبيحة بذاته هو غير متناهٍ وفوق الكفاية لخلاص العالم باسره وللوفاء عن جميع النفوس التي في المطهر . اما تخصيصه فله متعلقات ومباحث اخرى

فبناء عليه قد شاءت جودة الله ان تكرار الذبيحة الغير الدموية

يدوم ما دام العالم . ولعل هذا يخفاك انت البيبليشي المعتمد على التوراة والمستند على مجرد آياتها واني لتعجب من سوء فهمك لها فيما كان واضحًا كالشمس في رابعة النهار . ألم يامرنا المخلص بوجوب تكرار هذه الذبيحة الى دهر الداهرين . ألم نقف في هذا الصدد على ما ورد من شرح مار بولس الرسول اليقيني لكلام السيد المسيح ولارادته المعبر عنها بقوله : اصنعوا هذا لذكري (في رسالته الاولى الى اهل قورنثية ص ١١ : ٢٣ الى ٢٩) اذ فهم الرسول المعظم بهذه الاية امرًا وسلطانًا للرسل بتقدمة الذبيحة بما انهم كهنة قائلاً في العدد ٢٦ : كل من تاكلون من هذا الخبز وتشربون من هذا الكاس تذكرون موت ربنا حتى مجيه الى منتهى الادهار . فان كان سيدنا العزيز امر ورسم تكرار هذه الذبيحة مدى الاعصار الى منتهى العالم فكان من الواجب عليكم انتم معشر البيبليشيين ان تحاذروا مخالفة امر ابن الله الصريح المقرر في التوراة ولم تحذفوه منها

نعم انني اعلم انك توارب هذه النتيجة بدعواك ان المفهوم من كلام المخلص لا وجوده الحقيقي في سر الافخاريستيا بل الرمز الى وجوده تذكرة لموته . ولكننا نجيبك ان هذا التاويل من جملة تلك المضحكة الدالة على ادعائك بمعرفة اللغات والمخالفة لتاويل التوراة الجاري في كامل الاعصار

وهذا ما يلاحظ غفران الخطايا فان الصغير الكاثوليكي يميز تمييزًا جليًا طريقة نواله فانه يعلم ان الانسان ينال الصفح عن ذنوبه بواسطة سر التوبة اما الذبيحة فتفيده ندامة على خطاياه واستعدادًا واجبًا لنوال الصفح بفعل سر التوبة

فلا حاجة هنا الى ذكر العبارة السخيفة التي رشقت بها عنوًا الكاهن الكاثوليكي المعطي حسنة قداسات كثيرة . فاذا ما سمعناك تصفه اوصاف الاشرار واللصوص خفضنا راسنا خجلاً عن رجل ادعى الناموس والادب واتصل الى حد هذه السفاهة المشينة

الفصل السادس والعشرون

في سر الافخارستيا وكتيب اعتراضات الابروتستانت عليه المنشور في سوريا

قد راينا ان ننتهي هنا من تفنيد الكتيب السقيم الذي تعنى فيه مولفه الاعتراض على اقدس اسرارنا المقدسة واجلها . لاننا قد اتينا اولاً برد عمومي يقوم مقام اصل عام ومنتاج للجواب على جميع الاعتراضات الواردة على هذا السر الالهي . ففي هذا الجواب وحده غنىً عن كل ما سواه انما قد تهلنا على المعترض حتى سرد جميع اعتراضاته على هينة من اول كتيبه الى اخره ثم راجعنا فردًا فردًا كل ما اورد واحدًا واحدًا منها قصدًا لزيادة ايضاح خساستها وسفاهة معترضها فاجرينا عليها مبدأ الجواب تسهيلاً لادراك تفنيدها على المطالع

فبناء عليه متى تحقق ان الله قد خاطب الانسان واوحى اليه وحيه دل الصواب وحده على نفي كل اعتراض ومحالية كل مناقضة في كلامه تعالى أليس العقل نفسه يأمر امرًا جازمًا لكل معترض بالسكوت والرضوخ لكلام الله بدليل ان فهم الله الغير المتناهي اذا ما تكلم لفهم الانسان المتناهي يسوغ له ان يلقي اليه من الحقائق والاسرار

ما يفوق ادراكه . فنظرًا الى السر الذي نحن في صدده هل يجوز للانسان العاقل ان يشك بكلام الله ووحيه هذا السر وهل يسوغ له ان يكون على ريب صوابي في فحوى ما شاء وسيه اليه فيما انه يخاطبه بكلام صريح جازم لايمكن ان ينطق لسان بشري بكلام اوضح منهُ بيانًا واجزم سدادًا كما فهمهُ الناس منذ ايام الرسل . راجع ما رويناه من نصوص الاباء القديسين المعظمين مار كيرللوس الاسكندري ومار كيرللوس الاورشليمي ومار ايلاريوس في صدد سر الافخارستيا والاستحالة الجوهرية . فهل من وجه لزيادة الايقان والتصريح في حقيقة هذه الذبيحة الوحيدة الغير الدموية بحسب طريقة تقدمتها على مذابحنا . فعدا ما ورد من الكلام في هذا الصدد نرجو صاحب النشرة الاسبوعية واخاه مذهبًا صاحب كتيب الاعتراضات الّا يكونا سهوا عما ورد من كلامنا تخليصًا لاية ميخا النبي الكريمة مما طرأ عليها من التصحيف والتحريف بيد البروتستانت قصدًا لتعمية معناها الجلي الصريح القطعي الدال على ذبيحة القداس الالهية المقدمة في كل اين وآن على مذابح كنائسنا فيحسن بصاحب النشرة واخيهِ ان يعيدا الى ذهنهما ذكر ما اوردناه من البينات والحج في هذا الصدد لاسيما انهما لا يزالان يتعنيان تكرار نفس هذه الاعتراضات الفارغة ومعاودة الخلط والخبط في نقضهم الحق الصراح قضية من قضايا الدين الكاثوليكي الراسية لعلمها يستفيدان اقتناعًا بها او على ما قل انكفافًا عن التعني الى اقوال وهاهكات لا طائل لها سوى تحميلها غبء انعاب ياول بها الى الخزي والعار . ويحسن بهما ايضًا ان يتذكروا المحاورة الشهيرة التي جرت هنا في الشرق على فحوى الاية النبوية المشار اليها بموجب النص

العبراني ما بين ترينون الشهير احد علماء اليهود و بين القديس جوستينوس الفيلسوف الشهيد المولود في اشخيم المعروفة اليوم بنابلوس ويفيدها ايضاً ان يذكرا ما ورد من الشهادات والاقرارات عن اعلم علماء البروتستانت انفسهم اثباتاً واقناعاً بحقيقة ذبيحة القداس الوحيدة على منوال استعمالها في الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرومانية وهي مروية نصاً في كتابنا المعنون بالتوراة الابروتستانية من وجه ٤٩ وما فوق . وما يجديها فائدة خاصة ذكر ما عانوه بدون طائل من الجد الجهيد المشعر بطباع الصبيان والعقيم من كل فائدة في نسخ قوة هذه الشهادة القاطعة السديدة المفحمة التي تعني مقاومتها منشئ مذهب الاصلاح كل ايام حياته وسقط عناه دون الغرض وعند نهاية حياته كأنه قد اعمي كما علم من امره وكلّ من الكنتاج حكم بها انها شهادة لا ترد ولما لم يرَ له مخرجاً من حكمها انكر عصمة الانبياء والرسل انفسهم من الخطاء (وجه ٥١) قائلاً : وما الذي يهمني ان نادى ضدي البابا ويون مستندين على الكنيسة والاباء فاننا نعلم بان الانبياء انفسهم يسقطون في الضلال وان الرسل ايضاً ليسوا بمعصومين

فلا ريب ان مثل هذه الشهادات ما يوجب اهل اللباية الى التبصر والتعقل انما مسكين من تعامى عن الحق باختياره فان داءه اعضل الادواء وحظه شر الاحاظ وربما صادفنا مثل هولاء العميان بين جمهور من مخاطبهم . وما اكثر هولاء القوم الذين يبيعون الهدى بالضلال فيضلون ويبيتون خاسرين لانهم يفترون بارباح دنية فيلبثون متسكعين في ديجور الغرر وبعد ما تحصص لهم الحق المبين يهمون في ضلال . فسبحان الله العليم وحده بما في بواطن الانسان

وهو فاحص القلوب والكلا . غير ان الحوادث الظاهرة تؤذن الجميع بالكلام

وقد عرفت من الوقائع الحديثة في نفس هذه البلاد حيث سطرت هذه السطور ما يويد تأييدًا قطعيًا ما نحن في صددهِ من البواعث التي تحمل الضالين على التشبث بضلالهم . وان الذي قص عليَّ هذا الخبر قد ضمن لي صحته لانهُ من الصادقين وهو شاهد عيان لا ناقل اخبار وقد عرفت المخبر والمخبر عنه ومكان الحادث . فورد فيهِ اقرار صريح جاء مذلاً من وجه للمقر لكنه يعبر من وجه اخر عن شيء من الاستقامة والخلوص فيهِ لا يخلو من ان يكسبه فضلاً لتاديتهِ اقرارًا بالحقيقة ولو ال لشجبهِ : فهاك الخبر

ان خادمًا من خدمة المذهب الابروتستاني في بيروت المعروفين بالحمية على نشر عقايدهم والمشهورين بالاعتبار والاكرام لدى قومهم والمكافين على اعمال خدمتهم بالدراهم والدنانير اتى ذات يوم احد الامراء الاشراف الكاثوليك في لبنان واخذ يحاول في اجتذابهِ الى مذهبهِ ففي الحال قدم لهُ كتابًا بدون ثمن من تلك الكتب المشتملة ضروب الطعن والقدح في عقايد الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ومعتقديها. فقبله منه الامير ربما لم يكن يدري ما يتضمنه فلما فتحه وعرف ما فيه اسرع في الحال واتاه بنسخة من الكتاب الذي القناه في كشف المغالطات السفسطية دحضًا لما اشهره بعض الابروتستنت ضد بعض الاسفار الالهية وقال لهُ بالوف لطفه وانسه . سيدي قد اكرمت عليَّ بكتاب فرايت من واجب مكافاة المعروف ان اهديك هذا الكتاب فالمامول من ذكاك ان تتلوه بتاني وان تطلعني بعد ذلك على ما تراه

به وما لك من الرد على المسائل المدروجة فيهِ تفنيدًا للدعوى التي تتصدر لها بمزيد الحمية والهمة . فقبله الخادم الابرونستاني منهُ وغب ما تلاه متمعنًا وتروى جميع معانيهِ عاد اليهِ بعد ايام وشكره بكل انس ورقة حسب طباع الابرونستانت الشهيرة في هذه البلاد فاخذ الامير يسالهُ في القضايا الواقع عليها الجدال في الكتاب وعما عندهُ من الرد على الادلة والاداء المتضمنة فيهِ . فعندها اجاب الابرونستاني على ارتجال قائلاً : لا رد ولا جواب صائب لامي ولا من ايٍّ كان على هذه البينات والادلة ومن حاول دفعها اشبه بمن ضادَّ الحق الصراح كمن ينكر وجود الشمس وهي في رابعة النهار . قال لهُ الامير فان رايت الحق كيف لا تتبعهُ . اجابهُ الابرونستاني كلٌّ يخير في عمله وقل ما هما الجواب والرد بحيث نقبض مرتبنا ونُعطى اجرة عملنا (١٥)

هاك جوابًا صريحًا مقررًا فلعمري انه عبارة عن افكار كثيرين ممن يعرفون الحق ولا عزم لهم للاقلاع عن الضلال لعلهم لهذا الباعث نفسه نراهم لايحاولون بعد المجاوبة على ما نقدهُ من اقوالهم ويتحاشون جدالنا ولو دعوناهم وحرشناهم النزال بشعائر الحب والانس . ولكن مجانبتهم جدالنا ووقوعهم الدائم على مسائل جديدة واعتراضات اخرى حيث يامنون موقتًا من مصادفة اخصام تنازلهم وتدفع ضلالهم وتفند شططهم مما يدل مضمرًا على احترامهم الحق بهجرهم ميدان الخصام على انه لا يعسر على احد سرد المشاكل والتنقل من اعتراض الى اخر . فان هذه الاعتراضات تصادف مدونة ومحررة في الكتب ومن عرف شيئًا من العربية تيسر لهُ نقلها . اما المجالدة في الجدال ببراهين ضليعة متينة هذا مما يوذن التقدير على المعترض بما لهُ من الاركان الى دعواه وبما

عنده من اليقين الجازم المؤيد بالحجة في دينه . فان لم يكن على شيء من هذا فعوضاً عن ان يعمد الى الجبانة والفشل كصاحب النشرة الاسبوعية كان الجدير به والاولى بشرفه وناموسه ان يحذو حذو الخادم الابر وتستنتي المتقدم ذكره فيعترف بالحق تادية لما يحق له من الاحترام ولو كان في الحاضر غير متبسل لاتباعه فما ادرانا ان الله الجواد الذي اضاء على بصيرة الخادم المذكور انوار الحقيقة وجلى لذهنه حجبها يتم فيه عمله بايلاه اياه عزماً وبسالة للاهتداء كما اولى كثيرين غيره من علماء الابروتستنت وخدمتهم في انكلترا وخاصة في المدرسة الكلية في مدينة اوكسفورد الذين شاهدناهم في ايامنا هذه يحافظون بشديد العزم والبسالة على اليقين بالدين مضحين ودايسين بارجلهم الخيرات الزمنية حذراً من رزء خيرات النعيم الخالدة

الفصل السابع والعشرون

في مار افرام رسول سورية ورسل الانجيل الجديد

اذا ما سمعنا رسل الانجيل الجديد يتفلسفون في مواد الدين تفلسفاً مستهجناً وعندما نراهم يتكلمون كلاماً يشط شططاً مريعاً عن دائرة الصواب في اسرار الانجيل وفي كل ما يتعلق برتبة الحقائق الفائقة الطبيعة لا باس من ان نحول اذاننا الى سماع كلام الرسول القديس العلامة الجليل مار افرام رسول سوريا النبيل الحائز جزيل الاعتبار والاكرام لدى نصارى هذه الامصار وكامل الكنيسة الكاثوليكية لاسيما انه ياتينا في اقواله وبراهاناته بمونة الحجج الداحضة سلفاً

مذهب الابروتستانت والمبيدة الاعتراضات الواردة على الحقائق الفائقة الطبيعة التي يدعون مناقضتها بدليل الصواب والبرهانات سنداً على الحقائق الطبيعية فان مقابلة اقوال هذا القديس الجليل وما يلحقها من الحواشي المبنية على اسس الاستحكام والاستقامة شانها ان تبين القاري مراي العين حقيقة الامر وصحة دعوانا . فما من احد يطالع اقواله الاَّ وسطعت على ذهنهِ ولبه صحة برهانه وسداد قياساته ورسخت في حجاه حتى لا يعود ينساه غافلاً اذا ما سمعها مرةً عن لسان هذا الرسول القديس وفي لغتهِ السلسة الانيقة . فنيما خلف لنا من شروحاتهِ البليغة على الكتب المقدسة وعن الاعمى منذ ميلاده الواردة قصته في بشارة يوحنا ص ٩ تراه يبهت بغتةً ويقول : ما كان انكد حظ هذا الاعمى قبل رجوع البصر اليهِ بمعجزة من معجزات سخاء الله الجواد . فكانت محاسن الطبيعة لديه كان لاوجود لها . فهذه الافلاك المقمرة وهذه الارض المزهرة والمثمرة والمعمورة وكل جمالات الطبيعة الباهرة الشاهدة بجلال الخلاق وعظمتهِ القادرة كما شهد النبي والملك داود كانت جوامد صامتة لديه كانها لغو وعدم حيث لم يكن لهُ الة لينظرها حال كونه معدوم البصر منذ مولده

فعلى هذا النحو يقول هذا القديس السرياني الجليل . لو افترضنا ان هذا الاعمى اتاه قوم من القيام قبل شفائهِ من الكمه واحدقوا بهِ وكلهم ذو عيون باصرة واخذوا يحدثونهُ في عجائب المخلوقات عند استضائها بانوار الكواكب النيرة ويقولون لهُ مشفقين على تعاستهِ : وحسرتاه عليك ما اقل سعدك وما اكبر خسرانك وفقدك فلست تبصر شيئاً من هذه الافلاك السنية وهذه الكواكب المضية وهذه الرياض الناضرة

وهذه الانوار العاطرة وهذه الاشجار والنباتات الباهرة وهذه الديار والمساكن الفاخرة . ثم قال القديس فلو افترضنا ان هذا الاكمه يستفزم النبيط من هذا الكلام وينهض ارتجالاً في بهرة القوم ويأخذ يتهزهم بقوله اصمتوا عما تأتون به من الحكايا فان كل ما تصفونه لي ما هو الا مين وقصص عجائز لا اثر له ولا عين . وهل مثلي من يصدقكم على هذه الخزعبلات ومن يضي لكم على هذه الخرافات

فما قولكم يقول القديس في تصرف الاعمى هذا وما رائكم في انتهاره واحتدامه ومعارضة مكالمه وقطع كلامه وتسويته اياه براوة الحكايا والخرافات فلا شك انكم تطلون كشحكم عنه استخفافاً بل تحمدون عليه عدلاً وصواباً مجيبينه ويحك احسبنا مهرجين وراة خرافات واراجيف . وباي حق تعدنا من الافكين وتدرج اقوالنا في سطور الاولين . فان كنت اعمى البصر كما انت فاني تكذب من يخبرونك عما نظروه وثبت عندهم وجوده . اما كانوا يقولون له انك فاقد البصر والبصيرة . فالصغير نفسه يعقل ان فاقد البصر لا يبصر

فاختتم القديس كلامه بقوله : فاذا ما تكلم الانسان على نحو هذا الاعمى يقضي حكم الشجب عليه بيده اذا ما ادعى بحجج العقل النطقي مناقضة اسرار الايمان او كل ما يناط بنظام الحقائق الفائقة الطبيعة

اما نحن بالنظر الى اسرار الايمان ونظام الحقائق الفائقة الطبيعة فكمة منذ مولدنا الانعلم باننا نولد معدومين القدرة على استجلاء الاسرار والامور السموية . فاننا نعلم ان الة البصر لمشاهدة الالهيات هي مبقية للمؤمن في الاخرة لمشاهدة السماوية والله نفسه عز وجل اي في التجليات العلوية السعيدة . اما الآن فليس لنا هذه الالة كما ليس للاكمه

الة البصر

ولكن لما شاء الله جلت قدرته ان يعرفنا سلفًا بالاسرار السموية في كتابه العزيز المنزل من العلاء على قلوب الانبياء والرسل الكرام لم يكتف بتنزيله على الانام بل شاء الله سبحانه ان يخاطبنا بابنه الوحيد كما قال الرسول المعظم مار بولس الى العبرانيين ١ : ١ و٢ الذي اطلعنا على الاسرار الغامضة التي لا يزال ينظرها ويشاهدها الى الابد ابن الله الوحيد الذي في حضن الاب هو اخبرنا (يوحنا : ١ : ١٨) فان ابينا تصديقه اما يكون عماونا اشبه بكمه ذاك الاكمه الا نفوقه عماء وجنونًا بانكاره وجود ما لا يبصره وهو اعمى بلى لان هذا الاعمى كذب قول بشر اما نحن فانما نكذب الله نفسه اذا ابينا تصديق ما انزله في كتابه العزيز وعن يد ابنه الوحيد نفسه . فعليه لما شاء الرسول الحبيب ان يبين لنا جليًا شر الانسان وسماجة كفره في عدم تصديقه ما انزله الله بدعوى عجزه عن ادراكه يقول ان هذا الجاهل الذي يتصلف غير مريد ان يحني راسه تسليمًا لسلطان الله وامتثالاً لفهمه تعالى يعزي الى الحق بالذات الكذب بمجرد تصرفه الموعب بجهالة وجنونًا ويجعل الله كذابًا تعالى الله عن هذا الافتراء : من لا يومن بالابن يجعل الله كذابًا (يوحنا رسالة ١ : ٥ : ١٠)

قد اثرت ان اعلق شرح هذه الاية الانجيلية لمار افرام وجعلته الفهم لانه يدك ويلاشي بطعنة واحدة كل ما يمكن للانسان ان ياتي به من الاعتراض ليس فقط على سر الافخارستيا بل ايضًا على باقي اسرار الايمان الكاثوليكي الروماني الذي ندفع عنه ما حكمات انجيل الضلال الصبيانية

الفصل الثامن والعشرون

في تكريم القديسين واصحاب الانجيل الجديد

ان اكثر ما استهدف لرمي نبال الابروتستانت من عقائد الكاثوليك وعباداتهم واكثر ما تكسر من نصالهم عنده بالبرهان السديد والمبنات القاطعة هو عقيدة تكريم القديسين وملقاتها فما اكثر ما عاود مؤرخ الاصلاح الكرة على هذه العقيدة في سياق تاليفهِ ولم نتعجب مناقضتها . فقرأنا في استهلال نشرتهِ عدد ١٢ سنة ١٨٧٢ هذا الهذر لاننا صادفنا ما كنا نتوقعهُ لعلمنا السابق باديدكيهِ وعنادهِ الوخيم في القديم المتداول على السنة جماعته منذ بداية ظهور مذهب الاصلاح وهو دعواهم بان الاستغاثة بالقديسين منطوٍ على مضادة الوسيط الوحيد مخلصنا يسوع المسيح وهاك مقالهُ في هذا الصدد وهو يفوه بهِ كمن يهذ نفسهُ اتيًا بقولٍ بديع فيما انه بالحقيقة ما هو الاَّ هذرومين لا اثر لصحتهِ ولا عين . فيقول : لم تعد الشعوب المسيحية قبل الاصلاح يعرفون الله وسيطًا وحيدًا للخلاص : فقد اعنى بهذا الكلام ان الكنيسة نكصت وقتًا من الاوقات عن الاعتقاد والاعتراف على رووس الملاء بكون الرب يسوع الوسيط الوحيد لخلاصنا

مع ان هذه العقيدة قد عبرت عنها اقوال كل من اباءها القديسين وجعلت على لسان كل من كهنتها اذ يختتم صلاته وطلبته بما يعبر عن انتظارهِ اجابة دعاه وسواله بواسطة الوسيط الوحيد . وبالحق ان هذا ما نقر بهِ معترفين كل ما اختتمنا الصلوة بهذه الالفاظ : بربنا يسوع المسيح

ولكن قد جاء من تهجينه بالكنيسة ما كان شرًّا من ذلك فلنات الى نصه . قال : بل كانوا يلزمونهم بالبلس الى وسطاء اخرين . فادرجوا جداول برمتها من اسماء قديسين وشفعاء وهولاء القديسون الذين اكثرت منهم البابا وات لم يتشفعوا الا بمن يدون الاديرة بالمال . فتواثرت الزوار اليها واستباحوا مشترى الصالحات بالفضة ومن ثم كانت تفص الاديرة بازدحام زائريها (اه) قل ما اتى المورخ بدعوى كاذبة الا وكانت في الوقت نفسه عبارة عن طعن وقدح بالكنيسة الكاثوليكية فما علينا من قوله ونصه الاولى بنا ان نبين اضبيان الكاثوليك ليس فقط ان جميع هذه الاقوال المضادة اكرام القديسين عارية من كل اسناد بل انها ايضًا دليل على جهل قائلها السمج ومكره الفظيع

وحسبنا في ذلك ان نفتح كتاب المجمع التريدنتيني فنرى مجمعًا عامًّا يدحض دحضًا جليًّا دعوى الخصم هذه التي لا يزال يهذر بها باذان الاولاد الكاثوليك وكفانا التاريخ دليلاً جديدًا في كل قرن منذ عهد الرسل على ان هذه العبادة اي تكريم القديسين جارية بدون انقطاع على الطريقة الجارية في كنائسنا فاية عبرة تبقى لمورخ مثل مورخ الاصلاح ياتينا بمثل هذه الاقوال المجونية ولا يزال يحك باساطير الاولين . انما لابد لنا ان ناتي الولد الكاثوليكي بما يسد فا مَن يصادفه على طريقه من اصحاب الانجيل الجديد ويعترض عليه بان تكريم القديسين مخل بالكرامة المتوجبة للوسيط الوحيد او هي ضرب من الاختراعات البشرية

فليأتِ اذًا اولاً ابن الكنيسة بكتاب قوانين المجمع التريدنتيني

وليتحفه بازاء عينيه تاليًا عليه ما قررته تقريرًا صريحًا الكنيسة الملتأمت تحت رياسة حبرها في الجلسة الخامسة والعشرين فيراها تاتي ببيان صريح سديد لاعتقادها المعبر به تمام الوفاق الجاري بين اكرام القديسين واكرام الوسيط الوحيد وبالحق انها لما اخذت تعبر الاساقفة عن كيفية معتقدها بالاستغاثة بالقديسين وتلزم الاساقفة بتعليمه قالت : ان القديسين الماكثين مع يسوع المسيح يقدمون لله ادعيتهم لاجل البشر وما يحسن ويفيد ان نستغيث بهم استغاثة متوسل وان نلجاء اليهم ليلتمسوا لنا من الله سبحانه احساناته بابنه يسوع المسيح ربنا الذي هو وحده مخلصنا وفادينا . ثم اخذ المجمع يبين ما من الوفاق التام بين تكريم القديسين وعبادة الفادي الوحيد فمن الموكد اننا لا ننال الا بيسوع المسيح وعلى اسمه ما ننالهُ عن يد القديسين . وهاك نص المجمع بهذا الصدد : امرٌ حسنٌ ومفيد ان نتوسل اليهم (القديسين) ونستغيث بهم لكي ننال النعم من الله بابنه يسوع المسيح ربنا الذي وحده وسيطنا (جلسة ٢٥) (انتهى)

فترى من ثم الكنيسة تلح في تعليمها بوحدانية الوسيط واذا ما نال لنا القديسون نعمًا فلا ينالونها الا بالوسيط الوحيد فيقول الولد الكاثوليكي لخصمائه قولاً بصواب وبحق : لما لم تشاء ان تفتح كتاب المجمع قد فتحته لك فكان الجدير بك ان تبادر الى فتحه وتلاوته قبلي لان من يدعي مضادة الكنيسة في تعليمها لا بد لهُ من ان يحيط علمًا بما تعلمهُ . فاين ذهب الآن تهجمك الجسيم بالكنيسة مدعيًا عليها بتركها الفادي الوحيد نسيًا منسيًا واني ابين لك بعد هنيهة سندًا على التاريخ الصحيح ان ما كانت تعلمه الكنيسة في القرن السادس عشر كان هو هو

التعليم الجاري في جميع الاحقاب منذ عهد الرسل بخصوص تكريم القديسين بحسب ما هو جار في كنائسنا واننا رأينا اثاره الصادقة في مقابر رومية وانت تجاسر على القول والكتابة هنا في سورية بان الشعوب لم يعودوا قبل الاصلاح يعرفون الله الفادي الوحيد. ان في ذا عجبًا

على انه من واجب العدل والانصاف ان نقول بانك لست انت بمبتكر هذا التعريف بالكنيسة بل انه قديم العهد ومعاصر مذهب الاصلاح قد سبقك اليهِ مالنكتون بدعواه اننا اذا ما استثنينا بالقديسين اتمنا وسطاء مقابل الوسيط الوحيد ولكن بما انك مورخ ابروتستاني وملفق اخبار عن مذهب الاصلاح لا بد من ان يقدر عليك كل احدٍ معرفة بهذا التمييز الصريح بعين جميع الوراء في هذه المادة وقد افحم مالنكتون وكل من قال قوله وابكمهم عن الانبان برد فيهِ اثر الصواب . فمن المعلوم المقرر باصول علم اللاهوت ان الوسيط نوعان وسيط الشفاعة ووسيط الفداء فالكنيسة بتقريرها القديسين وساطة الشفاعة قد انكرت عليهم دائمًا انكارًا قطعيًا مطلقًا وساطة الفداء . بما ان وساطة الفداء هذه لا تليق الاَّ بالفادي الالهي وهذا ظاهر لا يحتاج بيانًا انما نرى ما المانع من وجود وسطاء شفاعة او توسل بجانب الوسيط الوحيد يتوسلون لله سبحانه لاجل البشر لينالوا لهم من جودتهِ الالهية نعمًا واحساناتٍ . فليانا المورخ ما عندهُ من الرد على هذا التمييز الذي ابكم كل من جروا على اثر مالنكتون في هذا الاعتراض جرى العبيد على اثر مواليهم

الفصل التاسع والعشرون

في تكريم القديسين واصحاب الانجيل الجديد

قد تحتم الآن علينا ان نعلم صاحبنا مؤرخ الاصلاح شيئاً من التاريخ الذي ينتهك حرمة صدقه ويكذبه تكذيباً ظاهر الخطاء والحماقة بدعواه تجاه شعب سورية بان تكريم القديسين من اختراعات كنيسة رومية وان ما حملها على هذا الاختراع هو طماعيتها الى الارباح الدنيوية التي كانت تتوخاها من تكاثف المؤمنين على هذه الرياضة المقدسة

ليت شعري ترى ما يكون الجواب من هذا المؤرخ لاحد صبيان الكنيسة اذا ما اتاه وكتاب تاريخ العالم بيده يريه فيه مرأي عينه ما دلّ دلالةً اوضح من الشمس في رابعة النهار على ان هذا التكريم يساوي البشارة قدميةً وجرى عليه المؤمنون منذ بداية العصر المسيحي . فليفتح هذا الكتاب وياخذ بمطالعته منذ تواريخ القرون الاولى للنصرانية فيرى من الآثار الاولى المصدقة دعوانا ما ورد في صدد جهاد الشهيد الجليل القديس بوليكربوس في مصر من امصار الشرق في ازمير المدينة الشهيرة مركز التمدن العظيم لاسيا الصغرى . فاعتم مار يوحنا الرسول اخر من توفي من الرسل ان تم سعيه في الكرازة واذا باوسابيوس المؤرخ الشهير يروي ما كان للمؤمنين في اسيا من الثقة العظيمة في شفاعة القديس الشهيد تلميذ الرسول الحبيب المشفعة ، فهاك ما جاء في رسالة بعثت بها كنيسة ازمير الى كنائس بنطس من الاخبار المهمة بهذا الصدد وقد نقلها اوسابيوس الى كتابه الرابع في

تاريخ البيعة حفظاً لها من افة التلف والنسيان فقيل فيها : لما حكم على الشيخ (بوليكربوس) بعذاب النار والقوه في المحرقة خمدت قوة النار ولم تمسه بضر فلما نظر احد الجلادين هذا الحادث العجيب استشاط وجزع واستل سيفه وغمده في احشاء الشهيد فجرى منها غدير دم اطفا لهيب النار : الى اخر ما رواه بقوله ان المسيحيين اخذوا يهتمون بدفن جثته في الحال اما اليهود فاعرضوا للوالي بما كان من الخطر في ان النصارى يتركون الههم المصلوب ويجعلون هذا القتيل معبودهم . فحرقوا الجثة بالنار ومع ذلك لم يكل المسيحيون حتى جمعوا بعضاً من عظامها وحفظوها كذخيرة اثمن من الذهب والحجارة الكريمة واودعوها مكاناً مكرماً لكيما يجتمعوا كل عام يوم وفاة الشهيد ويعيدوا تذكاره بالفرح المقدس . (انتهى نصاً)

فهذا ما جرى مذ حين كانت النصرانية في مهدها وما من سبيل للصعود الى ما قبل ذاك العصر لانه اسبق اعصار الكنيسة نظراً الى تواريخها فرايتنا فيه قراراً جلياً لتكريم القديسين واجلال الذخائر والاعياد المرسومة لاكرامهم وذلك فوق ما يطلب من البرهان لاثبات ما نحن في صدده . فما قول حضرة الخصم هنا لعله يعترضنا ايضاً بان البابا في ذاك العصر اتى باختراع تكريم القديسين ولكن لا يخفى بان اعتراضه حينئذٍ لا يكون الا غلواً في العناد وموضوع هزء وسخرية لدى كل ذي عقل وصواب

وترى ما قولنا ايضاً في تلميذ مار بوليكربوس اعني به مار اريناوس معلم الكنيسة والاسقف الشهيد في غاليا وكان مولده سنة ١٣٠ المتجسد . لعمري ان في جهاده وجهاد شهداء ليون مونة الدلائل القاطعة

الواضحة على صحة تكريم القديسين والعمل به شرقاً وغرباً . فان الشهيد المذكور قد شرع بجهاده الجيد منذ اضطهاد ساويروس قيصر وزاد جهاده بحثاً كثرة الشهداء الذين نالوا اكليل الاستشهاد معه فان اكثر شعبه سار على اثره في دفع حياتهم تمسكاً بعروة الدين المسيحي الوثقى مقاسين عذابات مبرّحة . وقد وجدت كتابة في ليون تفيد ان عدد الذين استشهدوا وقتئذٍ في تلك المدينة تسعة الاف نسمة . فان طالع الخصم اخبار جهادهم راى تكريم القديسين جارياً في ذلك العصر بالكمال والتمام

واذا تركنا اسيا واوربا وتوجهنا الى اراضي افريقا وجدنا تكريم القديسين قائماً في رووس اعمال المسيحيين التقوية وهاك اشارة الى ذلك ما يغني بياناً عما سواها . قال اوسابيوس المؤرخ الشهير : لم يكن انقضى القرن الثالث واذا ببوتاميا العذراء الجليلة الاسكندرانية قد ظفرت باكليل الاستشهاد فلما شعرت بوجوب امتهانها لاحد حراسها الذي مع كونه وثنياً قد حمى عرضها وعدته لدى ذهابها الى منقع العذاب بان تذكره في دار السعادة الخالدة مكافاةً عن معروفه وانجزت وعدها اذ قد ظهرت له بعد ثلثة ايام من استشهادها وجعلت اكليلاً على هامه وهي تقول له انها نالت من الله سبحانه ما التمسته له . وكان اسم ذاك الحارس باز يلدس فما مضى على ذلك الاّ برهة وجيزة الاّ واخذت ادعية الشهيدة مفعولها بذلك الرجل اذ انه قد استنار من العلاء وعرف الحق وهداه وافلع عن كفره معتنقاً الدين المسيحي واحسن نصرانيته واختتم سعي طاعته الوفية لنعمته تعالى باحتمال جهاد الشهداء ونوال اكليلهم المجيد

وهل يريد الخصم ان نريه ما كان من الوفاق بين التعليم والعمل في تلك القرون نظرًا الى هذه الحقيقة فليسمع ما يقوله العلامة اوريجانوس من كان من اهل ذاك العصر ومن ايمة علمائه : من شك بان القديسين يوازرونا بادعيتهم (انتهى) فعلامة المشرق الجهبذ الفريد العجوبة عصره ينادي عاليًا بعدم الشك فيما يجديناه تكريم القديسين من الامداد والموازرة وفي تقريظه السادس عشر لسفر يشوع بن نون يقول : ان جميع اولئك الاباء الذين توفوا قبلنا يجاهدون معنا ويوازروننا بادعيتهم . فدل بذلك دلالة واضحة جلية على فاعلية تكريم القديسين بما انها كانت الان من الامور المحققة والمختبرة تكرارًا كل يوم

ولكان يتهيأ لي ان اجول مع الخصم امصار العالم وفي كل قطر جالت فيه اقدام الرسل الكرام واريه فيها اثارًا جلية محققة هذه العقيدة لولا خوف الملل بالاسهاب ولكنت اريه مرأى عينه في جميع الليتورجيات اليونيانية واللاتينية والسريانية والعربية وغيرها استغاثة المسيحيين بالقديسين بما انهم وسطاء الشفاعة لديه تعالى وهل يخفى الخصم ان ايمة من ادعوا بالاصلاح قد اضطروا الى الاقرار بهذه الحقيقة ومن جملتهم المعلم كولمبياد في حواشيه على عظات مار يوحنا فم الذهب حيث يقول : ان الاستشفاع بالقديسين قد جرى عليه يوحنا فم الذهب وغريغوريوس النزينزي واكثر الكنائس الشرقية والغربية (انتهى) . ولا شك بان عموم هذه العبادة الكاثوليكية الجارية في جميع الكنائس منذ عهد البشارة هي حجة قاطعة تثبت امرين احدهما صحة العقيدة الكاثوليكية التي نحن في صددها المبنية على حجج التاريخ القاطعة وثانيهما سفاهة المؤرخ الابر وتسنتي في سوريا في دعواه انها اختراع احبار كنيسة رومية

الفصل الثلاثون

في تكريم الذخائر المقدسة واصحاب الانجيل الجديد

ان تكريم الذخائر المقدسة الجاري في الكنيسة الكاثوليكية مقترن اقترانا شديدًا بتكريم القديسين . فمن طالع النشرة الاسبوعية يرى مؤلفها لا يغفل عن اغتنام كامل الفرص ليطعن بالكنيسة الكاثوليكية معتمدًا بذلك على طريقة الاستخفاف والازدراء بكل ما يتعلق بها . فتراه في النص الذي اوردناه سابقًا من مقاله يروي قصصًا على سبيل التهكم عن عبادة يدعي ان بعض الكنائس جرت عليها لذخائر لاقوام لها ولا حقيقة واحكم روايته على ايضاح اسمج الاحتقار والاستهزاء . وما في ذلك من عجب لان هذا ديدنه وديدن من ذهب مذهبه من رسل الافتراء والكذب فانهم كثيرًا ما يعتمدون على مثل هذه الروايات السخيفة استغرارًا بما يتوهمونه فيها من التسهيل لدحض حقائق راهنة وحوادث ثابتة مقررة افحمت اجود قرائح المعترضين وابكمت افصح السنة الداحضين . فما من مؤرخ عز لديه الشرف والناموس يجري الى دحض اوهام وحكايات اختراع دماغ السفهاء او الجهلة ويابى العاقل ذكرها تقززًا من رعونة رواتها وملفقيها فرايت من ثم ان اضرب صفحًا عن التشاغل بهذه الامور الذرية بدون طائل وبدلًا عن ذلك اعود الى ما كنت في صدده من تعليم صاحبنا مؤرخ الاصلاح تعليمًا صالحًا لما صح وثبت من الحوادث التاريخية فعمدت اذًا ان احول وجهه عن الافك والخزعبلات واصوبه الى مشاهدة وقائع حقيقية يرى بها مراي عينه ان تكريم الذخائر المقدسة

الجاري في كنائسنا قد راه العلي حسنًا وان ما يراه الله حسنًا فهو حسن ولا يكون حينئذٍ عبرة للابرو تستانت منكريه الاَّ عبرة العناد والتشبث بالمحال والضلال المبين

فلا حاجة لنا ان نتطوح في البلدان لنستقصي عما كان من حكم الله بمسئلة تكريم الذخائر بل حسبنا ان نلبث هنا في سورية ونستكفي بذكر ما جرى في عاصمتها الكبيرة وما شهدت به مدينة انطاكية برمتها وكان دليلاً ظاهرًا وحجة قاطعة على ان تكريم الذخائر قد وقع لديه تعالى وقع الرضى والاستحسان . فقد اجمع الراوون الصادقون الوثنيون والمسيحيون على رواية حادث عجيب حدث وكانوا مجاوريه مكانًا ومعاصريه زمانًا ومشاهديه عيانًا ومن ثم جاءت روايتهم مقارنة الصحة وعرت من كل شك وشبهة . فهاك والحالة هذه ما جرى

كان في جوار مدينة انطاكية دسكرة يقال لها دفنه وكانت في القديم مرتع الخلاعة والعهارة وفيها هيكل لاله من مشاهير الهة الوثنيين يُعرف بالاله افلو ونسب اليها الهيكل وعرف بهيكل افلو وكان موقعه في وسط غابة جميلة المنظر والنضارة واشتهر بالقديم ذاك المكان بجميع ضروب الرجسات والفواحش التي كان الوثنيون يرتكبونها في تلك الاعصار . فلما تنصرت مدينة انطاكية واستبدت النصرانية في هذه الاقطار عرض ان قيصر اخا يوليانوس عمد الى تطهير ذاك المقام من رجاسة الوثنية فاتاه برمم شهيد نديس استشهد في انطاكية يقال له بابيلاس ودفنها في صحنه ولبثت فيه دفينة احدى عشرة سنة . فحرست مذ ذاك شياطين افلو ولم تعد تأتي بوحي

فلما اتى يوليانوس الكافر الى الشرق قاصدًا احياء الوثنية ذهب

الى انطاكية وعند الى هيكل دفنه واحد يكثر فيه من تقدمة الذبائح والضحايا للاله افلو مبتهلاً اليه ليوحي اليه وحيًا الاّ انه لم يستفد شيئًا لان افلو لبث صامتًا لم يفه بكلمة وحي فبعد ما اعيى القيصر يوليانوس من الابتهال وتقريب الذبائح سمع صوت متكلم عالمًا من ذاك المقام يعبر عن علة صمته وخرسه عن الهتاف بالغيب : ان رمم ميت دفين في هذا المكان تزعجني وتبكمني : وقد شهد بذلك ليبانيوس المؤرخ الاديب الوثني في خطبته السادسة وجه ١٨٥ وازكى منه شهادة القديس يوحنا فم الذهب الشاهد المكاني كما ترى بعد هنيهة

فعليه اصدر يوليانوس امرًا جازمًا برفع عظام القديس من ذاك المقام فرفعت في الحال وبادر جمهور اهل انطاكية المؤمنين يجمعون بزيد الاكرام والاحترام ذاك الكنز الثمين الذي كان مودوعًا في هيكل دفنه . قال الراوون الصادقون فحمل الجميع برمم الشهيد وذهبوا يزيحونها بمزيد الاعتبار والاجلال من دفنه الى انطاكية اي على طريق مسافتها مشي ساعتين من الزمان وهم يترنمون على طول تلك المسافة بمزامير داود النبي حسب عادتهم وعلى كل اية من المزمور يهتف شعب انطاكية كله بصوت واحد بهذه الاية من المزمور ٩٦ : فليخز كل عابدي تمثال منحوت المفتخرين بالاصنام : فاجاب الله من علو سمائه دعاء شعبه وشبّ نارًا في الهيكل احرقت صنم افلو واحالته رمادًا بدون ان يتمكن الجمع من اطفائها . وروى هذه الحادثة ايضًا المؤرخ الشهير مرشيللينوس في كتابه الثاني والعشرين عدد ١٢ وكان شاهد عيان لهذه المعجزة الباهرة . واذا صغينا باذاننا لقول مار يوحنا فم الذهب سمعناه ياتي بشهود عيان لهذه الاعاجيب جمهورًا من

الناس . فاسمع ما يقول : ان من اغاطبهم يستطيعون ان يادوا شهادة لحقيقة ما ارويه . لان اناسًا شيوخًا من هذا الجمع نظروا بعيونهم الاعاجيب وان قلتم ما الاعاجيب التي نظروها قلت انهم عاينوا ما اعظم ما يرتعد ابليس فرقًا ويذعر من العظام والذخائر المقدسة وشاهدوا مار بابيلاس بعد وفاته ايضًا يجدل الشيطان ويسحقه ونظروا الشهيد يعود الى انطاكية حيث حظي باكليل الاستشهاد ليوتي فيها باكليل الاكرام والاجلال مضاعفًا (انتهى) من خطبته بابيلاس (٣٢ وجه ٦٧٢)

فليهذر صاحب النشرة الاسبوعية في سورية وليات بهذيانات وخزعبلات وبرو حكايات ويقص عجائزيات استهزاء وازدراء الى ما يشاء شيطانه . فلا يزال الحق حاقًا والباطل باطلاً . ولا يعود قول السفهاء الاَّ لخزيهم وعارهم ولا كيد المزدرين الاَّ على هامهم ونحرهم . فاذ اجمع هنا على رواية الواقع المؤرخون الوثيون والرواة المسيحيون الصادقون المعاينون صحت اخبارهم وصدقت رواياتهم ولا ينكر الحق الواضح الاَّ من بلي بالجنون الفاضح

هذا وان ما يعبر به ابن الكنيسة عن سلامة نيته ووداعة ثقته لدى ضرائح القديسين وذخائرهم قد يتخذ احيانًا للمتهتين المتغطرفين سنن السخرية والازدراء فيهزاون به ويسترذلون ثقته وامانته . لكنهم لا يستطيعون على ان يسدوا اذن الملي عن سماع دعاء الودعاء ولا يقصروا ذراع قدرته عن عمل المعجزات دلالةً على مرضاته بهم واثباتًا لصحة ثقتهم وصدق يقينهم . فهاك ما روى في هذا الصدد القديس اغوسطينوس علاَّمة عصره وفريد دهره في كتابه الخلد البقاء المعنون

بديهة الله كتاب ٢٢ فصل ٨ . وهذا من جملة الوقائع العديدة العجيبة التي شهد بها وعاين اثارها

قال : كان في ايبون شيخ يقال له فلورنتوس رجل فقير الحال لا يملك بلغة من حطام هذه الدنيا لكنه غني بالله في تدينه وطهارة سيرته وسريرته . فعرض له ذات يوم ان فقد رداءه لم يكن له سواه ومن ثم كان فقدانه خسارة بليغة لهذا المسكين . فلما لم يكن له من الدراهم ما يشتري به رداء اخر بادر الى ضريح عندنا حوى جثث عشرين شهيدا حازوا من القدم شهرة عظيمة في بلادنا واخذ يصلي عاليا على مألوف عادة المصلين وتضرع ملتمسا من الشهداء القديسين ان يهدوه سبيلا للحصول على رداء يرتديه . فاتفق حينئذ ان بعض الشبان كانوا هناك فيما يرونه ويسمعون دعاءه . فاخذوا يستهزئون به ويتهكمون عليه قائلين : لعل الشهداء يعطونك دراهم تشتري بها كساء . اما الشيخ المسكين فلم يجبهم بكلمة بل مضى في سبيله ذاهبا على شاطئ البحر فنيما هو سائر واذا به عثر على سمكة كبيرة صرعى على الرمل ظن ان الموج قذفها الى اليبس وتركها عند ارتدادها فتناولها ومضى فباعها بثمن من صديق مسيحي له اسمه كرتوس واخبره ما جرى له من فقد رداءه واستغاثته بالشهداء ليوفقوه للحصول على ثوب اخر . فقبض ثمن السمكة واخذ يهتم بشراء صوف تعمل له امراته منه رداء اما كرتوس فلما شق جوف السمكة وجد فيه خاتما من ذهب فاخذ فيه التعجب والدهشة كل مأخذ من هذا الطارئ وطار على جناح السرعة الى صديقه الشيخ وقلبه موجب شفقة على مسكنته واعطاه الخاتم قائلا له : هاك ما صنع معك الشهداء القديسون فانهم سمعوا ادعيتك واهتموا بتردينك (انتهى

قول القديس نصًا)

وما هذه الاّ اشارة فقط لما يصنعه الله من المعجزات على يد قديسيه . ولينتبه القارئ ان القديس اغوسطينوس قد روى ما جرى في ايامه وشاهده عيانًا وقصد بايراده بيان ما كان جاريًا في كنيسة افريقا من التكريم الشرعي للقديسين رغبةً في الشركة باستحقاقهم والموازرة بادعيتهم

الفصل الحادي والثلاثون

في زيارة كهوف رومية

بقي علينا لكي ننهي خير النهاية تاريخنا لتكريم القديسين وذخائرهم المقدسة ان ندعو صاحبنا الابروتستاني البيروتي ملفق تواريخ الاصلاح الى زيارة كهوف رومية المعروفة بالكاتاكومب وهي مغر تحت الارض في رومية كان المسيحيون الاقدمون منذ عهد بطرس الرسول يسكنونها احتجابًا من وجه المضطهدين الظلمة ويدفنون فيها الشهداء القديسين ويقيمون فيها المعابد لقضاء فروض الدين . ولعل زيارة المؤرخ المذكور لهذه المغر المقدسة تفيده استنارة وهدى الى الحق والصواب اذ يشاهد فيها وهو قائم في مهد النصرانية المسيحيين الاولين يجرون على تكريم القديسين الجاري عينه في كنائسنا ولا يعود يجاسر على الزعم بكونه اختراع البابا وات

فليتفضل حضرته معنا الى هذه المغر الجليلة ونهديه اليها اسماء المسيحيين اصحابها او اسماء الشهداء الكرام الذين دفنوا فيها كفارة

القديس سابستيانوس ومقبرة مار كاليكستوس وغيرهما . وان جهل مواقعها وغيبت عليه مسالكها فليأخذ له مرشداً ودالاً المعلم روسي الشريف الخبير في معرفة الآثار المسيحية . فلا حاجة هناك الى كلام مستطيل ولا الى شروحات مسهبة بل حسبهُ ان يفتح عينيه ويمعن النظر بما يشاهده على ضياء المصابيح مرقوشاً على جدران تلك المغائر . فترى عيناه صوراً شتى لشهداء ومسيحيين متوفين واكثرها مكللة برموز الفردوس السماوي كالزهور والطيور وسعف النخل وكلها في هيئة تشير الى القيام بالصلوة كرفع الاكفة الى العلاء والعيون الى السماء دليلاً واضحاً على ان مختاري الله في الخدور السماوية ليسوا بمشاهدين فقط على وجه البساطة الجلال الالهي ومستكفين بالتمتع والغبطة بل هم شركاء ايضاً لاخوتهم المجاهدين في هذه الدنيا بالادعية والابتهال

انما لانكتفي استدلالاً على هذا الامر بمجرد النظر العمومي الى هذه الصور بل اننا نرى في الكتابات التي على القبور ما كان اوضح دليلاً واظهر بياناً من تشخيص الصور والنقوش . واني قد قرأت على احد هذه القبور هذه العبارات المرقوشة باللغة اللاتينية بيد الحفار . هنا مضجعة عبدة الله . تضرعي لاجل ابنكِ الوحيد الذي خلفته من كونكِ راتعة في السلام والسعادة الخالدة : وقرأت ايضاً هذه الكلمات على قبر شهيد يقال له اناطوليوس . يا اناطوليوس ابتهل عن والديك . وكتابة اخرى : ياجوفيانوس . حييت بالله فكن شفيعنا

فهذه هي الاستغاثة بالقديسين التي تعلمها المؤمنون منذ عهد مار بطرس والرسل وجروا عليها في ايامهم . فسأل الخصم البسيط هي عين

الاستغاثة والدعا المقدم للقديسين لفظاً ومعنى الجارية عليه الان الكنيسة الكاثوليكية . وليعتبر القاري هنا ان المؤمنين يستشفعون القديسين لايقيمونهم معبوداً لهم . يستغيثون بهم ويقررون انهم ينتظرون الغوث من الله نفسه عن ايديهم كما تفيد هذه العبارات الواردة : تشفع بنا . كن شفيعنا لديه تعالى . ولاشك ان هذا وحده كاف لدحض وهق كامل سفاهات الابروتستنت في سوريا وجميع نفاقاتهم وافتراءهم التظيع على كنيسة الله المقدسة

ولعل من يعترض بدعواه ان هذه الاستغاثة لم تكن الاّ تكريماً خصوصياً للقديسين لايقوم بها دليل على تكريم عمومي رسمي جرى للقديسين في تلك الاعصار . الجواب على ذلك ان كل ما يتعلق بامر العبادة هو مسنود الى عقائد جارية في كامل الكنيسة ومبني على اعمال جرى عليها جميع المومنين لامفوضة لارادة بعض الافراد ومع ذلك انا اثار واضحة جلية تشهد شهادة صادقة بان الكنيسة قدمت للقديسين اكراماً جمهورياً واستغاثت بهم استغاثة عمومية . اذ وجد في كهوف رومية ضربان من الكتابة المعزية الى هذا التكريم والاستشفاع لكليهما سمة الطقس العمومي المصرح بهذه العبارة الجارية الى الان وهي باسم . على اسم الخ . فاولها يثبت الادعية المقدمة باسم المسيح وباسم الله . وشاهده هذه الكتابة المرقوشة على ضريح القديس جوزيوس : ياجوزيوس احيي باسم المسيح . وعلى مدفن ساليافيكتورينا المقول فيها : ايتها القديسة فيكتورينا المتنيحة بالسلام باسم الرب . انما يوجد ضرب اخر من الكتابات تعبر عن الاستشفاع باسم القديس فتكون الادعية حينئذ موجهة للقديس راساً ولله سبحانه عن يد القديس .

منها كتابة قراتها على ضريح احد القديسين وهي : روفا تحيي في سلام المسيح باسم مار بطرس . اي بشفاعته

فان كانت كهوف رومية موعبة اثارًا تعبر عن تكريم القديسين ما اكثر ما تحتوي ايضًا على دلائل تشير الى تكريم ذخائرهم المقدسة فانك تشاهد في هذه المدافن ما لا يحصى عدده من حناجير الدم وخرق واسفنجات مغموسة بدماء الشهداء وانية مملوة من التراب الذي شرب دم الشهداء . فليت شعري ما القصد بحفظ هذه الانية حفظًا جهيدًا في القبور او بجانب جثث القديسين . الّا لتادي لنا شهادة كما قرر المؤرخون الاقدمون بما كان عليه المؤمنون الاولون من شديد الهمة والعناية في جمع دم الشهداء ووضعه بجانب الجسد المدفون او في مساكنهم معتبرينه ينبوع النعم والاحسان لاولادهم . هكذا عبر في اوائل اعصار الكنيسة الشاعر برودنسيوس الذي خلف لنا في نظمه الجميل باللغة اللاتينية افادة جميلة عما كان يشاهده في عصره من تقاطر المؤمنين افواجًا الى كهف القديس ايبوليتوس الحاوي ضمنه عظام هذا الشهيد المعظم وقال : ان قلتم ما علة هذا الازدحام الى هذا المحل قلت : ان علته رجاء المؤمنين باسترحامه تعالى واستمالته على ايسر منوال لاسماع الادعية المقدمة عن يد القديس وهم قائمون حذاء ضريحه . وقال ايضًا : كل ما اضنكني ادواء النفس والجسد حررت امام هذا الضريح فنلت في الحال شفاء لكليهما . (انتهى) برودنسيوس في كتابه عن المكللين في وجه ٣٨٩

واعلم ايها القاري العزيز ان الوثنيين الاقدمين قد استهجنوا طريقة المسيحيين في تكريم ذخائر شهداء الدين كما استهجنها صاحبنا

مؤرخ الاصلاح الابروتستاني في بيروت وجماعته اعداء بيعة الله جارين في هذا الصدد مجرى الوثنيين وذاهبين مذهبهم وهم غفلٌ بلهٌ لا يدرون ما ياتي به التاريخ الصحيح من الحجج القاطعة المفندة كذبهم والجاحفة بمذهبهم . وان مساعيهم الجهيدة في تخفيض شان اولياء الله الكرام شانها ان تشدد عزائم ابناء الكنيسة لا ان ترخيها في عمل هذا التكريم الجليل بينما يشاهدون الكنيسة وهي في مهدها كهوف رومية قد جرت عليه كما تجري عليه الكنائس في ايامنا بدون ادنى فرق وتميز . فلما كان المسيحيون في القديم يشاهدون الوثنيين يجنون كيدًا وحقدًا على جثث اولياء الله وذخائرهم المقدسة كانوا يزدادون همةً ونشاطًا واعتناء في جمع عظامهم المبددة وجثثهم المغرقة في الماء . فيقتحمون الى منافع العذاب معرضين بحياتهم للخطر ويهجمون الى الات النكال ويخرقون صفوف قتلة الشهداء الى ان يبلغوا الى منقع العذاب ويجمعوا هناك الدم الكريم المسفوح ويلتقطوا الذخائر المقدسة واي قلب لا ينفطر تخشعًا عند ما يذكر ما جرى لتلك الاخوين الصنديدتين القديسة بركسيدا والقديسة بودنسيانا اللتين تيسر لها بهمتها العلية وبسالتها السنية ان دفنتا اكثر من ثلثة الاف شهيد . قال طوبيا المار لابنه : نحن بنو جماعة القديسين (٢ : ١٨) فعلينا ان نقتفي اثار سلفائنا . فان كان لا يتيسر لنا ان نجمع جثث القديسين مثلهم فلنرفصنّ بارجلنا على ما قل مساعي خدمة انجيل الضلال الصبيانية السخيفة سواء سموا نفوسهم مؤرخين او بيبلشيين اي جارين على التوراة فحسبنا ان نزحزح عن سحنائهم طرفًا من اطراف ستار رياهم رايناهم عارين من اثر التاريخ والتوراة . ومعاذ الله ان ابن الكنيسة الكاثوليكية

الرومانية بدعهم ان يسلبوا منه الكنز الثمين الذي ناله من المسيح الرب عن يد رسله الكرام . فحذيرًا له من الوقوع بهذا المصاب قد تعنيت هنا الى تبيين هذه الاثارات التاريخية الصادقة كما تعنيت فيما مضى الى كشف ما انزله اولو المكر والفساد من التصحيف والتحريف في كتاب الله العزيز لكيما يتهيأ لابن الكنيسة ما يحذر به من غدر رسل الضلال وخداعهم ويظفر بما يسد به افواههم الناطقة بالهذر والهذيان

الفصل الثاني والثلاثون

في الصلوة لاجل الموتى والمطهر

بعد ما نهينا الكلام في تكريم القديسين واحترام ذخائرهم وقعت المناسبة للتكلم في المطهر والصلوة لاجل الموتى . ولا يخفى ان هذه العقيدة هي من جملة العقائد الكاثوليكية التي كثيرًا ما يعتمد الابروتستانت على السفاهة والتهجين في محاربتها . ولا حاجة للقول ان صاحبنا البيروتي مؤرخ الاصلاح الابروتستاني هو من سباقي الغايات بين اصحاب مذهبه في فن هذه السفاهة والرذالة . وشاهد ما عزى اليه من كتيب اوعبه كلام مجون وسخرية بالكاثوليك ومذهبهم وبثه في قطر سورية قصدًا لتوقيع عمله بطريقة الالهاء والاغواء في مناصبته حجج الدين الكاثوليكي فالخليق بنا هنا ان ننتبه لكلا الامرين انجازًا لوعدنا في خاتمة هذا الكتاب

فلنابنّ اولًا ببيان الاساسات الراهنة المقتبسة من الصحف المقدسة الوطيدة الاركان المسنودة عليها عقيدة الكنيسة هذه

غير ان الاولى بنا ان نسمع القاري قبلاً خلط صاحبنا ملفق تاريخ اصلاح الابروتستانت وهذره بمناقضة المطهر لكي يهديه ما يستحقه من الهزء والسخرية على محاولته بمثل هذه الاساليب السقيمة سلب هبة الايمان الثمينة من فؤاده. قال المؤرخ المذكور: كان فلاسفة الاسكندرية سابقاً تكلموا عن نار يتطهر بها الناس وكثيرون من العلماء القدماء كانوا قد تمسكوا بهذا الراي وحكمت رومية بان هذا الراي الفلسفي هو من عقائد الكنيسة والبابا بموجب براءة ضم المطهر الى مملكته وزعم انه في ذلك المكان يجب على الناس ان يكفروا عن الخطايا التي لم يقدروا ان يكفروا عنها هنا على الارض الآن الغفرانات تعتق نفوسهم من الحالة المتوسطة التي تحجزهم خطاياهم فيها واثبت هذا التعليم توما اكونياس في كتابه المشهور المعروف بخلاصة علم اللاهوت ولم تترك واسطة من الوسائط اللازمة لاملاء ضمائر الناس هولاً ورعباً والكهنة رسموا بالوان هائلة العذابات التي تقسم بواسطة هذه النار المطهرة على جميع الذين يصيرون فريستها والان نرى في اماكن كثيرة من البلاد البابوية صوراً موضوعة في الكنائس والاماكن المشهورة فيها تطلب الانفس المسكينة بالزفرات من وسط اللهيب القادح تخفيف الامها فمن يقدر ان ياخر دفع ثمن الفداء الذي اذا سقط في خزنة رومية يفتدي النفس من مثل هذه العذابات. (انتهى) وقد اكثر المؤرخ المهذار من هذه السفاهة والهذيان في باقي نشرته فزين صحفها بهذه الاقاويل الرذيلة المدروجة فيها على وجه القدح والطعن بالبابا والكنيسة الكاثوليكية ومعتقدها بالمطهر. فالحاصل اذاً من هذره ان اصل الاعتقاد بالمطهر في الكنيسة صادر عن عبدة الاوثان وان

البابويات قد نقلوه عنهم حيلة لاحتشاد المال بواسطته . فاترك سائلنا جناب هذا المؤرخ ابن تجبك وبراهينك في هذه الاقاويل السفيهة الافترائية التي تتكرم بها بمزيد السخاء على ابناء الكنيسة السورية فلم نسمع منه جواباً بل نراه يكمن تجبه وبراهينه في صدره وقد احسن العمل باصلحه لانه لو ابرزها من جوفه لاسمعناه ما يضاعف عليه الخزي والفضيحة . اما نحن فلا جواب عندنا على هذه السفاهة والرذالة بل عندنا اخبار التواريخ الصادقة المفحمة كل لسان كذاب فاذا ما اريناه مراي العين التواريخ منتصبة كجبار عنيد على اقوال الله المنزلة تكذب تكذيباً قطعياً كامل هذره وهذيانه واكاذيبه وطغيانه سائلاه حينئذ ان يتفضل علينا بالجواب لنريه ما عاقبة الكذب والهذر والفساد والطغيان

اما الصلوة لاجل الموتى فقد جاءت من العقائد الدينية القارة على صفحة الكتاب المقدس وجرى عليها اليهود في العهد القديم واثبتت صحتها التقاليد الرسولية بشهادة العمل بها الجاري بين جميع المؤمنين الاولين والمقرر بخدمة الكنيسة الجمهورية منذ اوائل النصرانية

فلنابنّ اولاً بايراد الاية الشهيرة في السفر الثاني للمكابيين حيث جاء نصٌ صريحٌ في اثبات صحة الصلوة لاجل الموتى . قال كتاب الله العزيز : شيءٌ صالحٌ ومقدس هو الفكر ان نصلي عن الموتى ليحلوا من خطاياهم . (مكابيين ثاني ١٢ : ٤٦) . فهذه الشهادة جلية قاطعة لا تحتاج الى شرح . وان ادعى الخصم تفنيدها لورودها في سفر من اسفار التوراة المعروفة بالقانونية ثانيةً ارجعناه الى المحاورة التي جرت على هذه الاسفار وقد اتممناه فيها عن الرد في دحضنا اعتراضاته عليها

واثباتنا صحتها بالحجج القاطعة في كتابنا المعروف بكشف المغالطات الابروتستانية . وقال مار اغوسطينوس قولاً صريحاً في كتابه المعروف بمدينة الله فصل ٢٦ كتاب ١٨ : ان اليهود لم تقبل بقانونية سفري المكابيين اما الكنيسة المسيحية فعرفتهما ولم يقل مار اغوسطينوس هذا القول من عنده بل شهد باعتقاد الكنيسة . وان مجمع قرطجنة الثالث المعقود سنة ٣٩٧ للميلاد قرر اعتقاده بقانونية سفري المكابيين ومار اينوشنسيوس الاول الذي توفي سنة ٤٠١ لما استفتاه اكسوبارپوس اسقف تولوزا في عداد الكتب القانونية قد افتاه محصياً هذين السفرين بصريح العبارة بين الاسفار القانونية فمن الواضح اذاً العاري من كل شبهة ان الكنيسة الجامعة قد جرت على هذا الاعتقاد في القرن الرابع وقد ثبت اعتقادها هذا بشهادة القرون التالية الصريحة كما بينا في كتابنا المشار اليه انفاً

والحال قد ذكر في هذا السفر ان يهوذا الشهير زعيم المكابيين الزعيم الشهير ايضاً بتدينه وكثرة النصرات التي حازها على اعداء شعبه امر غب نهاية القتال بجمع دراهم فجمعت وارسل الفي درهم الى اورشليم ليقدم بها هناك ذبيحة لاجل الذين قُتلوا في الحرب . وهذا حادث من الحوادث التي تمت فعلاً وليس يمكن من اعتمدوا على قوة من الصواب فعليه ان كان يهوذا المكابي قدّم ذبيحةً عن الذين قُتلوا في معركة الوغى أليس في هذا العمل دليل قاطع بين على عمل اهل عصره بتقدمة الصلوات عن الموتى والاّ من وله ادنى الصواب يخطر على باله ان زعيم قوم مثل يهوذا المكابي رجلاً حكيماً منقطع النظير بين زعماء الجيوش بدرايته وبسالته وتدينه عمد الى اجراء عادات جديدة في الدين

بين قومهِ وهل يجد كهنة في اورشليم من كهنة شعبهِ الجاري على الدين الصحيح يقدمون ذبائح لم يامر الله بتقدمتها ولم يعملوا ولم يسمعوا بها قط فيها معنى لا لعمري

هذا وان ما كان جاريًا في عهد يهوذا المكابي قبل الميلاد بنحو مائة وخمسين عامًا بقي منذ عهد الرسل على ما افاد الرسول مار بولس المعظم في رسائلهِ والانجيل نفسه كما سنراه في محلهِ

وعليه ليس بدون حجج راهنة قد قرر مار يوحنا فم الذهب في عظاتهِ على رسالة مار بولس الى اهل فيليبي فصل ١ : ان الرسل امرت بان يجري ذكر المتنيحين في تلاوة الاسرار الرهيبة لانهم يعرفون خير معرفة انهم ينتفعون بهذا الذكر نفعًا كبيرًا . (انتهى)

والقديس ابيفانيوس الاقدم من مار يوحنا فم الذهب قال في هذا الصدد في دحضهِ ارايوس الاراطيقي : ان الكنيسة تحافظ من باب اللزوم والوجوب على الطقس والعبادة الذين اخذتهما عن قدمائها الى ان قال : وهذا كافٍ لدحض ارايوس وخزيهِ الذي كان ينكر وجود المطهر ثم يحتدم عليهِ غيظًا ويهجنه باقبح الاوصاف والالقاب

الفصل الثالث والثلاثون

في الصلوة عن الموتى والمطهر

قد مرّ من اقوال اباء البيعة في الصلوة عن الموتى وذكرهم في تقدمة الذبيحة المقدسة ما لم يبقِ محلاً للريب في كونها مأخوذة عن الرسل الكرام . قال مار يوحنا فم الذهب في عظتهِ على رسالة مار بولس

لاهل فيليبي : لم تامر الرسل بذلك (اي بالصلوة عن الموتى) الاّ لاسباب حسنة . ولما كانت شهادة هذا القديس الجليل قاطعة لاتحتمل تعويجًا ولا مواربة قد دكت عزائم احد خدمة الابرونستانت (ضربت الآن صفحًا عن ذكر اسمه) وافحمته افحامًا حمله على الدعوى بان مار يوحنا فم الذهب اول من ادّى مثل هذه الشهادة . ولكن قد فاته انه قد ضل ضلالاً مبينًا في التاريخ كما ضل اخوه صاحب تاريخ الاصلاح في سوريا الذي نحن اخذون بتفنيد اضاليله . فنري ما تفيد دعواه هذه الفارغة اذا ما اتيناه علاوةً على ما تقدم من شهادة يوحنا فم الذهب وكثيرين غيره من اباء البيعة الكرام بشهادة العلاّمة الجليل ترتوليانوس المداني الرسل التي يكذب بها زعمه تكذيبًا قطعيًا متكلمًا بشان هذه الرياضة الجارية عليها الكنيسة كانها من رياضاتها المالوفة التي لا يسوغ لاحد ان يعتني منها فهل يبقى له وجه للانكار او للشك بحقيقة صدورها عن الرسل انفسهم . قال هذا العلامة في كتابه المعروف باكليل الجندية وجه ٤٤٩ . اننا نقدم كل عام الذبائح عن الموتى يوم تذكار وفاتهم السنوي ولم يقل هذا فقط بل اسمع ما كان من توبيخه لامراة ارملة تتقاعد عن تقدمة الذبيحة لراحة نفس بعلها المتوفي . قال : ان كانت امراة ارملة لا تهتم بتقدمة الذبيحة كل عام لراحة بعلها المتوفي يوم وفاته يجب ان تُعد عارية من اثر الوداد والحنية لبعلها (في كتابه عن الاقتران بامراة واحدة وجه ٥٧٠)

هذا وان الليتورجيات وخدمة الكنيسة العمومية الجارية في اوائل الكنيسة الموجودة الى الآن بين ايدينا تدلنا دلالة اوضح من الشمس في رابعة النهار على ان الكنيسة لم تنسَ قط الموتى في تقدمتها الذبائح

المقدسة . واسمع ان شئت ما كان جاريًا في الشرق وفي نفس كنيسة اورشليم مهد جميع الكنائس : لما كلف مار كيريلوس الاورشليمي بتعليم الموعوظين في القرن الرابع كان يشرح لهم مفصلاً ما كان يصنع في القداس فاصغ الى ما قاله في هذه الرياضة تعليمًا للموعوظين . قال : اننا نصلي اخيرًا عن الذين توفوا من بيننا معتبرين ان نفوسهم بمثل جزيل الاسعاف من ذبيحة منابحنا الرهيبة ومن الصلوات المقترنة بها (انتهى قوله في شرحه الثامن على الاسرار) فالمفهوم من كلامه هذا ليس فقط تقدمة الذبائح والصلوات من اجل الموتى بل منافعها ايضًا لانفس المتنيحين وتنهيج الشعب حتى الفتيان على ممارسة هذه الرياضة

وقال مار اغوسطينوس في عظة على اقوال الرسل وجه ٣٢ وهو يعلم شعوب افريقا ان الكنيسة تحافظ بوجه العموم على ما تناولته بالتقليد، وان سألت ما تناولت بالتقليد قلت قد تسلمت ان تصنع ذكرًا للذين تنيحوا. وقال في كتابه المعروف بالاهتمام بالموتى فصل ٤ لم تخل الكنيسة في تقدمة الصلوات لجميع الذين توفوا في شركتها (اه) وليتنبه القاري الى التعليل الذي اردفه بقوله : لكي تقوم بما انها ام حنونة بسد احتياجات من ليس لهم اقرباء ولا اصدقاء يهتمون بامرهم (اه)

واعلم انني لم اقصد برواياتي اقوال هذا القديس العلامة الاستناد عليه بما انه لاهوتي ومعلم بل بما انه شاهد صادق لا رد لشهادته باعمال الكنيسة منذ عهد الرسل . فمن مفهوم قول هذا القديس الجليل ان هذا التعليم كان وقتئذٍ من التعاليم المعروفة عند جميع المسيحيين ومن العقائد الضرورية الجارية عليها الكنيسة باسرها . ولهذا قد روى المورخون : ان الملك قسطنطين الكبير قد طلب قبل وفاته بالحاحة ان يُدفن في

صحن الكنيسة التي بناها على اسم الاثنى عشر رسولاً. قال اوسابيوس كاتب سيرته في كتابه الرابع فصل ٦٦ في سيرة قسطنطين انه قد اختار له قبل وفاته مدفناً في هيكل الاثنى عشر رسولاً لكيما يشترك بعد موته بالصلوات والذبائح المقدمة لله على اسم الرسل القديسين (انتهى)

وقد افادنا التاريخ انهُ من ذاك العصر اي من تلفظ او كتب ما ينافي الاعتقاد بمنفعة هذه الرياضة وسم بالعار والفضيحة الابد ومحي اسمه من سفر ابناء الكنيسة. وشاهده ما جرى لآريوس فانه عُدَّ اراتيكيًا رجسًا لانه قال: ان الصلوة المقدمة عن الموتى عقيمة النفع (ماسر ابيفانيوس صحة الارتقات كتاب ١٥ وجه ٩١١)

فلنات الآن الى صاحبنا المؤرخ الامركاني في بيروت ونقول له: قد نظمت نفسك في سلك المؤرخين بل وادعيت ان تدرج تاريخًا تهديه لابناء سورية كانه تحفة الزمان وكنز المنافع والاحسان. فافدنا جنابك هل لك ان تنكر هذه الحوادث الشهيرة الواضحة وضوح الشمس في قبة الفلك الواردة في صحف التواريخ. ولن كنت لا تستطيع على انكارها. افدنا من هم هولاء الفلاسفة الوثنيون الذين اخترعوا بزعمك عقيدة المطهر واخذتها عنهم الكنيسة. فلا شك ان هولاء الفلاسفة ما هم الا رسل المسيح الرب ويسوع المسيح نفسه ونعم الفلاسفة ونعم اختراعهم وتعليمهم

ولعلك تعترضنا بقولك: ان كانت عقيدة المطهر من العقائد الثابتة في الدين كيف لم يات المسيح بذكرها في الانجيل مع انها على قولكم عقيدة تستدعي اعمالاً خلاصية وكبيرة الاهمية. نجيب: ومن قال لجنابك ان المسيح لم يات بذكرها في الانجيل وهل تظن ان كل ما

لا تظن او كل ما تتعاماه يكون معدوم الوجود . كلاّ . ثم ولو سلمنا ان المسيح لم يأتِ بذكرها في الانجيل فلا دليل بذلك على عدم وجودها لان عقائد كثيرة في الدين لا ذكر لها في الانجيل . ومع ذلك نقول بمعزل عن هذا الجدال . هل تصدق جنابك حقيقةً ان الانجيل لا يذكر شيئاً يشير الى المطهر . كلف خاطرك افتح كتاب بشارة متى واقرأ منها الاصحاح الثاني عشر عدد ٣٢ تر الرب يسوع يقول فيهِ : من الخطايا خطية لا تُغفر لا في هذا الدهر ولا في الاتي وهي خطية التجديف على الروح القدس . فعلى ظني لا حاجة الى اطالة الشرح لاظهار المفهوم من هذه الاية الكريمة عن بعض خطايا غير خطية التجديف على الروح القدس تصادف غفرانًا في الدهر الاتي . وما من محل تغفر فيهِ الخطايا في الدهر الاتي الاّ المطهر . فمداول كلام المسيح الرب ليس فقط حقيقة وجود المطهر بل معرفة هذه الحقيقة وشهرتها عند سامعي كلامهِ . وهاك خلاصة الاستدلال من هذه الاية عن المطهر . ان من قال ان بعض الخطايا لا تُغفر لا في هذا الدهر ولا في الاتي دلّ دلالةً واضحة على مفهومهِ ان بعض خطايا غير التي ذكرها تُغفر في الدهر الاتي فلو كانت كل الخطايا لا مغفرة لها في الدهر الاتي لكان استثناء خطية التجديف على الروح القدس عن غيرها استثناء بغير محلهِ ولكان قولهُ بها لا تُغفر في الدهر الاتي عبثًا ولغوًا ومن المأكد ان الدهر الاتي لا يفهم بهِ عن جهنم اذ لا مغفرة هناك للخطاة الهالكين بل عذاب دائم . ولا يُفهم بهِ ايضًا عن الفردوس السماوي اذ لا يدخله الاّ الابرار المطهرون . فينبغي اذًا ان يكون محل متوسط بين السماء والجحيم حيث يتمكن الخاطي من المغفرة لبعض خطايا وهذا هو المحل الذي

سمنه القدمية المقدسة بالمطهر . وهكذا سمعنا اباء البيعة الكرام كاس اغوسطينوس ومار غريغوريوس الكبير ومار برنردوس يبرهنون عن حقيقة وجود المطهر من هذه الاية الكريمة ولا شك ان برهانهم سديد قاطع لا يقوى على رده معترض ولا مماحك لانه راكز على صخرة الانجيل الوطيدة

ثم سمعنا الرب المسيح المعلم الالهي ياتي في بشارة لوقا ١٢ : ٥٩ يذكر سجن في العالم الاتي لا يخرج منه المديون حتى يفي كامل دينه الى اخر فلس . فعليه نقول انه لا يصح قط ان يكون المفهوم بهذا السجن عن جهنم اذ لا وفاء دين في جهنم ولا خروج منها فمن اللازم اذا ان يكون المقصود به سجنا يخرج منه المسجون حقيقة انما بعد ان يكون وفى تمام ما يلتزم به لعدل الله سبحانه وهذا هو السجن الذي عبرت عنه القدمية المقدسة بالمطهر

وان قال قائل : ان هذه الايات الانجيلية ما هي الا استدلالات تفترض وجود المطهر لا اثباتات مستقيمة لهذه العقيدة . قلتُ : صدق القائل وسلمت له بدون اشكال انما بشرط الا يسهى عن بالهِ ان الاستدلال والاثبات سيان لان كليهما برهان قاطع على حقيقة وجود المطهر ولا فرق بينهما الا ان الاستدلال يشير الى ان المستدل عليه معلوم راسخ في ذهن من يلقى اليه الاستدلال او الاشارة اليه . اما الاثبات فهو حجة او دليل على امر معلوماً كان او غير معلوم . ولهذا قلنا ان المسيح الرب قد اشار بالاية الواردة في بشارة متى بصدد الخطية التي لا تُغفر لا في هذا الدهر ولا في الاتي الى حقيقة وجود المطهر بما انها من الحقائق المعروفة عند السامعين كلامه ومن عقائدهم الدينية

الفصل الرابع والثلاثون

في الصلوة عن الموتى والمطهر

ردًّا على رسالة تتضمن هجوًا بالايمان الكاثوليكي في سوريا

قد تحتم على دعاة الدين الكاثوليكي وعلمائه اللاهوتيين ان يتمارضوا بعض الاحيان قيامًا بحق فرض من الفروض المنصبة الى العمل بكشف الاضاليل الوخيمة المناقضة التاريخ الصحيح والموعبة افتراء على المتمسكين بعروة الحق والصواب والى فضح جهالة اصحابها ورعونتهم. وهذا ما جرى لنا مع صاحبنا مؤرخ الاصلاح في بيروت على اننا لم نحتج والحمد لله الاَّ ان نصوب باصرتيه الى صحف التاريخ لنجزيه ما يستحقه عدلاً من العار والفضيحة ويصادف ما جرَّ اليه نفسه من الخزي والخجل باعتبار كونه مؤرخًا حتى من اسفل المؤرخين واحقرهم

ولكن ما عنينا ان انتهينا منه الاَّ واتانا صاحب اخر برسالة اوعبها من الطعن بالحقائق الكاثوليكية ما كان اسمجه وافجه . ولما وعدنا بدحضه كان لا بد لنا من انجاز وعدنا . ولكن ترى كيف السبيل الى مخاطبته والانسان لا يخاطب الاَّ الانسان والدحض لا يقع الاَّ على الاعتراض المسكوب بقالب البرهان لا على اللغط والخلط والهذر والمذر . فاننا طال ما طالعنا هذه الرسالة وامعنا الفكر في الفاظها وعباراتها وقد عنونها صاحبها براحة التعبان وما هي الاَّ عربدة السكران لم نجد فيها الاَّ ما تقدم دحضه مليًّا من اقوال بدون برهان ومما كان لا عبرة له ولا شان . وان كنت ايها القاري على ريب فيما نقوله عن هذه الرسالة هاك خلاصة ما ادرج فيها من الخطاب واحكم عليها بموجب

شرعك والصواب . قد تقدم القول ان عنوانها راحة النعمان وصدّر صاحبها فيها كفي مراسح اللعب فتاةً امسى بها المرض الى حافة المنون ووالدتها بجانبها تعزيها وتفرج غمها وكربتها . فالابنة على ما اشار اليهِ صاحب الرواية مسلمة امرها لله وصابرة على احكام العلي بالموت لكنها مرتعدة فرقًا من عذابات المطهر اما والدتها فكانت تسليها بقولها لها انها ستعتني بامر نفسها بعد وفاتها وتقدم قداسات لتخفيف عذابها وانقاذها من المطهر . لكن الابنة لم تصدقها بل اجابتها : انتِ فقيرة يا والدتي من اين لكِ دراهم تدفعينها اجرة قداسات عني . فهنا شرع صاحب الرواية يسمعنا سفاهة لسانهِ ويرينا ما يقصدهُ من هذه الحكاية المرسحية . فان هذا المشعبذ لعاب المراسح قاصد ان يحول الى غاية الارباح الوخيمة ما رايناه جاريًا من الاعمال الدينية منذ عهد الرسل بين المؤمنين بشهادة العلّامة الجليل ترتوليانوس . ويتواطئ مع اخيهِ موافقهِ ومرافقهِ مؤرخ الاصلاح الابروتستاني في بيروت على اتقان التمازح والتسافه بهذه الحكاية الرذيلة . ولم ينتهِ هذره الى هذا الحد بل رايناه ايضًا ياتينا باخي المريضة ويجلسه بجانبها لكي يعزيها كما لا يخفى غير ان صاحب الرواية قد كلفه بفصل لعب غير فصل امهِ . فلما كان شديد البأس ثاقب العقل ذكي المعرفة متضلعًا بقراءة التوراة اخذ يتشفق على اختهِ المسكينة لما كانت عليهِ من وهن البصيرة والسذاجة في تصديقها بوجود المطهر . فقال لها : ما بالكِ يا اختي تخافين من المطهر وما المطهر الاَّ اضغاث احلام . وكنتُ انا مثلكِ فيما مضى لكنني فيما بعد قد نبذت عني هذا الخوف الوهمي وذلك لانني لم امنع من تلاوة التوراة في الكلترة . ثم رايت ان الكتاب المقدس لا يذكر الاَّ ذبيحة واحدة وهي ذبيحة يسوع

المسيح الضرورية للخلاص . فقد وفى المسيح عن الجميع بهذه الذبيحة وفاء فائضاً . فلا فائدة اذاً من باقي الذبائح ثم اورد لها جوقة من نصوص ايات في الكتاب المقدس المعبرة عن رحمة الله الذي تالم ووفى عن الجميع وكانت هذه ختام الرواية المرسمية . تامل ايها القاري اني قد اصبت بقولي لك انه لم يات الا بما كان مردوداً ومدحوضاً سلفاً . اما رأيت رده ودحضه بالاعمال الجارية بين المسيحيين والمدارجة منذ عهد الرسل ببينات التواريخ القاطعة اي بعمل تقدمة الصلوات عن الموتى والذبائح لراحة نفوسهم التي شاهدها الرب لما اتى الى العالم جارية بالتمام بموجب العبادة التي رسمها الله وجرت في طقوس مجمع اليهود وحفظت في اورشليم المدينة المقدسة . وهل كان ليسوع المسيح والرسل حاجة للتنهيج على هذه الاعمال التي وجدوها جارية على التمام كما شهدت الكتب المقدسة واثار التواريخ وهل لا يقدّر من النوع نفسه الذي به يوتى بذكر هذه الاعمال في الانجيل المقدس على انها جارية في العالم باسره كما قررت اباء القرن الاول وشهوده الصادقون

فحسبنا قولاً من حيث الدليل والحجة لدحض هذه الرسالة الوخيمة . ولكن قبل ان اختتم الكلام في هذا الصدد احب ان اذكر شيئاً بخصوص هذه الالعوبة المرسمية الوخيمة التي اجاد بها صاحبنا المشعبذ على الكنيسة الكاثوليكية بدون برهان ولا دليل مشيراً بها الى ان الكنيسة قد تقصدت في صلواتها عن الموتى وفي تعليمها بالمطهر متاجرة مالية وارباحاً ليمة . فعلى هذا المحور الرذيل يدور كما رأيت كامل مونة سفاهته الواردة في هذه الرسالة لان هولاء الرسل حبابي المال ياملون كل فوز ونجاح بالضلال ولشدة انهماكهم باجورهم المالية الوافرة

وسعيهم في اثر الثورة والرفاهة يحكمون على غيرهم حكم نفسهم بموجب اميالهم وشهواتهم قلوبهم ويعزون للكنيسة نفسها ما يعزى اليهم من محبة المال والارباح في الادعية والذبائح التي تقدمها عن الموتى. فويحكم ايها التلابون السفهاء الارذال على ما تفترون به على كنيسة يسوع المسيح. اما سمعتم ما ورد من القول السديد الراهن عن اسقف ايبون المعظم فانه لقول يفحم ويبكم كل تلاب لئيم ويحجز الهاجي الملجن عن الاتيان بمثل هذه المشعبذات المشينة. قال مار اغوسطينوس في كتابه عن الاعتناء بامر الموتى فصل ٤ وجه ٨٨٣: ان الكنيسة بما انها ام حنونة تصلي عن الجميع ولا تهمل الصلوة لكيما تلافي احتياجات من ليس لهم اهل ولا اصدقاء يهتمون بامرهم (انتهى). فليت لخصمنا اذنين سامعتين وذهنا عاقلاً ليسمع ويعقل هذا القول الجليل المعبر عن سمو المحبة والحنو. فاين هنا ذكر الارباح والاجور المالية فيما ان المسئلة عن نفس من لا اهل له ولا صديق واحد يهتم بامره في هذا العالم. لعمري ان الجميع يهملون هذه النفس ولا من يعبأ بحالها وهي في وسط العذابات الا كنيسة يسوع المسيح الحقيقية وذلك لانها ام حنونة. وبما انها ام تهتم من طبعها اهتماماً غير الاهتمام بالارباح ورغد المعيشة تهتم بخلاص بنيها ورافقهم بهذا الاهتمام الوالدي الى ما وراء القبر حيثما يبلغون الى العذابات المطهرية. فهذا ما كان في هذا الصدد ومن المعلوم ان صاحب هذه الرسالة الوخيمة كما واخاه صاحبنا مؤرخ الاصلاح في بيروت لم يكونا ينظران منا هذا التاديب المحكم الذي استحقاه عدلاً بما افتريا به على بيعة الله المقدسة وهذرا وعربدا في مضادتها عقائدها واعمالها الدينية. فلا غرو اذا ان يؤتى كل ذي حق بحقه

الفصل الخامس والثلاثون

في شركة القديسين

بعد ما اثبتنا حقيقة وجود المطهر ومنفعة الصلوة عن المتنيحين وفندنا ما اتته جماعة الابروتستانت في سورية من الردود الصبيانية على هذه الحقائق وقعت لنا مناسبة للكلام في شركة القديسين، وبالحق ان ابن الكنيسة يقر عينًا ويطيب نفسًا فيما يشاهده من النظام الفاخر الجميل المنسوقة عليهِ العقائد الكاثوليكية ومن الرباط المتين الجامع شتاتها فيما ان الابروتستاني المسكين يرى ان اعتماده على انجيلهِ الجديد قد ودّى بهِ الى قطع كل رباط بين حقائق الدين وبمغادرة الايمان القديم غادر هذا النظام المرتبطة بهِ العقائد الكاثوليكية ارتباطًا متينًا مبنيًا بناء راسخًا على ايات الكتاب المقدس الواردة موردًا جليًا بينًا في رسائل رسول الامم المعظم

فمن المعلوم ان شركة القديسين هي من عقائد الكنيسة ومن قضايا الايمان الواردة في قانون ايمان الرسل بهذه العبارة الصريحة: اومن بشركة القديسين كما اومن بالروح القدس وبالكنيسة الكاثوليكية. فالمفهوم بشركة القديسين الاتحاد بين الكنيسة المنتصرة والكنيسة المجاهدة والكنيسة المتألمة اي بين القديسين الذين في السماء والمؤمنين الاحياء في هذا العالم والنفوس المعذبات في المطهر. وان شئت ان تقف على ما لهذه العقيدة من الاسس الراهنة الوطيدة الراكزة على الكتاب المقدس وما بنى عليها الرسول المعظم من الرسائل التي بعث بها الى الكنائس طالع الرسالة الاولى الى اهل قورنتية (١٢: ١٢

وما يليه) وقابلها معا كتبه الى اهل افسس ترَه يعبر تعبيرًا جليًّا عن هذا التعليم ويأتي بشرحه وتبيينه الى اخر تفاصيله ولواحقه فيقول : ان الكنيسة هي جسد المسيح (١ قور ١٢ : ٢٧) والحال ان اعضاء الجسد مترابطة ومتالفة بتبادل الخدم والوظائف . اذ يساعد الواحد الاخر في العمل ويبلغ الجميع اخيرًا الى الانتفاع بخير واحد . فيسوع المسيح في هذا الجسد هو راس الكنيسة (افسس ٥ : ٢٣) وانتم اعضاؤه . واذ خاطب اهل قورنتية قال لهم : انتم جسد المسيح واعضاء من عضو اي انكم اعضاء بعضكم لبعض . (قورنتية اولى ١٢ : ٢٧) وقد رتب الله الجسد على ان كلاًّ من اعضائه يعتني بالاخر : وقال في رسالته الى اهل افسس (١ : ٢٣) وتاخذ الكنيسة من المسيح ملء خيراته وتكمل في جميع اعضائها

فحيث الحالة هذه لا عجب من كون ان هذا الجسد الذي يتكلم الرسول في صدده يحتوي ينبوع النعم الدائم وكنز الاستحقاقات العظيمة الغير المتناهية . فان دم يسوع المسيح الزكي المعبود لا يزال يربي كنز الكنيسة ويمده غنيًّ وفيضًا على ان الراس وان يكن هو الينبوع الخاص لهذا الكنز فلا مانع من ان الاعضاء ايضًا تشترك في انشاء هذه الحيوة المشتركة وقد قرر ذلك الرسول المعظم تقريرًا صريحًا بقوله ان الله سبحانه قد رتب هذا الترتيب (١ قورنتية ١٢ : ٢٤ و ٢٥) ومن ثم قد حشد هذا الكنز الثمين دم الشهداء الزكي المحدر على البيعة البركات والخصب وقد احتوى على زهد المتنسكين الذين افادوا نفوسًا عديدة نعمة الهدى والتوبة . وعليه قد راينا دعاء مار اسطفانوس اول الشهداء احدر من العلاء نعمةً لبولس الرسول اصرعته على طريق

دمشق ونورته وهدته سبيل الدين القويم والخلاص ودعاء القديسة مونيكا نشل ابنها اغوسطينوس من وهاد اثامه وضعفه وصلوات الملكة كلوتيلدة افادت فرنسا نجاة من رجاسات الوثنية ورقت الدين المسيحي عرش كلوفيس . وقد تضمن كنز الكنيسة ايضاً ادعيتنا واعمال وفائنا التي تطير على اجنحة الملائكة كما قرر طوبيا البار (١٢ : ١١ و١٢) وتذهب الى قلوب اخوتنا الغائبين واخوتنا المصرين على اثامهم آتيتهم ببلسم التعزية وبنعمة التوبة وبهبة الثبات في الصلاح فتخرق الاجرام وتنفذ الى اخوتنا في اقاصي البلدان . فلا مانع يمنعها ولا حاجب يحجبها عن البلوغ الى من انفذت اليه على ان شركة القديسين تعم جميع الامكنة ولا تحصرها الحدود ولا تحجزها المسافات لا يفنيها الزمان ولا تقتصر على الحيوة بل تجاوز جميع الازمنة وتنفذ الى ما وراء المنون

ولماذا نقف عند ابواب الابدية ومن قال ان الراقدين في ربوع السعادة الخالدة لا يتحدون مع اخوتهم المجاهدين في هذا العالم . فهم الظافرون بالابدية السعيدة ونحن جنود الزمان . السنا جميعاً من جسد يسوع المسيح الواحد . فهل نقول ان حالتهم السعيدة تجعلهم لا يعبأون باكدارنا ومصائبنا ولكن قد فاتك ان المجد لا يطفي سعير المحبة بل ان المجد الابدي هو نصر المحبة وفوزها . ومن يستطيع ان يصدق ان هذه الام البتول المباركة التي تبنتنا هذاء الصليب يمكنها ان تنسانا الآن وهي قائمة في مواطئ عرش ابنها

ومن يقول ان دم الشهداء قد خرس وخارت قواه وان غلل العذارى قد اضمحل وادبر حاشا وكلاّ . لان المجد الخالد لا يقطع رباط

شركة القديسين بل بزيدها اختصاصاً وارتباطاً

ومن قال لك ايضاً ان عذابات الصديقين في المطهر تنقص شركة القديسين . اليست هذه النفوس القديسة مثلنا من جسد المسيح اليست حجارة حية في مدينة الله وقد نظمت في سلك اصفيائه . فان المجد مضمون لها ولو تاخر نواله . فيابيعة الله الحيّ ما اجملك سواء نلت او جاهدت او انتصرت بنيك فانت على كل حال جسد يسوع المسيح نفسه وعائلة القديسين

اغربوا اغربوا ياخانة عهد الكنيسة التعساء اغربوا يادعاة الانجيل الجديد الذين لا يستطيعون سبيلاً للقيام الاّ بالاستناد الى النضة والاكاذيب . وقد ابنا امرهم وفضحنا مكرهم . نساله تعالى باحشاء رحمته الغير المتناهية ان ينير هولاء العمي ويهديهم سواء السبيل . اللهم استجب

الفصل السادس والثلاثون

في سلسلة الخلافة الرسولية في الكنيسة الكاثوليكية

قد شاهدنا في هذه المدة الاخيرة صاحب النشرة الاسبوعية يضاعف بزيد الاجتهاد حتى لانقول بمزيد الرعونة في الطعن بالخلافة الرسولية في الكنيسة الكاثوليكية وهاك ما ورد من هذره في عدد نشرته ١٢ سنة ١٨٧٦ وجه ٦ في هذا الصدد : فانهم (اي البابويون) يعلمون الناس ان يستندوا على مسئلة الخلافة فلا يخلو اما ان الشعب البسيط يسلم بذلك بدون فحص على صدقه او كذبه واما

ان يفحص التواريخ المطولة واذا فعل ذلك يجد ريبًا واضحًا وانه لا يوجد في مسئلة الخلافة اساس وطيد للايمان (انتهى)

الحاصل من هذا الهذيان ان صاحبنا المؤرخ ينكر على الكنيسة الخلافة الرسولية بناء وتعويلاً على مجرد تاريخه

فنقول انه قد اغلظ الخطاء هنا لا بل انه قد اتى ببديع المغالطة والخلط وربما لم يسبقه احد حتى الان الى هذه الوقاحة بتعرضه الى انكار ما سطعت انوار حقيقته لاسيما في هذه الايام على جميع البصائر وزعزعت اركان العقائد الابروتستانية في المانيا وانكلترا واقبلت بكثيرين منهم الى سراط الوحدة الكاثوليكية المستقيم

فاننا نقبل منازلته طوعًا واختيارًا في مضمار التاريخ انما قبل ان نشرع بتصدير بعض حجج تاريخية وبرد اعتراضاته نحب ان نراه برهةً في النزاع مع اصحاب دينه انفسهم الذين مع كونهم مؤرخين ابروتستنت مثله يفهمون التاريخ من هذه الحيثية خلافًا لفهمه وقد احسنوا مجازاته ما يستحقه من الخزي والعار على اتيانه بدعاوي عارية من اثر الحجة والاسناد

فاسمع ما ورد في هذا الصدد عن المؤرخين الابروتستنت في المانيا : فلعل صاحبنا ملتق النشرة الاسبوعية سمع وقتًا ما يذكر العلامة المؤرخ كاتب سيرة البابا اينوشنسيوس الثالث . وليته يطالع هذا المؤلف الشهير للمؤرخ هورتار الذي كتبه وهو ابروتستني ويقف على ما قاله في صدد هذه المسئلة فيرى هذا المؤرخ الشهير غائصًا في بحر الاندهال والتعجب من الخلافة الرسولية في الكنيسة الكاثوليكية في سلسلة الاحبار الصاعدة بدون انقطاع الى مار بطرس

الرسول اوظهر الذي تقلد الحبرية من المسيح الرب نفسه : قال المؤرخ المذكور في مباحثه العلمية المدققة على سيرة اينوشنسيوس الثالث : ان اصل هذه الولاية السرية واتساعها ياتيان في العالم باسنى المشاهد التاريخية واعجبها : (انتهى) وان سالت ما يدهشه في هذه الولاية السرية قلت هو نفس ما ينكره صاحبنا مؤرخ الاصلاح اي تلك الخلافة المتصلة الجارية في ما بين جميع دوائر الامور الدنيوية ثم قال : التفت الى ما وراك واصعد الى الازمنة السالفة وانظر كيف ان رسم البابا وية لبث بعد اندراس جميع الترتيبات والرسومات في اوربا وكيف ان البابا وية قد استمرت وحدها بدون غيار وهي في وسط تغيرات وتقلابات السلطة البشرية وهل من يتعجب من ان كثيرين يعتبرونها بمنزلة صخر وطيد الاركان قائم لا يتزعزع تجاه زوابع الزمان وزماجره . (انتهى) فهذه خلاصة المباحث المدققة التي اجراها في التاريخ مؤرخ شهير حاذق من مؤرخي الابروتستنت

فهل للريب حقيقة او ظل حقيقة في هذه الخلافة التي ينكرها مؤرخنا البيروتي : لا لعمري بل انها خلافة راهنة اكيدة ظاهرة بين تقلبات الازمان ودوائر الايام . فيقيناً لو كان صاحبنا مؤرخاً مدققاً فحراً كالمؤرخ الالماني المذكور لكان يصادف بدل الارتياب والشك في الخلافة الرسولية ما يحمله على الدهشة والاندهال من ثبات هذه السلسلة المبتدئة من مار بطرس زعيم الرسل الى بيوس التاسع . ولم يكن الدرس الجهيد الذي مارسه مؤرخ سيرة اينوشنسيوس الثالث عقيماً من الفائدة بل قد افاده اثمار الهدى والخلاص لان هذه الحقيقة قد عملت في ذهنه عمل الاقناع وساعدته النعمة الالهية ففتح عيني

بصيرته وشاهد نور الحق الساطع وبادر هو وعائلته الى نجد الضلال والاعتصام بالدين الكاثوليكي . فلو كان لصاحبنا عزم لاتباعه هذه الدروس المدققة لرجونا بان النعمة الالهية تساعده فيفتح هو عينه ايضاً ويقلع عن اضاليله ويبادر في دوره الى تأييد الحق ونصره

فلا ريب ان شهادة هذا المؤرخ الالماني قاطعة مفحمة ومفيدة من ضلّ نوراً وهدى وليست باقل منها صدقاً وسداداً شهادة مؤرخ اخر من مشاهير المؤرخين الابر وتستند بنفس هذه الخلافة الرسولية وهو توما ماكولاي من بريطانيا اي انكلترا . وقد علم جميع الملأ ما كان لمقالو السديد من التاثير الشديد عند ما ظهر في جريدة راني ديدمبورج فلما امعن النظر والفكر المؤرخ الابر وتستنتي المذكور في الخلافة الرسولية وتفرس في تلك السلسلة الذهبية المتواصلة بالبابا اولات الصاعدة من البابا المالك في زمانه والمنتهية بدون انقطاع الى مار بطرس امام الرسل قد اندهش اندهاشاً من هذا الحادث العجيب عبر عنه بهذه الالفاظ قائلاً : لم يوجد ولن يوجد ابداً في العالم باسره حادث من الحوادث يستحق الذكر مثله (اي مثل الخلافة الرسولية) فما من رسم من الرسومات الباقية الى الان تودي الفكر الى تلك الازمنة التي كان فيها دخان المحرقات يصعد من البنتاون (هيكل الالهة في رومية) بينما كانت الغورة والاسد تزئر في المرسح . على ان اقدم العتبات الملوكية تستبين قدميتها يوماً واحداً بالنسبة الى سلسلة الخلافة من الاحبار الصاعدة بدون انقطاع من البابا الذي مسح نابوليون الاول في القرن التاسع العشر الى البابا الذي مسح بابينوس في القرن الثامن غير ان هذه السلسلة الرسولية الجليلة تصعد الى

اعلى من ذلك وتوارى في ابل الاعصار القاصية (انتهى)

فهل بقي من ريب في دماغ صاحبنا مؤلف النشرة الاسبوعية بصحة الخلافة الرسولية الجارية في الكنيسة الكاثوليكية فيما ان المؤرخ الانكليزي مع شدة عدوانه للدعوى الكاثوليكية على ما وصفه سيرجان غراهام في نادي الشورى الانكليزي شهد بالحق الصراح الواقعة سادت قرارًا وشهرةً في تواريخ العالم باسره

ونعلم يقينًا ان هذا الحادث الشهير اي الخلافة الرسولية لاحبار رومية التي اخذت في القرن التاسع عشر في ذهن المؤرخ الابر وتستثني العاقل ماخذ الاقناع والاندهال واقبلت به الى الكنيسة الكاثوليكية كانت في كل اين وان بمنزلة نرس وحراب للطعن والدفاع في ايدي انصار الدين المسيحي الاولين . وعليه نرى منذ العصر الرسولي ترتوليانوس وايريناوس واوريجانوس يناهدون بمزيد العزم والانتصار اراطقة اياهم استنادًا على الخلافة الرسولية لاحبار رومية العظام وقد اشتهرت هذه الواقعة اشتهار نار على علم حتى لم يكن احد يخطر له على بال لا في اليقظة ولا في المنام ان يرتاب او يماحك في صحتها : فاسمع ما قاله في هذا الصدد مار اغسطينوس اسقف ايبون الجليل في رسالته ١٦٥ وهو يدحض اراطقة عصره : افتح عينيك وانظر هذه السلالة الطويلة للاحبار والشهداء الذين منذ اربعة قرون تعاقبوا خلفًا عن سلف عرش بطرس الرسول واعترفوا بايمان واحد بنفسه وعلموا تعليمًا واحدًا بعينه حتى الحبر انستازيوس . (انتهى) ولما كان مار اوبتاتوس من ميلافيا في افريقا يجادل في نحو ذلك العصر برمانيان الارطوقي ابرم خصمه واخمه باعتماده خاصةً على دعوى

الخلافة الرسولية لاحبار رومية التي لم يكن احد يقدر ان يرتاب بحقيقتها . وطال ما عاند برمانيان وماحك لم يحل اوبتاتوس عن حجته المذكورة المبنية على الخلافة الرسولية والمودية الى النتيجة الجازمة قال في كتابه الثاني في انشقاق الدوناتيين : مهما عملت ومهما حاولت لا يتيسر لك ان تنكر ان بطرس زعيم الرسل نصب كرسيه في رومية : ثم اخذ بايراد سلسلة الاحبار كما صنع قبله بزمان طويل مار ايريناوس تلميذ مار يوحنا الرسول الحبيب نفسه في كتابه ٣ فصل ٣ ضد الارطقات

فترى ايها الحبيب ان اصحاب دينك في القرن التاسع وابناء الكنيسة الاولين لم يخطر لهم على بال شيء من الشك الذي تدعيه في هذه الخلافة الرسولية الجارية في الكنيسة الكاثوليكية لانهم قد اعتنوا في ادراج اسماء المتخلفين واحدًا واحدًا من بطرس الرسول الى الحبر المالك في ايامهم . ولو اعتمدت جنابك كما اشرنا انفًا ولو على قليل من التدقيق في مطالعة التواريخ لزال من ذهنك كل شك في هذه الحقيقة وايقنت ثباتها وصحتها فعليك اذًا بمراجعة كتب التواريخ ان رغبت في صدق المقال واجتناب الخلط والمحال

الفصل السابع والثلاثون

في الخلافة الرسولية واصحاب الانجيل الجديد

ان صاحبنا المؤرخ الابروتستاني في بيروت يدعي انه جاء بشيء ادّه بطعنهِ في سلالة خلفاء بطرس وبادعائهِ وقوع الخلاف على خلافة الباباوات الاولين . وهاك عباراته في نشرتهِ الاسبوعية عدد ١١ سنة ١٨٧٦ لم تتفق الرواة الاقدمون والقوانين الرسولية على الثلثة الباباوات الاولين واعاد الكرة بمثل هذا القول مرارًا على الخلافة الرسولية . فالظاهر ان مخيلته قد تعربست تعربسًا شديدًا من قبل بعض اثارات تاريخية تنظم مارلينوس في اول سلك الخلفاء لزعيم الرسل ومن بعده مار كلانوس . وغيرها تزعم ان اول خلفاء بطرس اكليمنضوس فهذا دليل اخر صريح على جهل صاحبنا المذكور في مادة التواريخ وعلى خلل الدعوى التي يقتحمنا بها بمزيد السفاهة والتغطرف فلو طالع اقل المطالعة الراهنة المسئلة التي نحن في صددها او لو شاء ان يستفتي مؤرخًا او مؤرخين من المؤرخين الذين استقصوا هذه المسائل لما كان ابدى ما ابداه من العجب والتعجب ولما كنا شاهدنا منه هذه النتائج المضحكة التي يدعي استنتاجها من هذا الخلاف

فرابنا ان نمده قليلاً بالتنوير حتى لا يعود ياتي بمثل هذه المغالطات لاسيما في استخراجه نتائج تنفر من سماعها الاذان لفظاعة خللها وفسادها فعليهِ ندعوه الى مطالعة تاريخ سيادة هيفله المؤرخ التحرير الشهير بين المؤرخين المحدثين الذي احسن التدقيق والتقصي في هذه المسائل وان سنحت له الفرصة شرنا عليهِ بمطالعة البولنديست وهو تاريخ

اعمال القديسين طبعة براغ في المحاورة الثالثة لايار فيرى فيه الاب بابير بروك والاب هنسكانيوس يفسران له علة هذا الخلاف الظاهر فقط والعائد بادني نبصر الى تمام الوفاق . وهاك الواقع

قد سام مار بطرس ثلثة اساقفة ينوبون منابهُ في سياسة كنيسة رومية في مدات غيبوباتهِ الطويلة في تلك الازمنة فخدمت هذه الاساقفة على التوالي كرسي رومية في حياة بطرس وساسوا الكرسي الرسولي بمنزلة نواب عن هذا الرسول المعظم فكانوا من ثم خلفاء حقيقيين لبطرس في السياسة الرسولية

ولكن لما كانت خلافتهم في مدة حياة بطرس وكانوا نوابًا عنهُ في غيابهِ فبعض المؤرخين نظمهم في سلك الخلفاء بناء على تخلفهم لبطرس في حياتهِ وبعضهم عدل عن ذكرهم الى ذكر من تخلفوا لهُ بعد وفاتهِ . فاي مشكل في هذا الخلاف واي خلل في الخلافة من هذا القبيل . لعمري اني لا ارى خللاً الاَّ في مؤرخ يدعي الخلل بمشكل ايسر المشكلات حلاً وباعتراض ايسر الاعتراضات دحضا وتفنيدًا واقول ايضًا ان العجب والخلل في مؤرخ يتجاسر على ايقاع الشبهة بل والنفي ايضًا على حوادث لا ينكرها ولا يرتاب بصحتها من لهُ ادنى المام في التاريخ وبالواقع لم يستند اباء الكنيسة والجدليون على حادث من الحوادث الاولى باوفر اطمئنان واشهر بيان في محاوراتهم من حادث تلك الخلافة الرسولية الجارية بدون انقطاع في خلفاء بطرس الصفا : قال مار اوبتاتوس الميلافي في القرن الرابع للتاريخ المسيحي في دحضهِ الدوناتيين كتاب ٢ فصل ٢ مهما صنعتم وكيفما اتجهتم لا سبيل لكم ان تنكروا ان بطرس الرسول اقام كرسيهُ في رومية

حديث مجلس الاول بما انه زعيم الرسل (انتهى) ثم اخذ يعدد خلفاء بطرس واحدًا واحدًا الى زمانه . وسمعنا مار اغوسطينوس الجليل اسقف ايبون ينادي قائلاً في ايامه : افتح عينيك وانظر تلك السلالة الطويلة سلالة الباباوات والشهداء الذين تبوأوا سدة بطرس منذ اربعة قرون واعترفوا بايمان بطرس نفسه وبنفس تعليمه الى انستازيوس الكبير (انتهى) ليت شعري هل لكانوا اتوا بمثل هذه الدعوى في محاوراتهم الجهيرة تجاه الاراطقة لو امكن ان يقع ادنى ريب في خلافة الاحبار . فلا حاجة للاسهاب في ايراد البينات القاطعة من كل عصر من اعصار الكنيسة اثباتًا لهذه الحقيقة المعروفة والمقررة ايضًا عند اعداء الكنيسة انفسهم

والعجب من صاحبنا المؤرخ المذكور في انه يرتاب ويرتبك فيما اقر به المسلمون انفسهم ونظموه في سلك الحقائق القارة في التاريخ . فليطالع في هذا الصدد ما رواه عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي في كتاب تاريخه وقد سمعناه يتكلم في مقدمته فصل ٢٤ كلامًا يعبر عن مزيد الاكرام لبطرس ويعزي اليه زعامة الحواريين ويعرف اقامة بطرس كرسيه في رومية وتشريفه اياه باستشهاده على عهد الملك نيرون من الحوادث المسلم بها والعارية من اثر الشك والشبهة وقد روى علنًا في المحل المداول عليه ان بطرس خلف حقوقه وسلطانه لمن حقت لهم الخلافة على الكرسي العظيم الذي تداولته الخلفاء الى هذا اليوم بحق بطرس نفسه فتامل ايها القاري اللبيب ان صاحب النشق لا يجد في تاريخه اثرًا لخلافة رسولية عرفها واثبتها المسلمون انفسهم لفرط اعتلانها ووضوحها

وما كفاه ايقاعها تحت الريب حتى حسن لديه ان يستخرج نتيجة من خلاف بين المؤرخين لا اشكال فيه وذلك لعمر الله غاية في الغرابة . فاسمع ما يقول في نتيجته الواردة في عدد ١١ وجه ٧ من نشرته المذكورة . فالمحقق من هذا جميعه امران اولها ان بطرس لم يكن اسقف والثاني انه قبل موته لم يعين اكليمنضوس اسقفًا : فعلى من له فهمٌ ان يفهم هذا البرهان وهذه النتيجة الغريبة المغائرة كامل اصول المنطق والصواب فليقل لنا حضرته ايتى جاز للبرهن ان ياتي بنتيجة اكيدة ثابتة من مقدمات غير اكيدة

واي حق لك ان تكفر بدون حجة البتة وانت في القرن التاسع عشر ما عرفه القوم في القرن الرسولي وخلفه لنا بكتابات لا يستطيع احد ان يشتبه بصحتها وصدقها . فافتح كتاب رسومات ترتوليانوس واقرأ منه عدد ٣٢ فانه يقول فيه قولاً صريحًا : ان بطرس الرسول سام اكليمنضوس الروماني اسقفًا (انتهى) وصاحبنا مؤرخ الاصلاح لا يستحي ان يكتب في نشرته خلاف ما كتبه هذا الاب الرسولي المجاور الرسل الاطهار ومدانيهم والحاصل قد شهد الملاء باسره وايقن كل لبيب ان نشرتكم هذه الاسبوعية التي تودعون بطون صفحاتها مثل هذه الروايات والدعاوي ما هي الاَّ ناقلة اغلاطًا وخلط وحمالة اكاذيب وشط جل عن الاتيان بمثلها من له ولو قدر ذرة من ناموس العلم ولكنت عفت التشاغل في ردها لولا مباستها تقليدات الكنيسة الكاثوليكية الراسية ومراعاة حرمة الصدق والحق بهتك حرمة تاريخكم الحاوي مثل هذه الخزعبلات

الفصل الثامن والثلاثون

في الخلافة الرسولية واصحاب الانجيل الجديد

فما قولك الان في صاحبنا المؤرخ الابرونستاني البيروتي وفي مباحثته التاريخية عن الخلافة الرسولية على الكرسي الانطاكي: تراه هذه المرة يلبس شعار العلماء ويقول لنا في نشرته عدد ٨: ان تاودورانوس ومار يوحنا فم الذهب ومار اثناسيوس قد اختلفوا رواية على اول من خلف بطرس على كرسي انطاكية اذ قال بعضهم افوديوس وقال غيرهم مار اغناتيوس: ثم وروى عن اوزابيوس ان افيديوس اول من اقيم اسقفاً على انطاكية وخلفهُ مار اغناتيوس: ومن ثم قد انتهى امره بالاستنتاج ان التاريخ في هذه الخلافة مشوش مرتبك متناقض

اما نحن فنقول لهُ: مهلاً ياصاح ليس كل ما تراه سيئاً فهو سيءٌ لا تشوش ولا ارتباك ولا تناقض في التاريخ بل في دماغك وعقلك وفي كل ما تدعيه وتقول عن الخلافة الرسولية

فنظراً الى سلسلة الاساقفة الذين تخلفوا لبطرس على الكرسي الانطاكي قد استوفت اية العلماء منذ زمن مديد تمام البحث والتدقيق في هذه المسئلة وحررتها فمنهم من رويت اقوالهم في الفصل الماضي حيث كان الكلام في سلسلة الخلافة على كرسي رومية وادعوك هنا خاصةً ان شئت الوقوف على هذه المسئلة الى مطالعة الجزء الرابع من كتاب البولانديست على شهر تموز في سيرة القديسين فترى فيهِ مباحثة علمية محررة في خلفاء مار بطرس على كرسي انطاكية. ومناقشة وافية على روايات الاباء الذين تستشهدهم هنا واحدةً فواحدةً. لا تشوش

في الاخبار ولا مناقضة ولا ظلها بل بيانًا حاسمًا لكل اشكال واعتراض كالبيان الصريح الذي اوردناه في صدد الخلافة على كرسي رومية اي ان بطرس عليه السلام سام كلا الاسقفين لكي يخلفاه اولاً بمنزلة نائبين له على كرسي انطاكية مدة غيابه ولكن لما توفي افوديوس في حياة بطرس وهو ضابط زمام هذا الكرسي الانطاكي اعزى بعض المؤرخين الخلافة لمار اغناتيوس دون غيره اعتبارًا لتوليه كرسي انطاكية ليس فقط بعد ما تركه بطرس بل زمانًا طويلاً بعد وفاته. وقد صرّح بذلك المؤرخ اليوناني نيسوفوروس كاليست في تاريخه ك ٣ راس ٣٥

وليس في ما مرّ الى الان من اقوال صاحبنا المؤرخ الابر ونستاني كفاية في الذكاء والظرافة بل قد اتانا بما كان اظرف واحلى وازكى من قوله في نشرته عد ٧ : ان كنيسة افسس وباقي الكنائس التي اسسها البشر (الرسل) في كل موضع هي تحت خطر السقوط ايضًا وهذا لا يناقض كون ابواب الجحيم لا تقوى على كنيسة المسيح لان هذا الواعد اعطى للكنيسة التي بناها المسيح لا البشر الخ (انتهى)

فهذا بالحقيقة تشويش وخلط في دماغ المؤرخ على الخلافة الرسولية في كنيسة يسوع المسيح

فاي متى استلزم باصابع اثبات الخلافة الرسولية معرفة من تخلفوا على الكراسي المختلفة التي اشادها الرسل. لعمري ان مار ايريناوس الفقه في مدرسة مار يوحنا الرسول عن يد القديس بوليكربوس قد افادنا خلاف هذا الزعم بالتمام. فكان يعرف الكنائس التي اشادها باقي الرسل وقد اتى بذكرها صريحًا. وان شئت ان تقف

على كيفية اثباته وبيانه للخلافة الرسولية طالع ما ورد من قوله في كتابه الثالث راس ٣ ضد الارطقات فانه يسهب المقال في هذه المسئلة الكلية ومن جملة ما قاله في صددها : حيث يطول الكلام طولاً يفوت الحد في البحث عن خلافة باقي الكنائس ... فالايمان والتقليد المتنقلان الينا في كنيسة رومية بخلافة غير منقطعة يأتياننا بهذه الواسطة . ثم اردف قوله بقوله : وبهذه الواسطة نتقوى على دحض وخزي جميع من يطلبون التعليم والخلاص خارجاً عن هذه الخلافة (انتهى نصاً) اسمعت ياصاح قول هذا القديس او صممت اذنيك عن سماعه افهمتهُ او اقتم ذهنك عن ادراكه . فكيف ما شئت ان تكون اصمّ او اكمه فقد دحضك وخزاك هذا القديس الرسولي وفند اخيلك وتعليلك الخيالي على الخلافة الرسولية الذي اتينا به تبثه في سوريا بواسطة نشرتك الوخيمة : ثم اخذ هذا الاب القديس بايراد سلالة خلفاء بطرس الذين تخلفوا له على سدة رومية

فهذه هي اذاً القاعدة التي جروا عليها منذ ايام الرسل الاطلاع على الخلافة الرسولية في بيعة الله واثباتها . وقد همني ايرادها هنا ونرسيخها في ذهن ابناء كنيسة الحق في سورية لاحتوائها شجباً قاطعاً ودحضاً حازماً للمذهب الابروتستاني ولكل ارطقة تدعي بان تعلم تعليماً خارجاً ومخالفاً التعليم الذي علمته الكنيسة كما قال مار ابريناوس بواسطة الخلافة الرسولية على كرسي رومية فانه يفيد ابن الكنيسة الحقيقية حجة اقطع من السيف البتار لم يتمكن من اتقائها لوتاروس ولا غيره من الاراطقة والمخالفين

وبالواقع اذا صحّ كما صح يقيناً ان يسوع المسيح اقام كنيسةً وكلفها

التعليم وتوزيع الاسرار فلا بدّ من ان هذه الكنيسة المدعية بالنصرانية تثبت اثباتًا قاطعًا كل شبهة انها تقلدت زمام السلطان من الرسل كسفير دولة بعلن رقيم تنصبه في مقام السفارة وكوريث يثبت حقه على تركة مورثه . والحال هذا ما تثبته بالحصر كنيسة رومية وما من كنيسة دونها تستطيع على هذا الاثبات . لانها تصعد من بيوس التاسع المالك سعيدًا وتتدرج في مصاعد الماضيات الى ان تبلغ الى بطرس عليه السلام وتدلنا على باقي الكراسي الاسقفية المتصبة حول هذا الكرسي والمستمدة منهُ النور والحيوة . ونقرر لجميع هولاء الاساقفة بدون استثناء البتة البنوة الصحيحة التي تعين لها مقاماتها وحقوقها . وكل من لا يستطيع ان يثبت تقلدهُ زمام السلطان من الرسل الكرام كان متطفلاً ومتعديًا في ادعائهِ لنفسهِ مقام الرعاية ووظائفها وخدمته فيها غصب نفاقي . وان الاله المخلص نفسه على ما ورد في رسالة بولس الى العبرانيين ٥ : ٤ قد التزم ان يتقلد الرسالة من ابيهِ الازلي وقلدها لرسلهِ وما زالت الاباء القديسون يقاومون دعاوي المجددين بوجوب انتقال السلطان الرسولي للكنيسة الكاثوليكية المالكته بحق الخلافة . وان ذلك سلالة سرية لكنها منظورة تعصم جميع الكهنة الكاثوليك بالكرسي البطرسي وبواسطتهِ بالرسل والمسيح الرب نفسه

سل الان رسول الانجيل الجديد هل لهُ شيء من هذه الخلافة والسلالة الرسولية سل صاحبنا المؤرخ البيروتي صاحب النشرة الاسبوعية الذي لا يزال يخبط خبط عشواء في روايتهِ عن الخلافة الرسولية من قلدهُ مامورية رعاية النفوس . وان ادعى انه خادم الانجيل لزمه ان ياتي بحجة توليه على هذه الخدمة . فان قال انه تولاها عن

لوتاروس صاحب الاصلاح الابروتستاني بالخلافة له سلمنا له بهذه الخلافة انما لا نستكفي بالوقوف على هذه الطريق بل لابد لنا من التقدم الى ما قدام ونسأله من اعطى لوتاروس مامورية خدمة الانجيل . نعم قد تقلدها من مار بطرس الرسول لما كان كاهنًا كاثوليكيًا مسامًا سيامة شرعية من يد اسقف تقلد مامورية من خليفة بطرس ولكن سلمه من قلده الرسالة الانجيلية بما انه مصلح ومن اذنه ان ينادي بانجيل اخر . فلا شك انك تراه مرتبكًا وعاجزًا عن بيان رسالته . بل محشورًا مدحورًا لا يجد له سندًا ولا ملجاً بل ربما يستند الى شهادة الدوكتورانو التي لربما اوتيها لكنه لم يؤتَ معها بالسلطة الرسولية على الكرازة بتعليم الكنيسة بل تاتيه هذه الشهادة بمامورية شرعية في التبشير بالتعليم الجديد كما تأتي شهادة الدوكتورانو التي يعطونها في كلية الابروتستانت في بيروت بالسلطان في بث تعاليم لا يوصف فسادها وكذبها مقاومةً لكنيسة يسوع المسيح الحق في سورية

الفصل التاسع والثلاثون

في سيامة مار اكليمنضوس البابا من يد مار بطرس ورسالته الاولى الى اهل قورنتية

كلّ ما قدّمنا بشيرنا اضاليل المؤرخ البروتستاني المتفاقمة بالفظاعة راينا المؤرخ يصرّ على الصمت عن المادة المسوقة للجدال عادلاً عنها بالحديث والطعن الى غيرها حيث يعلم سلفًا ان ليس له في الحاضر مقاوم يقاومه ولا خصم يخاصمه . ومن المعلوم ان هذا دأب

الجبانين الانذال لان من يركن لصحة دعواه يقم في الدفاع عنها قيام الاشداء الاباسل ويناضل باحسن ما يستطيع عن مسئلة يطارحها في ساحة المحاورة والانتقاد

فقد شاهدناه واقعاً بمضادة احد الاباء الرسوليين في مسئلة تاريخية بسيطة لكنها كبيرة الاهمية وقع النفي التام لما رواه العلامة الجليل ترتوليانوس قائلاً في نشرته (عدد ١١ لسنة ١٨٧٦) : من المؤكد ان بطرس قبل موته لم يعين اكليمنضوس اسقفاً وما سواه : فيما ان ترتوليانوس يقول (في كتابه عن الاسحقاق عدد ٣٢) : ان كنيسة رومية تبين لنا ان القديس بطرس سام مار اكليمنضوس اسقفاً : وكنا نشتهي ان نسمع ما عند صاحبنا هذا مؤرخ الاصلاح الابروتستاني من الرد على هذه البينة المفحمة في ما يتعلق بالمسائل التاريخية فضلاً عن باقي الحجج القاطعة الواردة في اثبات خلافة خلفاء بطرس . على ان من ادعى لنفسه الافضلية في معرفة الحوادث التاريخية بعد كرور ثمانية عشر قرناً من الزمان على شهود دانوا الرسل زماناً وعاشوا في نفس المكان الذي وقع فيه الحادث الذي نحن في صدده عدّ كل عاقل دعواه جهلاً وسفاهةً بل حماقةً وجنوناً اما هذا فتراه حسب عادته لا يفوه بكلمة في صدد سيامة مار اكليمنضوس بعد ما انكرها وفندنا انكاره بشهادة العلامة ترتوليانوس وغيره من المؤرخين الاقدمين الصادقين بل كأنه عمد على الاخذ بالثار من هذا الانكسار في الاكثار من الكلام والدعاوي المتناقضة فساداً وبطلاناً على رسالة من رسائل هذا الحبر القديس تحف الاثار ودرر الاعصار وهي رسالته الاولى الى اهل قورنثية وقد حازت هذه الرسالة عند الاقدمين في عصرها شهرةً وحرمةً

الى حد انهم كانوا يتلونها كرسائل مار بولس الرسول في مجامع المؤمنين . وعليه بعد ما اصابها افة الفقدان كما اصابت غيرها من أول الكتابات مقاماً واعتباراً قبل اختراع صناعة الطبع وجدوها معلقةً على ذيل الكتاب الشهير المعروف بجامع التوراة الاسكندري ومن المعلوم ان هذا الجامع هو من اقدم نسخ التوراة المكتوبة باليد

اتريد الان ايها القاري اللبيب ان تسمع ما يخفنا به بدون حياء صاحبنا المؤرخ الابروتستاني من روايات تجبها العقول لفظاعة كذبها في صدد هذه الرسالة الشهيرة عند المدققين المحدثين . افتح نشرته الاسبوعية عدد ٣ سنة ١٨٧٦ اترَه اولاً يزعم زعم من يتكلم بهابة ووقار : ان هذه الرسالة قد اهملت في الغرب منذ اربعة قرون : لعمرك ان من عنده ولو قدر ذرة من الالمام بالعلوم المقدسة والتواريخ عند سماعه هذا الزعم المحالي يترثى لجهل صاحبه وعماه . فاي عاقل اعزى الى الاهمال فقدما فقدته نوائب الزمان من نسخ قليلة لكتب مخطوطة باليد قبل استنباط المطابع كما فقدت في مدة بعض سنوات مئ العلوم الادبية كمصنفات شيشرون في نظام الاحكام الجمهورية وعدة مولفات تضمضمت وهي تحفة بالعلوم التاريخية ثم وجدها بطريق التوفيق والسعد اهل العلم المدققين . فلا حاجة للاسهاب في دحض مثل هذه الدعاوي الفارغة . فلو لم يأتِ صاحبنا المؤرخ بغير هذه الدعوى المضحكة لاستغنينا عن تفنيدها لظهور فسادها لكنها لبست الا هفوة من هفواته الطفيفة بازا ما اورده من الاسباب التي حملت اهل الغرب بزعمه على اهمال رسالة مار اكليمنضوس المذكورة . فمن يسمع تعليله هنا طاطاً راسه حياء وخجلاً عن مؤرخ بلغ الى هذا الحد من الجهل في اول

المسائل التاريخية ومن المخادعة والمكر في اضلال قراء اساطير، فاسمع قوله وتعليله في ما يدعيه من اهمال اهل الغرب رسالة مار اكليمنضوس الاولى لاهل قورنثية

قال: لان الاكليروس الروماني الذي شرع منذ ذاك في ادعاء الرياسة لنفسه لم يكن يجد في تلك الرسالة ما يايد دعواه.... ولكيما يتهيا له دفع هذا الاعتراض اهمل ذكر هذه الرسالة التي كادت تهلك (انتهى)

قلنا ان تعليله هذا اثبات قاطع على ان جنابه لم يطالع قط رسالة مار اكليمنضوس ولا يعلم ما فحواها ولا ما موضوعها

ليت شعري هل من دليل اوضح وحجة اسد لرياسة مار بطرس مع كامل متعلقاتها من نفس وجود هذه الرسالة لا لعمري بل انها وقعت في اذهان العلماء الحقيقيين والابر وتستنت انفسهم في ايامنا موقع اكبر الدلائل والشواهد على هذه الرياسة وذلك لان الكلام في هذه الرسالة واقع على فتن جسيمة ثارت في قسم الكنيسة اي الشرق الذي ما زال في كل آن يرمق بعين الحسد والكدر امتياز الرياسة التي رقي ذراها بطرس المغبوط وكانت اكبر علة لما تندبه الى هذا الحين من الشقاق المويق (مار ارينايوس ضد الاراطقة ك ٣ فصل ٣ واوسابيوس في تاريخه الكنائسي ك ٣ راس ٣٨) ففي ما بين اليونان في عاصمة قورنثية ثارت فتنة من اشر الفتن والقلاقل وفي الحال بادرت روساء هذه الكنيسة الى تسكينها واخمادها بالتجائهم نيابة عن الجميع الى ماري اكليمنضوس الحبر الروماني فكتب لهم الحبر المذكور تلك الرسالة البديعة واخمد بها اوار المشاغب

فهات الان نرى ما في مجرد كتابة هذه الرسالة من البينة السديدة لاثبات الرياسة لمار بطرس فنقول نرى ما كان الداعي لهذه الكنيسة في الشرق لان تبادر بزيد السرعة والاهتمام الى كنيسة رومية بينما كان لها في ذاك العصر حجج باهظة ومعقولة لتسكين حركة الشعب في قورنتية بسلطة حاكم جليل نافذ الحكم والقضاء ومقيم في الشرق نفسه وهو اقرب لقرنتية من رومية . لان تاريخ هذه الرسالة من رومية اسبق من السنة السبعين الميلاد وشاهده ما ورد فيها من الكلام عن هيكل اورشليم قبل دماره فكانت الرسل وقتئذٍ قد توفوا من هذا العالم الاَّ الرسول يوحنا التلميذ الحبيب الذي كان هنا في الشرق باقيًا وقتئذٍ في قيد الحيوة ومقيمًا في مدينة افسس بسلطانه الجليل المهاب لبقائه وحده في قيد الحيوة بعد وفاة باقي الرسل اجمعين فلم يانرى لم ترفع اهل قورنتية دعواهم الباهظة لمحكمة مار يوحنا الرسول عوضًا عن ان يلتجئوا لمحكمة رومية . فهذا سوال سالته العلماء المحدثون واجابوا عليه بقولهم ان السلطان الاعلى في الكنيسة متلد من ابن الله لبطرس وخلفائه وان الرسول الحبيب نفسهُ كان خاضعًا لاحكامهِ . وان الكلام الذي فاه بهِ الرب المسيح في قيسارية فيلبس وعلى شاطي بحيرة طبريا معبرًا بهِ عن تفويضهِ ملك السلطان والرياسة لبطرس قد حمل المؤمنين حتى في نفس قورنتية على رفع دعاويهم لا لمار يوحنا الرسول بل لمار اكليمنضوس الحبر الاعظم خليفة بطرس الذي سامهُ اسقفًا وخلف لهُ كامل السلطان الذي نقلهُ من يسوع المسيح

وصاحبنا المورخ الابروتستاني لم يشبع الى الان من الهذر والخلط حتى اتانا يدعي ان الاكليروس الروماني ادعى الرياسة لنفسهِ بدون

اسناد

لعمر الله انه تقلد رياسة الخالطين وامامة اللاغطين لا بالادعاء بل بالحق واليقين

الفصل الاربعون
في ديوان التفتيش

قد اتحفنا صاحبنا مؤرخ الاصلاح الابروتستاني هذه المرة لدى تكلمه عن البابا وات بنبذة اخرى من تاريخه في نشرته الاسبوعية عدد ١٦ سنة ١٨٧٦ يتجشم بها اطلاع صبيان سورية على حكمه بما سماه ديوان التفتيش

فمن عرف روحه عرف سلفاً ما سيكون حكمه بهذا الديوان الجليل المستهجن بعين كل عدو للكنيسة الحقيقية وليسوع المسيح الرب ونوابه المعظمين في هذا العالم . وان شئت ان تقف ايها القاري اللبيب على اشارة من حكمه اسمع ما ورد من اول كلامه في صدد هذا الديوان في نشرته المشار اليها : ارسل (اينوشنسيوس الثالث) الى جنوبي فرنسا رسولين لاجراء سلطته التامة في الابرشيات التي تكاثر فيها الاليجيون والولدبون فعمل هذان كل ما في طاقتهما لانهاض الشعب على الاليجيين والولدبين الى ان قال : فقتل الشعب احدهما وهو بطرس من كاستلو وكان قائلة جنديًا فقتله في جوار تولوز فاشهر البابا اينوشنسيوس الثالث شهيدًا (٥١) . وبعد ما لفق ما لفقه على وجه الايجاز من اخبار سيرة القديس عبد الاحد تلخص من كلامه : ان ديوان

القصص عن الاراطنة قديما وانتشر منذ عهده

فلا شك ان هذرًا مثل هذا لا يستحق ان نتعنى الى دحضه بل كفى صاحبنا المؤرخ عارًا وخزيًا وحسبنا تفنيدًا لطعنه وهذره ان نساله بان يدلنا على بابا واحد من مائتين وسبعة وخمسين بابا تخلفوا على كرسي بطرس هيج شعبًا على الفتنة او التمرد فليعلم ان الحبر الروماني قائمٌ هنا في الارض مقام ملك السلام الاتي من السماء ليلقي السلام في العالم وقد ترعت بطون التواريخ من ذكر ما اجراه من المسالمة بين الرعايا والملوك ولم يفه قط مؤرخ من المؤرخين الصادقين بما نعته به ملفق تاريخ الاصلاح الابروتستاني في سورية . ومع ذلك ان كل كلامه هنا في نشرته محض هذر وهذيان لا حاجة الى تقطيع الزمان في رده او في الالتفات اليه . اما نظرًا الى الانجيليين والفوديين الذين تعصب لهم المؤرخ المسكين شديد التعصب وجعلهم تحت كنف حمايته واتخذهم اجدادًا له بدعواه انهم طائفتان انجيليتان اي جاريتان على تعليم الانجيل مثله فقد سبق تعريفنا اياهم في دحضنا تلك الاضاليل الفظيعة التي رويت عنهم . واننا ننصحه ان شاء الوقوف على حقيقة ديوان التفتيش ان يستغني عن الاجترار بهذه الهذيانات المفندة الف مرة بمطالعة مؤلفات المؤرخين اصحاب دينه انفسهم الذين استوفوا تمام البحث والتدقيق في هذه المسئلة فلو طالع كتاب ليوبولد رنك المعنون الملوك والشعب وكتاب انريكس لاو كليهما من مشاهير المؤرخين الابروتستانت في المانيا لكان اسعى ان يبيعنا في القرن التاسع عشر بضاعة هذه الحكايا القديمة الرثة التي اشرنا اليها اشارة فقط فليس من نيتنا ان نتعنى الى دحض هذه القصص العجائزية واحدة

فواحدة لان مجرد ذكرها قد امسى في عصرنا كافيًا لرذلها بعين القارئ اللبيب واندراجها في سفر الخرافات . بل من خاطرنا ان ناتي اولاد سورية بما يفيدهم اطلاعًا على صحة الوقائع التاريخية اذ قلما يهتم الوقوف على هذه الاضاليل القديمة التي قد استهجن المؤرخون المدققون المحدثون التحدث بها وتركوا ذكرها نسيًا منسيًا انما يهمهم كثيرًا الوقوف على صحة الاخبار عن ديوان التفتيش لينبهأ لهم ان يوقفوا على حدود الاداب والحياء من يصادفونه في سورية من الابر وتستانت المتق خالعًا عذار الشرف والناموس وخابطًا في نشر الاكاذيب القديمة افتراء على بيعة يسوع المسيح وناشيه . فعليه راينا ان ناتي اولاً بخلاصة الاخبار عن اصل ديوان التفتيش والنهج الذي نهجه في اعماله ثم ناتي بالفرق الواقع بين دواوين التفتيش المختلفة . اخيرًا نتكلم في ديوان التفتيش الذي اقامهُ الابر وتستانت

في اصل ديوان التفتيش

لا يتيسر تحرير الزمن الذي فيهِ ابتدا هذا التفتيش على الاراطقة لان اوائله كانت ضعيفة وتقدم تدريجًا الى ان بلغ حدود اتقانهِ وتوقعه . على ان كل ما يمكن ان يقال عن يقين في هذه المسئلة هو ان ديوان التفتيش المعروف بالحصر لم يرسم رسمًا قانونيًا باتًا باحكامهِ وصفاتهِ الاَّ ببراءة غريغوريوس التاسع المنفذة الى والي اقليم تولوز في ٣٤ نيسان لسنة ١٢٣٥ . ومن المثبوت اثباتًا تطميًا تامًا ان المفتشين الاولين ولاسيما القديس عبد الاحد لم يقاتلوا الاراطقة الاَّ باسلحة الدعاء والوداعة والصبر والتعليم

واعتبر ايها القارئ ان التفتيش على الاراطقة قد جرى ولا يزال

جارياً في الكنيسة . لان الكنيسة عامود الحق واساسه على ما وصفها بو الرسول المعظم فقد تخولت من يسوع المسيح مامورية المحافظة على سلامة وديعة الحق الذي انزلهُ يسوع المسيح وتلك مامورية عظيمة رهيبة . فلا يسوغ لها قط ان تحابي في الضلال بل تلتزم بكشفهِ للشعوب وباقتصاص اثره متى تحجب وتذكر كما يعرض في غالب الاحيان . فعليها ان تصون الشعوب من دسائس الضلال الدابّ كالاكلة والساري كالسم الذعاف متقصدًا اهلاك النفوس . فكيف ياترى يتيسر للكنيسة قضاء هذه المامورية بدون البحث والاستقصاء اللازم عن الضلال وبدون تقرير الوسائط اللازمة لملافاة مضارهِ

فهاك بالاجمال اصل ديوان التفتيش وجوهره . وان ادعى مدعٍ على رومية بانها غالت في القسوة بما اجرته من الوسائط لمعاقبة اصحاب الاضاليل او للتحذير من شرهم وعرهم سندًا على ما تحجبت بهِ بعض المؤرخين الاغمار الذين ورد صاحبنا المؤرخ وردهم واستعذب علقم زادهم حولناه بالجواب على مؤرخ من اشهر المؤلفين الاسبانيوليين وهو يعقوب بلماس فاسمع ما ورد من كلامهِ في كتابهِ المعنون المذهب الابروتستاني بازاء المذهب الكاثوليكي . وجه ١٨١ قال : ان تصرف رومية في استعمالها ديوان التفتيس هو اقوى حجة للدفاع عن المذهب الكاثوليكي ضد المتمنتين في تهجينهِ بدعواهم انهُ ديوان بربري وسفّاح دماء (انتهى) واثباتًا لقولهِ هذا اورد الجملة الاتية قائلاً فيها : من الامور العجيبة ان ديوان التفتيش في رومية لم يصدر قط حكمًا بالاعدام مع ان الكرسي الرسولي قد جلس عليهِ في ذاك الحين باباوات اوغلوا بالصرامة فيما يتعلق بالسياسة المدنية . وقد نصبت في كامل جهات

اوربا مشانق يعاقب فيها مرتكبو الجنايات الدينية وجرت فيها معاقبات ارعبت النرائص . اما رومية فجهات مستثناة من هذا القانون وقد اخطأ من وصفها بمركز التدنس والقسوة . نعم ان الباباوات لم ينادوا بالاباحة كالابروتستانت في امور الدين غير ان الحوادث التاريخية هي اصدق شاهد على البون العظيم الواقع بين الباباوات والابروتستانت اي ان الباباوات مع تسلطهم بديوان عدم الاحتمال لم يهرقوا قطرة واحدة من الدماء بخلاف الفلاسفة الكفرة والابروتستانت فانهم سفكوا غدرانًا من دموم البشر . فما الفائدة المقتول ان يسمع قاتليه ينادون على اذانهم بحرية الدين . فما فائدته من هذا النداء الاّ زيادة عذابه عذابًا بالتهكم والسخرية (انتهى)

الفصل الحادي والاربعون

في الفرق ما بين دواوين التفتيش المختلفة

ان التفتيش عند الكنيسة رسم حميد من ذاته ومحمول على الرفق والحلم وورد الى صيانة الدين وملازم لرسوم الكنيسة باسرها . انما لا بد من الفصل بين اصل كل رسم وما طرأ عليه من الغيار والانقلاب بحكم الاحتياج وباغراض الناس في تعادي الزمان . فان السلطة المدنية عند ما قبلت هذا الوضع الكنائسي رأت من الواجب تشديده وقاية لامانها وتوطيدًا لاحكامها ومن ثم لم يكن على الكنيسة من حرج فيما اجراه هذا السلطان من التعنيف والقسوة

ولما كان هذا الديوان منصوبًا ليس في رومية فقط بل في اسبانيا

وفرنسا والبرتوغال وفي باقي امصار المسكونة قذفت احداث الكنيسة غدران الاضاليل والاغلاط على هذه الحكمة الجليلة مخاطبهم اعمال الولاة المدنيين باعمال الكنيسة وبناء عليه قد اتخذوا السجون والمحارق التي اقامها بعض الحكام الكاثوليك اصحاب الحمية الدينية والغلو حجة لتهجين الكنيسة وتقريعها بالقسوة والبربرية . ومن المعلوم ان صاحبنا مؤرخ الاصلاح البيروني لم يكن من المقصرين بهذا التعييب والطعن كما سنراه بعد هنيهة . على انهُ اذا اعتبرنا رفق القوانين الجنائية الجارية في عصرنا وقابلناه مع قساوة العصر الماضي لانرى عجبًا في ان اخبارًا عبثت بها يد المبالغة وجمعت في مقام واحد تهيج المطالع الى اشد الانبعاث والتهجين بحكمة كنيسة يسوع المسيح الحق الساند فيها كل حين روح الحلم والوداعة . فحسبنا جوابًا واحدًا موجزًا لتبديد غياهب جميع هذه الاضاليل ومحقها . انما لا نغفل عن ان ديوان التفتيش المقام في غير رومية كفي اسبانيا قد اقيم بامر الملوك لا بامر البابا والله ومن ثم كان ديوانًا ملوكيًا لا باباويًا وبالتالي لاعهدة على الكنيسة والبابا في ما صدر عنهُ من سوء الاحكام والاعمال . لان الكنيسة والباباوات قد انكروها واستعملوا كامل سلطانهم في منع الولاة من التعنيف والقسوة التي كانوا يجرونها في هذه المحاكم فلم ياخذوا بيدهم في مثل هذه الاعمال ولم يجاروهم عليها . وعندنا التاريخ اصدق شاهد في ذلك . فان المؤرخ الشهير سيادة المطران كفلاه قد قرر قضيتين ايضاحًا لهذه الحقيقة في كتابتهِ سيرة الكردينال كريمانس وجه ٣٨٤ بقولهِ : اولًا ان الباباوات قد بذلوا غاية جهدهم في منع الملوك من اقامة ديوان التفتيش السياسي في اسبانيا ثم عملوا كل ما في وسعهم لتلطيف قسوته

وقد صادق على جوهر هذه الرواية المؤرخان الابرونسيانيان الواردة شهادتهما اعلاه وهما انريكوس لاو وليوبلدرنك

فقد سقط اذًا وذهب هبًا منثورًا تجاه حكم التاريخ هذا الواضح السديد ما كتبه صاحب النشرة الاسبوعية من الاخبار عن اعمال دواوين التفتيش الخصوصية في نشرتيه ١٧ و١٨ الماخوذ اكثرها عن رواية شيلاس فنلبرج وما لفقه ايضًا في العدد ١٩ حيث قال: ان محكمة التفتيش قد تربت بتواطئ السلطانين. اما نحن فنعلم ان هذا التواطئ كان من قبل الكنيسة سعيًا جهيدًا في تبطيل هذا الديوان الملوكي من اسبانيا وخلافها كما شهد السيد كفلاه وبتخفيف قسوة احكامه واجراآته لا باشتراكها في المنكرات التي يعزونها الى باقي المحاكم. وعندنا ايضًا دليل عمل يسد فاه من ادعى ان يعزي للكنيسة ما ارتكبته بعض محاكم في اسبانيا وفرنسا من القسوة والتعنيف. وهو ان الاشخاص المحاكمين او المطلوبين للمحاكمة في دواوين اسبانيا وفرنسا كانوا يهمون بالفرار من حكم هذه الدواوين بانتزاحهم من ارض اسبانيا وفرنسا الى رومية

فهل لمن يدعي ان رومية كانت مركزًا للقسوة والغلو الديني رد على هذا البرهان. فمن الماكد العاري من كل ريب ان الدعاوي المرفوعة من ديوان اسبانيا الى رومية لا يحصيها عدٌ في مدة الخمسين سنة حيث اقيمت هذه المحكمة. ومن الماكد ايضًا ان رومية لم تزل منعطفة الى الرأفة والحلم في احكامها ومن الممتنع ان يوتى بذكر واحد من المجرمين في ذاك العصر استجار برومية ولم تجره وتحسن اسره. على ان الطريقة التي نهجتها رومية في هذا الديوان لم يجروا عليها في باقي

الابصار ولهذا قد راينا الباباوات يقبلون في محكمتهم الدعاوي المرفوعة اليها ويعاملون بالحلم والرفق من حكم عليهم حكمًا باتًا بالقهر والتعنيف في اسبانيا وخلافها

ولم يكن المدعى عليهم يلتجئون دائمًا الى رومية طلبًا للانصاف من ظالميهم بل لتيقنهم بانهم يصادفون هناك صيتًا عن ذنوبهم . وشاهد وفرة المستجيرين بها من الاسبانيول الذين ثبت عليهم في رومية دعوى الكفر بالدين المسيحي والتورط في المذهب اليهودي . ولم يكن عددهم اقل من مائتين وخمسين نفرًا كل دفعة ولم يذكر مع ذلك ان واحدًا منهم حكم عليهم بالاعدام بل فرض عليهم بعض اعمال للتوبة ثم حُلوا من ذنوبهم واطلق سبيلهم بدون ان تلحقهم سمة العار فهذا ما كان جاريًا في رومية سنة ١٤٩٨ وهو بيان جلي لفساد نية بعض المؤرخين الاراطقة الحاذي صاحبنا المؤرخ البيروتي حذوهم اذ يزينون لاذهان قرائي ملفقاتهم الحكم الكاذب باعزائهم الى الكنيسة والباباوات ما جرى من القسوة في دواوين التفتيش المقامة في اسبانيا وفرنسا وغيرهما على اننا ولو اصبنا بذمنا هذه القسوة المفرطة التي كانت تجريها الدواوين المذكورة لا بد لنا مع ذلك مراعاة لحق العدل والانصاف ان نبين على مَن من المجرمين قد اجرتها فنقول : ان ديوان التفتيش قد ابتدا عمله بالاراطقة المانيين اي بتلك الشيعة التي ابدت اصحابها في كل آن الاسجاس والقلاقل وعوقبوا لاجلها اشد عقاب حتى في عصر القياصرة الرومانيين حيث عوملوا شر معاملة . فان القيصرين ديوكليسيانوس ومكسيميان سنة ٢٩٦ للتجسد قد حكما بعقابات مختلفة على المانيين الذين لا يجحدون عقائدهم ويعذب النار على اية بدعتهم

فقد عُد هؤلاء المبتدعون من كبار الاشرار وحُسب قصاصهم من الزم الامور صيانة للدين بل حفظاً لاداب الالفة ونظامها وكان هذا من جملة الاسباب الداعية الى اعمال القسوة التي جرى عليها ديوان التفتيش في اواخر عصره

وزد عليه ما اثارت فيما بعد من الاحباس والقلاقل اصحاب البدع المخيلة الاسماء التي ظهرت في القرن الحادي عشر والثالث عشر فترى اسباباً داعية افضت بارباب الاحكام الى ارتكاب اعمال قسوة بربرية يصعب تصديقها في عصرنا الحاضر

الفصل الثاني والاربعون

في ديوان التفتيش الابروتستاني

قد بلغنا الآن في سياق المقال الى ديوان التفتيش الذي اقامته جماعات الابروتستانت . فاخذنا التاريخ الصادق وحده مرشدنا ودليلنا في هذه المقالة راوين شهادته على حقيقتها تماماً لكي يتيسر للقاري عند الاقتضاء مراجعتها في محالها وتحقيقها . وحفظاً لنظام المقال فنأتي بالكلام

اولاً . في ديوان التفتيش اللوتراني

ثانياً . في ديوان التفتيش الكلويني

ثالثاً . في ديوان التفتيش الانكليكاني

فعلى القاري بعد ذلك ان يستنتج ما يُؤذن له استنتاجه ويشهد بمقتضى رؤيته لمن يراه سائداً بروح الحلم والرفق والوداعة اوعلى من

هل بالتعنيف والقسوة البربرية التي كثيرًا ما يعزونها الابروتستانت الى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . فحسبنا ضبطًا للحكم بديوان التفتيش اللوتراني ان نفتح كتاب تواريخ الحرب التي اثارها اللوترانيون على القرويين وجماعة الاناباتستيين . فيخبرنا ان اللوترانيين كانوا يذبحونهم بلاشفقة (طالع مؤلفات لوتاروس في خطبه المعروفة بخطب المائدة صفحة ١٩٦)

ثم اسـال عما جرى في مجمع هومبرغ اللوتراني حيث حكم اللوترانيون بقتل كل اناباتستي اصرّ على التمسك بعروة مذهبه . ثم اسال عن ديوان التفتيش اللوتراني الذي اقيم في الدانيمرك على عهد الملك خريستيان الثاني تصادف هناك ما يلذك من الاخبار عن روح الحلم والرفق الفريد الذي كان سائدًا في تلك المحاكم

اما نظرًا الى الحرب التي اثارها اللوترانيون على القرويين والاناباتستيين فحسبنا ان نأتي ببعض نصوص في هذا الصدد لاننا استوفينا المقال عنها فيما مضى عند كلامنا في تاريخها

فاسمع اولاً ما نادى به علنًا لوتاروس زعيم الاصلاح فلا نأتيك الاّ بكلامه نصًا عن مؤلفاته في خطب المائدة . قال : انا مرتينوس لوتير قد قتلت جميع القرويين لانني قد امرت بقتلهم في الفتنة . فوقع عليّ دمهم المسفوح لكنني انفضه على الرب الاله الذي امرني ان انطق بهذا الكلام (انتهى)

هذا ما قاله لوتيروس لاصدقائه المدعوين الى وليمته . وروى عنه منسال المؤرخ الابروتستاني في كتابه الاول وجه ١٧٥

قال الحكيم : للحمار الحشيش والجلال والسوط وللقرويين القبن

والسلف . وان عاندوا فالعصا والسلاح وهذا حق معاملتهم . نسأله تعالى ان يلهمهم الى الاذعان والّا لا رحمة . فان لم تُسمعهم قعقعة السلاح ازدادوا شرًّا مائة ضعف (انتهى)

وقال لوتيروس في طعنه في بريارياس : فان اعددنا المشانق للصوص والسيف للقتلة فمن الواجب ان نشب النار للراطقة . (مؤلفات لوتيروس المطبوعة في ويتمبرغ صفحة ١٢٠ (انتهى)

وقد عدّل احد المؤرخين الابروتستانت عدد الذين قُتلوا في تلك الحرب فجاء مائة الف نسمة . حتى امست الاقاليم العامرة قاعًا صفصفًا واكداس خراب وجثث قتلى (منسال مجلد ١ وجه ١٩١)

وان شئت ان تعرف ما كان حكم اهل ذلك العصر على لوتيروس لما كان ينادي بزيد الحمية بالقتل على من كانوا يخالفون مذهبه ويدينون غير دينه اسال اوسياندر المؤرخ الابروتستاني معاصر لوتيروس فيجيبك : مساكين القرويون فان لوتيروس يغلقهم ويدهنهم طال ما لا يضادون الّا الاساقفة والاكليروس ولكن لما زجرت رعود الفتنة وسخرت العصاة ببراءته وتوعده وانصاره ابرز حينئذٍ براءةً اخرى نادى فيها بذبح القرويين فذبحوهم كما تذبح الغنم (سنتوريا ٦ وجه ١٠٣) الى ان قال المؤرخ المذكور : ولما انتهى من قتلهم جنزهم بتزوجه براهبة . (انتهى)

وقد اشتهر حكم ايرسموس باعمال لوتيروس وهو مؤرخ شديد الميل الى الابروتستانية فكان يقول : عبثًا تحاول تزكية نفسك من التسبب بالفتنة في لاهوتك البربرية ضد القرويين لان رسائلك الموعبة هجوًا وطعنًا تشهد عليك وقد كتبت بلغة العامة فمنها اصل كل

فساد وتجس . (انتهى)

وهذا كاف بشان لوثيروس ولا حاجة الى اكثر بيان فيما كان من حكم اهل عصر البروتستانت انفسهم عليه وعلى اعماله بخصوص الذين لم يشاؤا ان يروا رايه ويدينوا دينه . وقد اقترن في ديوان التفتيش هذا الذي اقامهُ شر القسوة بشر التجديف والكفر لانه زعم ان الله جل وعلا المهمهُ الى ارتكاب هذه المنكرات الفظيعة

وان شئت ان ترى ايها القارئ كيف يحذو البنون حذو ابيهم افتح الكتاب المدروجه فيه اعمال مجمع هومبرغ الذي عقدهُ ابروتستانت المانيا سنة ١٥٤٦ في اليوم السابع من آب ليقرروا فيه ما ينبغي عمله بالانابانستيين فحكم اكثرهم بوجوب الحكم على المخالفين المصرين بضبط ارزاقهم وبنفيهم وبقتلهم . والاظرف من ذلك انهم يبنون هذا الحكم على كتاب الله العزيز . ولم يتكلفوا عناء كبيرًا ليظفروا باية من اياتهِ الكريمة تصادقهم عليهِ . بل فتحوا كتاب التوراة وفي الحال وجدوا في سفر اللاويين ص ٢٤ هذه الاية : من يجدف على الله موتًا يموت . فعليهِ قالوا : ترى اي تجديف شرٌ من انكار كنيسة يسوع المسيح كما ينكرها الانابانستيون . اذًا يستوجبون القتل فمن الواجب استئصالهم

وقالوا في المجمع : وربَّ من يعترض علينا بقولهِ : ان المسيح الرب قد نهى عن قلع الزوان من بين الحنطة فنجيبهُ . ان المسيح قد الفى هذا النهي الى خدام الكلمة لا الى الولاة . . . فاذًا ان اصرَّ الانابانستي على تعليمهِ فليقتل بالسيف جزاء عنادهِ . (غمنيوس وجه ١٧٦)

الفصل الثالث والاربعون

في ديوان التفتيش اللوتراني في الدنمرك على عهد كريستيان الثاني

قام في الدنمرك سنة ١٥٣٠ ملك هتك بيمنهِ اباد من الشعب دين ابائهِ وسلمهُ من الكنيسة اوقافها وخفض شان الرياسة البابوية ومنع الاساقفة من قضاء رسالتهم الالهية وادرجهم مع باقي الاكليروس في سلك اصحاب الوظائف المدنية

فان رمت الوقوف ايها القاري العزيز على ديوان التفتيش الذي رسمهُ هذا الملك الطاغية نجيبًا لمقاصدهِ وتوصلاً لغايتهِ طالع تاريخ مني شرالك (مجلد ٣ وجه ٢٧) فتصادف فيهِ ما يرعب الفرائص من اهوال القسوة البربرية

قال هذا المؤرخ ان الملك قد نصب المشانق لدى عودتهِ من السويج الى الدنمرك في جميع المدن التي اجتازها لاسيما في فنسان مولد القديسة بريجيتا . ولما وصل الى دير نيدال استقبلهُ اهله بمزيد الترحاب والاجلال فكان جزاؤهم منهُ انهُ القى القبض على رئيس الدير والرهبان عند خروجهم من القداس وكتف ايديهم الى ما وراء ظهورهم وطرحهم في النهر . اما الرئيس فقد تيسر لهُ انه قطع رباطهُ واخذ يحاول النجاة من الغرق بالسباحة فلما رآهُ الملك كريستيان امر جندهُ بقتلهِ فحطموا راسهُ . ثم عاد الى اهلاك افضل افاضل المالك علمًا وفضلاً وذكاء فالقى القبض عليهم واشخصهم امام لجنة قضاة بعد ما نادى عليهم بالعفو ثم بعث اليهم بجلادين كما اخبر

بعض المؤرخين قبل ان يصدر الحكم عليهم بيقرهم بالقتل وبدون ان يهلوهم وقتًا لتناول الاسرار قتلوهم جهارًا الى امغرهم يوم القي القبض عليهم . هذه اشارة الى اعمال ديوان التفتيش اللاتريائي

ديوان التفتيش الكلويني في جينيفا

على عهد كلوين

قد اشتهر كلفن على علم ما جرى من الفظائع في مدينة جينيفا حينما كان كلوين يجري في هذه المدينة سطوته ويسفح الدماء . فنصب فيها كلوين ديوان التفتيش وفي ظله اجرى الدسائس قاصدًا الاستبداد بالاحكام والتسلط . ففرض على جينيفا قانون ايمان تجري عليه وقانون شرع خطه بالدم والنار . فحكم بالقتل على عابد الوثن والمجدف (المراد بعابد الوثن مكرم القديسين) فلا يرى في قوانين شرعه ولا يسمع الاَّ بما عبر عن الحكم بالاعدام على كل من يهين الجلالة الالهية وبالقتل على من يهين الجلالة البشرية . فمن ضرب اباه موتًا يموت . ومن فسق موتًا يموت ومن ارتكب ارطقة موتًا يموت

وقد بلغ من جور هذا الشرع المريع ان سكان جينيفا قد حرّم عليهم ان يتناولوا من اصناف الاطعمة وكيفها الاَّ ما يعينهُ لهم القانون وان لا يلبسوا بارجلهم الاَّ الاحذية التي تاذنهم بها الشريعة ولا ان تزين النساء رؤوسهنَّ الاَّ بما يامر به قانون الشرع

وقد ورد في سجلات الدولة بتاريخ ١٢ شباط سنة ١٥٤٨ : ان ثلثة ارفاق من الدباغين قد القوا في السجن وصُوّموا ثلثة ايام على الخبز والماء لاكلهم على الغذاء ثلاثين قرصًا من الحلويات المنهى عن اكلها من الشريعة في ذلك الحين . فعُدَّ عملهم هذا من الجنايات الجسيمة .

هذه اعمال ديوان التفتيش الكلوبي . فتامل

ديوان التفتيش الانكليكاني على عهد انريكوس

الثامن والملكة اليصابات

وماذا نقول في فرع هذا الديوان الابروتستاني وفي ما اجراه من القسوة المريعة في بلاد دعيت بحق جزيرة القديسين لشدة تمسكها بعروة الدين المسيحي وغزارة خصبها بالقداسة التي بعثت الى الفردوس العلوي بافواج لا تحصى من القديسين . فمن يطيق سماع الاخبار عن ديوان التفتيش الذي اقامهُ فيها الملك واعوانه وما عملوا فيهِ من القسوة وسفح الدماء ليبيدوا من هذه الجزيرة اثار الدين الكاثوليكي . قال كوبّات المؤرخ الابروتستاني الانكليزي . قبل ما قبضت على زمام الاحكام تلك الحكومة سفاحة الدماء يكاد الاّ يسمع كل عام بثلثة من المجرمين في كل ولاية يقامون للمحاكمة اما في عصر هذه الحكومة فكثيرًا ما حشد في السجون دفعة واحدة اكثر من ستين الفًا . وخلاصة القول ان بلاط انريكوس لم يكن الاّ مزجرًا للبشر (انتهى)

فاحكم ايها القاري بعد ما وقفت على تاريخ ديوان التفتيش الابروتستاني بما يحق لهولاء القوم الابروتسانت في تكلمهم عن هذا الديوان ان يعزوه من القسوة الى كنيسة يسوع المسيح الحق فيما ان احكامها في كل اين وآن راكزة على اسس الرحمة وجارية مجرى الحلم والرافة